البطولة في الشعر الأموي

إعداد

المعتز بالله حمدي محمود منصور

المشرف

الأستاذ الدكتور حسين عطوان

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

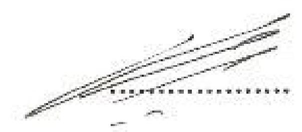
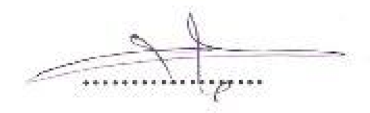
كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

أيار، ٢٠١٠

ب

نوقشت هذه الرسالة (البطولة في الشعر الأموي) وأجيزت بتاريخ : ٢٧ / ٤ / ٢٠١٠

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
ـــ الأستاذ الدكتور حسين أحمد عطوان ، مشرفاً أستاذ الأدب الأموي	....
ـــ الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحيم السعافين ، عضواً أستاذ الأدب الحديث والنقد	 ....
ـــ الأستاذ الدكتور عبد الجليل حسن عبد المهدي ، عضواً أستاذ الأدب العباسي والفاطمي والأيوبي والمملوكي	 ....
ـــ الدكتور خليل سالم الرفوع ، عضواً أستاذ الأدب الجاهلي (جامعة مؤتة)	 ....

الإهداء

صنع ذاتي فأدركت معنى أن أكون ... لطالما بلْسَمَت كلماتُه جراح الهزيمة وأمدَّتني عزماً أدركتُ به أن في هذه الدنيا ما يستحق الحياة ...

" أبي "

ترجّلت منذ أمدٍ بعيدٍ عن صهوة الحياة .. فتركتني فقيراً لدفء حضْنِها ...

" أمي "ـ رحمها الله ـ

يداً رعتني صغيراً ... وأقلّتني ذُرى المجدِ ، كبيراً ...

" والدتي "

نجمٌ أفل .. فأفلت معه الابتسامة ... كم تمنيت لو يعضدني الآن ...

أخي " المعتصم بالله " ـ رحمه الله ـ

شريكة الدرب الجميل ... وقرينة الرحلة السعيدة ...

" زوجتي "

قلدوني أطواقاً من الجميل بحبهم و دعمهم ... لن أنساها ما حييت ...

" إخوتي وأخواتي "

نهر عطاءٍ لا ينضَب ... ومعين محبةٍ لا يجف ...

" عمي يوسف "

نسيت معه أرق الماضي ... واستشرفت من بريق عينيه ألق المستقبل ...

" ولدي معتصم "

وإلى ذاك الماضي بشخوصه الذين ما انفكوا يحاولون إطفاء الشمعة وإغراق السفينة ...

لا .. ليس إهداءً لهم .. بل إخطاراً صادحاً بانتصاري عليهم في التحدي ...

شكر وتقدير

إنّ الفضل يجب أن يُذكرَ لأهلهِ كفاءَ ما قدّموا ، ووفاءً لما بذلوا ، ولذا فإنه من الواجب عليَّ هنا أن أعبِّر عن شعوري بالامتنان العظيم ، والعرفان الصادق ، لما كنت ألقاه دائماً في رحاب أستاذي العالم **الأستاذ الدكتور حسين عطوان** من أستاذية حقّة ، وعلمٍ جم ، وصدر رحب ، يتوج ذلك كلّه تواضعُ العلماء الأجلاء ، وإخلاصٌ حقيقيٌ في التوجيه والرعاية ، شجّعني على المضي في طريق البحث في عزيمة وثقة واطمئنان ، فكان لي وللبحث الرائدَ الذي لا يكذِبُ أهله ، والدليلَ الماهرَ في مجاهل الطريق ومنعرجاته ، فله مني أجزل الشكر ، وأصدق التقدير إذ تفضل بمنحي وسام التلمذة على يديه وقبول الإشراف على هذه الرسالة .

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي
الأستاذ الدكتور إبراهيم السعافين
الدكتور خليل الرفوع

لتفضلهم بمناقشة هذه الرسالة ، وإغنائها بالملاحظات القيمة ، والتوجيهات السديدة .

فهرس المحتويات

التمهيد

الفصل الأول : صورالبطولة في الشعر الأموي

الفصل الثاني : بواعث البطولة في الشعر الأموي

الفصل الثالث : البطولة وأدواتها في الشعر الأموي

الفصل الرابع : الخصائص الفنية لشعر البطولة

البطولة في الشعر الأموي

إعداد
المعتز بالله حمدي محمود منصور

المشرف
الأستاذ الدكتور حسين عطوان

الملخص

لقد واكب الشعر حياة العرب منذ القدم ، وانشغل بهمومهم وآمالهم ، وصور ملامح بطولاتهم ومفاخرهم ، وجاءت هذه الدراسة لتبحث في تفاصيل البطولة في الشعر الأموي ، وتكشف عن صورها ، وتبين دوافعها ، وترصد أدواتها المادية والمعنوية ، وتمحص النظر في الخصائص الفنية لشعر البطولة في العصر الأموي .

وقد خلص استقراء المقطعات والقصائد الشعرية التي وقفت الدراسة عليها ، إلى أن البطولة صورة واضحة الملامح مجسّدة الرؤية ، تتجسد فيها عناصر تمثل قيماً سامية ، ومثلاً عليا ، مثل الشجاعة ، والعفة ، والحلم ، والحزم ، والصبر ، والحزم ، والوفاء ، كما تتضمن البطولة أفعالاً بطولية قام بها البطل في العصر الأموي ، وتمثلها في سلوكه وتصرفاته ، مثل البطولة الحربية ، وبطولة الكرم .

وأظهرت الدراسة أن وجود الشخصية البطولية في العصر الأموي كان استجابة لبيئته ، وتلبية لحاجات واقعه الاجتماعي ، ووقف خلف ظهورها دوافع عدة أسهمت في إبرازها منها : النسب ، والمرأة ، وطلب البطل للشهادة وابتغائه الأجر والثواب من الله ، وإيمانه بالقضاء والقدر وحتمية الموت ، وتأكده من عدم ثبات أحوال الدهر وديمومتها .

وكشفت الدراسة عن جملة من الأدوات المادية التي استخدمها البطل الأموي في إظهار بطولته وترسيخها ، مثل السيف ، والرمح ، والخيل ، والدرع ، والجفان والقدور ، وإيقاد النار ، ونباح الكلاب ، وقد توطدت علاقته بهذه الأدوات ، فمنحها جل اهتمامه وعنايته .

وبينت الدراسة أن شعر البطولة في العصر الأموي اتسم بقوة ألفاظه وفخامتها ، ومتانة عباراته وحسن سبكها ، وجزالة أسلوبه ، وصدق عواطفه ، وحرارة انفعالاته ، وعلو جرسه الموسيقي ، وتنوع صوره الشعرية وغناها بالمحسنات البيانية التي استخدمها الشعراء لرسم صورة للنموذج المتميز (البطل) ، الذي نبع من أعماقهم الإنسانية ، وارتبط ارتباطاً وثيقاً ببيئتهم ،واتصف بمثلهم العليا، وتحلى بقيمهم النبيلة ، ونافح عن مصالحهم ، ودافع عن حماهم .

المقدمة

الحمد لله الحليم المنان ، خلق الإنسان علّمه البيان ، والصلاة والسلام على خير إنسان ، وبعد

فتعود صلتي بالأدب الأموي إلى أيام دراستي الجامعية الأولى ، إذ كنت أدرس هذا الأدب على أستاذنا الأستاذ الدكتور حسين عطوان الذي حببه إلى نفوسنا ، وولّد فيها الشوق لدراسته وبحثه ، فأخذ ميلي إليه يشتد وإحساسي به يقوى ، فانصرفت إلى قراءة شعر العصر الأموي والاهتمام به ، وكان ميلي إلى شعر البطولة أشد ، فأخذت في دراسة هذا الضرب من الشعر والعناية به ، إذ وجدت فيه تخليد الإنسان لقيمه العليا ومثله النبيلة ، وتجسيده لمآثر قومه الحميدة ، ورسمه للأنموذج المتميز في بيئته التي ينتمي إليها .

وعندما التحقت بالدراسات العليا ، أُتيحت لي الفرصة لكي أحقق ما كنت أصبو إليه ، وأطمح فيه من بحث في هذا الجانب من الأدب ، فكان أن اخترت شعر البطولة في العصر الأموي ليكون موضوعاً للبحث ، فعلى أهمية البطولة وعظم شأنها في العصر الأموي ، وما نهدت به من أدوار في الحياة العامة ، إلا أنني لم أعثر على دراسة تناولت البطولة في العصر الأموي ، فكل الدراسات التي وقعت عليها خصت لدراسة البطولة في العصرين الجاهلي والإسلامي ، وبعضها تناول البطولة جزءاً من دراسة عامة للشعر العربي ، فكان أن عقدت العزم على الكتابة في هذا الموضوع علّني أسد ثغرة ، أو أُسهم في وضع لبنة في بناء هذا الطود الشامخ .

تأتي أهمية هذه الدراسة في أن أحداً لم يتطرق لدراسة البطولة في هذه الحقبة الزمنية من قبل ، فليس هناك من دراسة خصها صاحبها لموضوع البطولة في العصر الأموي وعقدها عليه ، وكل ما جاء فيما يتصل بهذا الشأن ، بعض إشارات عابرة جاءت في أثناء الحديث عن مضامين الشعر الأموي كالفخر والمدح ، ولذا فهي تتناول موضوعاً لم يطرق من قبل بالوجه الذي تقدمه من خلال استقصائها للبطل والبطولة كما تجلت في الشعر الأموي ، واستجلاء صورها ، وتحديد بواعثها ، والكشف عن أدواتها المادية والمعنوية ، لتقدم رسماً واضحاً جلياً لقيمة أخلاقية عظيمة تنضاف إلى قيم نبيلة تترجم في سلوك الإنسان ، وتقف دائماً بجانب الحق وتحقق مظاهره ، وترفض الباطل وتنبذه .

ولعل هذه الدراسة تسهم في إماطة اللثام عن وجه الحقيقة ، وتقدم صورة واضحة للبطل في العصر الأموي ، لتكون أنموذجاً يحتذى ومثالاً ينتهج ، فكم تحتاج أمتنا في حاضرها الذي تعيشه لمثل هذه الصورة ، هذا غلى جانب تشجيع أستاذي المشرف ، الذي رأى في الموضوع ما يستحق الدرس ، ويمكن أن ياتي بجديد ، ويسهم في كشف بعض جوانب الشعر الأموي وفنونه وموضوعاته ، كان ذلك من أهم ما دفعني لاختيار موضوع البطولة في الشعر الأموي .

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة ، بينت في المقدمة مسوغات إقامة هذه الدراسة ، ووضحت أهميتها وأهدافها المرجوة منها ، وعرضت لمكوناتها وتسلسلها ، وقدمت المنهجية المتبعة في فصولها وموضوعاتها ، وتناولت في التمهيد معنى البطل والبطولة في اللغة والأدب ، واستعرضت فيه تاريخ اللفظة ومدلولاتها عبر العصور القديمة ، وما لحق بها من تبدل بسبب تقدم الزمن ، وتقلب الأحوال ، وتباين الغايات .

أما الفصل الأول فخصّصته للحديث عن صور البطولة في الشعر الأموي ، فقد كشف الشعر فيه عن صور عدة للبطولة ، مثل البطولة الحربية ، وبطولة الإباء ، والكرم ، والعفة ،والحزم ، والحلم ، والصبر ، والوفاء .

وأما الفصل الثاني فوسمته بعنوان " بواعث البطولة في الشعر الأموي " ، ووقفت فيه على الدوافع والأسباب التي أبرزت البطولة ، مصنفاً إياها إلى بواعث عربية تتمحور في البيئة ، والنسب ، والمرأة ، وبواعث إسلامية تتمركز في طلب البطل للشهادة ، وابتغائه الثواب من الله تعالى ، وإيمانه بالقدر وحتمية الموت ، ويقينه بتقلب الدهر وتبدل أحواله .

وعقدت الفصل الثالث للبحث في أدوات البطولة التي جاءت في الشعر الأموي ، وتحديد عدد البطل المادية والمعنوية التي استخدمها لإظهار بطولته وترسيخها ، وهي عديدة متنوعة ، مثل السيف ، والرمح ، والخيل ، والدرع ، والجفان والقدور ، وإيقاد النار ، واستنباح الكلاب .

وأتى الفصل الرابع نهاية لفصول هذه الدراسة بعنوان " الخصائص الفنية لشعر البطولة في العصر الأموي " ، رصدت فيه ما انماز به شعر البطولة عن غيره ، من حيث اللغة والأسلوب ، والصور الشعرية ، وما اتصف به من كثرة صيغ المبالغة والتفضيل ، وظهور الطابع الحواري في كثير منه .

وأوجزت في خاتمة الدراسة خلاصة البحث ، وأجملت أهم نتائجه .

واقتضت طبيعة هذه الدراسة استخدام مناهج متعددة حسب مقتضيات الموضوعات في الفصول المختلفة ، ومن أهمها المنهج التاريخي لأنه يساعد على رصد المعاني المختلفة لمفهوم البطل والبطولة ، كما استخدمت المنهج الاستقرائي والإحصائي .

وختاماً فإنني أسجل أجلَّ الفضل لأهله وأجزل الشكر لمستحقه ، فأتوجه بالإكبار العظيم ، والعرفان الصادق إلى أستاذي العالم الأستاذ الدكتور حسين عطوان ، الذي منحني وسام التلمذة على يديه ، وتفضل بقبول الإشراف على هذا البحث ورعايته ، وتقويم ما اعوج منه ، فكان أن خرج على هذا الشكل .

كما أتقدم بجزيل الشكر وعظيم التقدير لأساتذتي الأفاضل الأستاذ الدكتور إبراهيم السعافين الذي طالما انتفعت بعلمه ، وأنست بحلمه ، والأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي الذي تتلمذت على يديه ، ونهلت من علمه ، وأما الأستاذ الدكتور خليل الرفوع فله إلى جانب هذا شكر خاص كفاء ما تكبد من عناء الطريق ووعثاء السفر ، وأنا على يقين تام بأنني سأنتفع بملاحظاتهم القيمة وتوجيهاتهم السديدة ، وأسأل الله بلوغ المنى وسداد الخطى ، والله ولي التوفيق .

التمهيد

" معنى البطولة "

البطل والبطولة في اللغة والأدب :

حين يسمع الإنسان العادي كلمة (البطولة) يتداعى إلى ذهنه مدلولها العام الذي درج بين عامة الناس على مر العصوروهو الشجاعة ، " شجاعة القلب والجسد في القتال ، وقوة البدن وسلامته

واستجابته ، وهذا معناها الشامل القديم ، وما زال باقياً في أذهان العامة وخيالهم "[١]، ولعل مرد هذا المدلول ناتج عن تميز كثير من الأبطال بالشجاعة ، مما أدى إلى اقتران البطولة بالشجاعة .

ولكن البطولة تمتد لتشمل جميع مناحي الحياة حرباً وسلماً ، ولذا لا يجوز حصر البطولة في مجال واحد ، هو مجال الحرب والقتال وإن كانت الشجاعة هي جوهر البطولة ، فليس من الضرورة أن تكون البطولة قائمة عليها وحسب .

واعتماداً على التعريف القديم ، فالبطولة لا تقتصر على الشجاعة فحسب ، بل لها مجالات كثيرة ، و تتبع معاني اللفظة في المصادر يعين على ذلك ، فقد عرّف ابن منظور البطل بقوله : " البطل : الشجاع . وفي الحديث : شاكي السلاح بطل مجرَّب . ورجل بَطَل بَيِّن البَطالة والبُطولة : شجاعٌ تَبْطُلُ جراحَتُهُ فلا يُكْتَرَثُ لها ولا تَبْطُلُ نجادته ، وقيل : إنما سمِّي بَطلاً لأنه يَبْطِلُ العظائم بسيفه فيُبَهْرِجُها ، وقيل سُمِّي بَطلاً لأن الأشداء يَبْطُلون عنده ، وقيل : هو الذي تبطُلُ عنده دماء الأقران فلا يُدْرَكُ عند ثأره من قوم أبطال ، وبَطَّالٌ بين البَطالة والبطالة. وقد بَطُلَ بالضم، يَبْطُلُ بُطولة وبَطالة أي صار شجاعاً وتَبَطَّل "[٢]. وأضاف الزبيدي أن : " البطل : الشجاع المتعرِّض للموت "[٣].

إن التعاريف اللغوية السابقة تدل على اتفاق أشهر المعاجم العربية مع المعنى الشامل القديم ، وتتلاقى مع المدلول العام وهو أن البطولة " شجاعة متفوقة على الشجاعات والبطل شجاع ممتاز عن الشجعان الأشداء، لأنهم إذا ما التقوا به يضعفون، وتتصاغر شجاعتهم، أو لأنه يقتل الأقران فلا يجرؤ أحد على أن يثأر منه "[٤] كما أنها تتفق أيضاً على اعتبار الشجاعة الفائقة بطولة لأنه لا يتصف بها إلا قليل من الناس ، هم المتميزون ، والمتفردون عن غيرهم بافعالهم وصفاتهم الخُلُقية والخَلْقية .

[1] . المجذوب ، محمد مهدي ، (١٩٨٥) . البطولة كما يصورها الأدب الجاهلي، مؤتمر الأدباء العرب ، الدورة الرابعة ، الكويت ٢٠-٢٨ ديسمبر ، ص ٨٩ .
[2] . ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب،(ط١)،١٥جزء،(تحقيق عامر أحمد حيدر)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣، مادة (بطل) .
[3] . الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني(ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس في جواهر القاموس ، ١٠ أجزاء ، دار ليبيا ، بنغازي، ١٩٦٦، مادة (بطل) .
[4] . الحوفي، أحمد محمد، (١٩٦٧). البطولة والأبطال، القاهرة، يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ص ٩ .

أما المعاجم الأجنبية فهي تتفق مع المعاجم العربية في تعريفها للبطولة، فمعجم أكسفورد يرى أن البطل (Hero) هو المحارب العظيم والمقاتل الشجاع [١]، ويكاد معجم لاروس يتفق معه في الوصف [٢] .

ولكن هذه التعريفات اللغوية لا تقوم بتفسير معنى البطولة ، لأن البطولة " لفظ متجدد مع تطور الزمن والمجتمع " [٣] ، ولأن معاجم اللغة لا تفي بذلك ، فهي تهتم ببعض الدلالات الحقيقية والمجازية ولا تستقصيها جميعاً ، فلكل لفظ تاريخ مثل تاريخ الأشخاص والأمم ، واللغوي لابد أنه يقتصر في تعريفه للفظ على التعريف السائد له في عصره الذي دوَّنه فيه ، لأن كل عصر يضيف للفظ معنى جديداً وإن بقي اللفظ على حاله ، فقد يوضع اللفظ لمعنى ثم يتطور المعنى بتطور العصور، فيضيف إليه كل عصر معنى مختلفاً عن سابقه فالمعنى يتغير بتغير العصر تغيراً قريباً أو بعيداً [٤]. ولفظ (البطولة) شأنه شأن غيره من الألفاظ التي تتطور ويتغير معناها بتغير العصور وتبدل الأزمان ، فلكل زمان ظروفه الخاصة به ، وفي كل عصر أحداث معينة توجه البطل لبطولات محددة بعينها .

ولذلك يحسن الرجوع إلى الكتب الأدبية الحديثة في تعريف كلمة البطولة لمواكبة أي تطور أو تبدل في معناها ومدلولها ، فالدكتور شوقي ضيف يعرِّف البطولة بأنها : " الغلبة على الأقران، وهي غلبة يرتفع بها البطل عمّن حوله من الناس العاديين ارتفاعاً يملأ نفوسهم له إجلالاً وإكباراً " [٥] . ويعرِّفها الدكتور الحوفي بأنها : " مجموعة من الممارسات أو الأفعال الإنسانية العظيمة ، التي يقوم بها فردٌ أو مجموعة من الأفراد ، توصلهم إلى منزلة رفيعة ، في نفوس الناس كافة أو أقوامهم ، مما يجعل هؤلاء الناس يصفونهم بالأبطال " [٦] .

يتضح من هذه التعريفات أن مفهوم البطولة لا يقتصر على الشجاعة وإن كانت تمثل الجزء الأكبر منها ، إذ لا بطولة " إلا إذا كان البطل متفوقاً في شجاعته ممتازاً على الأنداد بجراءته " [٧] ، كما يتضح أيضاً أن لا فصل بين البطل والظروف الاجتماعية والبيئية المحيطة به ، فأفراد

---

[1] . The Concise Oxford Dictionary

[2] . Dictionnaire Larousse .

[3] . العجمي ، خالد محمد راشد، (٢٠٠٨) . صورة البطل عند الشعراء الصعاليك في الجاهلية ، أطروحة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، عمان ، الأردن ، ص ٢٠ .

[4] . انظر : أمين، أحمد، (د.ت). فيض الخاطر، (ط١) ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ص ١٧ .

[5] . ضيف، شوقي، (١٩٧٠). البطولة في الشعر العربي، سلسلة اقرأ ، (٣٣١) ، ص ٩ .

[6] . خريوش، صادق الشيخ صالح، (١٩٩١). صورة البطل في كتب الحماسة ، أطروحة دكتوراة غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، عمان ، الأردن ، ص ٣٧ .

[7] . الحوفي ، البطولة والأبطال ، ص ٢٤ .

بيئة البطل هم من يعترفون له ببطولته ، ويقرون بتميزه وتفرده ويسمونه بطلاً ، وعلى هؤلاء يتميز البطل ، ومن بينهم يتفرد ، وليس ذلك في الشجاعة فحسب " فالبطولة ظاهرة لا تختص بجانب معين دون غيره من جوانب الحياة على امتداد الزمن " [١] . ولعل الشجاعة المقصودة هي الشجاعة العامة وليست المقصورة على ميادين الحروب وساحات القتال " فهناك شجاعة الجهاد السلمي لتحرير الوطن ، وشجاعة الثبات على العقيدة مهما نزل بصاحبها من عسف وإعنات ، وعرض على موارد الهلاك ، وشجاعة الرأي الصُّراح حيث يؤثر الناس التقية والكتمان ، أو الممالأة والنفاق ، وشجاعة الدفاع عن حق مهضوم ، أو عن ضعيف مستذل مظلوم ، وشجاعة الدعوة إلى الإصلاح في مجتمع مستكين إلى ما يعاني من سوء الحال ، ... ، وشجاعة الأوفياء الذين كانت سلامتهم محققة في تحللهم من الوفاء ، ولكنهم آثروا الوفاء بالعهد على السلامة . فهؤلاء كلهم شجعان ، بل هم أبطال ، لأنهم أقدموا على ما لم يقدم عليه النظراء والأقران " [٢].

إن البطولة في جميع المجتمعات وفي مختلف البيئات والظروف " تمثل منزلة عالية رفيعة لا تستوجب سوى الاحترام والتقدير من قبل أفرادها " [٣] ، ولذلك فهي محط الأنظار ، ومطمح النفوس ، وميزة للتباهي والتمادح بها بين الناس ، فهي صورة واضحة الملامح من المروءة والفتوة والفصاحة .

والبطولة ذات أهداف إنسانية ، تقف دائماً في جانب الحق ، وهي ارتقاء نحو الكمال ، وترويض للروح والجسم معاً ، وترجمة فاعلة لطاقة الفرد قوية ، والخيرة ، والمتفردة ، فالبطولة علو عن العادي وتطلع نحو الكمال، وسعي من البطل للاختلاف عن الآخرين، ودليل تفوق وتميز لا ادعاء فيه ولا تصنع ، وإنما تترجمه جملة من الفضائل التي يقوم بها ، فيستحق الإكبار والإجلال .

إن تفوق البطل في كل قيمة وتفرده في كل صفة يحبها مجتمعه يجعله شخصاً كاملاً فيه " فالبطولة تعني في كل الثقافات التفوق " [٤] ، كما أنها " علاقة بين البطل والجماهير ، تتوثق أواصرها كلما اهتدى البطل إلى كوامن هذه العلاقة ، وأدرك أسرارها ، واستطاع ببراعته ودهائه الوصول إلى الآمال التي تحقق لهذه الجماهير ثقتها به " [٥] ، لذلك يمكن تسمية البطل بالإنسان

---

[1] . فالح، جليل، (١٩٨٠). البطل في شعر الحماسة ، مجلة آداب الرافدين، العدد (١٤)، ص ٢٤٣ .
[2] . الحوفي ، البطولة والأبطال ، ص ١٠ .
[3] . العجمي ، صورة البطل عند الشعراء الصعاليك في الجاهلية ، ص ٢١ .
[4] . خليل، أحمد محمود ، (١٩٩٦) . في النقد الجمالي : رؤية في الشعر الجاهلي ، دار الفكر ، دمشق ، ص١١٢ .
[5] . القيسي ، نوري حمودي ، (١٩٨٢) ، البطل في التراث ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ص ١٧ .

الأنموذج ، الذي يتحرك ضمن إطار الواقع ، ولكنه يفضل غيره بأفعال فذة ، وخصال فكرية ونفسية نادرة ، يتمخض عنها سلوك متميز ، فهو فرد يمتاز عن بقية أفراد مجتمعه بمواهب عقلية ، أو خُلقية ، أو جسدية ، يظهر بها بينهم ، ويتفوق بها عليهم .

ويعد البطل " فرداً فائقاً يتجاوز الناس في صفاته ، ويسلك في مواجهة الأحداث مسلكاً مثالياً ويأتي من الأعمال ما يعجز عنه سائر البشر ، ويتنزه عن كثير مما يميز الناس من نقص إنساني ، أو ضعف بشري " [١] ، فالبطل متعالٍ عن النقص والضعف ، ساعٍ إلى الكمال ، يرفده في سعيه ذاك خصائص تميزه عن غيره في عقله ، أو جسده ، أو خُلقه ، ترقى به من صفوف البشر العاديين التقليديين إلى أعلى درجات التميز والرقي والتفرُّد .

هذا البطل هو محصلة معادلة طرفها الأول خصائص نفسية وبيولوجية وطرفها الثاني ظروف اجتماعية تخص زمناً معيناً نتج عنها شخصية اجتماعية يتفاعل فيها ما تمتاز به من صفات تميزها عن الآخرين مع الظروف الزمنية والبيئية المحيطة بتلك الشخصية ، وهذه الشخصية المتشكلة هي وحدة إنسانية غير منعزلة لا تقبع في دهاليز النفس ، لذا انعدم الفصل بين تلك الشخصية وبين البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ...الخ للمجتمع الذي تعيش فيه ، ولذلك كله فإن البطل عرف مكنونات نفسه ، وجوهر واقعه ، ورسم موقفه منهما ، وحدد له رداً لكل المؤثرات الداخلية والخارجية المحيطة به ، محاولاً في ذلك أن يتعامل معها بكل حنكة وتميز ، وينسجم مع تغيراتها وتحولاتها .

إن البطل هو الفرد الذي يمتلك خصالاً تميزه عن غيره كأن يكون مصدر خير كبير لقومه ، وأن يتسم بقوة الشخصية فيجبر بذلك الناس على إجلاله وإعظامه والاقتداء به ، مع تحليه بحكمة الرأي وسداده والحزم فيه ، وألا يأتي من الأعمال في حياته ما يفسد عظمته وهيبته لأنه بفقدانه منزلة القدوة بين الناس فقد احترامهم وتقديرهم [٢] ، ينضاف إلى ذلك كله تمتعه بعزيمة قوية لا تضعفها الشهوات ولا المطامع ولا تنال من بأسها المصائب والعوائق ، ولا تعيقها العثرات ، واعتداده بنفسه واعتزازه ببطولته وهو بهذا جاهز لمقارعة الخصوم وإرهابهم ، وتذليل العقبات وتجاوز الصعوبات .

[1] . إدريس ، سهيل ، (١٩٥٩) . البطولة في الرواية العربية الحديثة ، مجلة الآداب ، العدد (١) ، ص ٢ .
[2] . انظر : أمين ، فيض الخاطر ، ص ١٩ - ص ٢٠ .

إن فكر الإنسان ومبدأه أساس قوامه ، لذا كان لزاماً على البطل أن يكون ذا عقيدة محددة يؤمن بها ولا يزيغ عنها ، ينافح لأجلها ويضحي في سبيلها ، " فالعقيدة أساس البطولة ، لأنها القوة التي تهيمن على الفكر ، وعلى العزيمة ، وتتجه بهما إلى إذاعتها وحمايتها ، فيرى البطل في عزة عقيدته عزته ، وفي قوتها قوَّته ، ولا يطيق أن يعوِّق عقيدته معوق ، ولا ينزل بها ضيم ، لأن في المساس بها هدماً لإنسانيته ، وتقويضاً لبطولته " [١] .

وغياب الهدف أو العقيدة يقود إلى ضياع السبيل وفقدان النهج الواضح ، ويكون سبباً في إخماد شعلة التضحية " فالبطل لا يكون جريء الجنان مستعداً للتضحية إلا إذا كان مؤمناً بعقيدة من العقائد أو هدف من الأهداف " [٢] ، لذلك وجب على البطل أن يرتكز على عقيدة صلبة ثابتة ، أو أن يكون له هدف سام ومطمح يعانق السماء يسعى دائماً لتحقيقه على أتم وجه ، فلا وجود للتصرفات العشوائية غير المدروسة في حياة البطل ، ولا مجال للتخبط في أفعاله ، فلكل مهمة أو خطوة في حياته أبعاد وآثار يلزمه أخذها في الحسبان مستعيناً على ذلك بعبقريته وقوة إدراكه وشخصيته الفذَّة .

يحتاج البطل إلى إثبات ذاته ، وتقرير تفرُّده لدى الجماعة التي يعيش بين أفرادها ولا يكون ذلك إلا بإعلاء مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد ، والقيام بأعمال تخدم الناس وتحقق مصالحهم وتحظى باحترامهم ، فهو " المثال الذي تتوسم فيه كل فضائل الجماعة التي ينتمي إليها ، لأنه ـ في تصورها ـ الإنسان المؤهل لتحقيق رغبتها والإنسان الذي يرى فيه الآخرون ما يبحثون عنه ، وما يريدون الوصول إليه ، وما يجهدون أنفسهم من أجل التمثل به " [٣] ، ومفاد ذلك أن البطل يجب أن يسمو بأهدافه الذاتية ويتجاوز الأنا الداخلية ، ويدحر الأنانية الشخصية ، ليحط اهتمامه نحو قضايا الجماعة ، فالبطل " في أذهان شعبه ـ في كل الأحوال ـ يمثل قدرة الذات القومية التي تتجاوز كل أشكال العصبية ، لأن الفكرة القومية هي الفكرة الغالبة لخضوع نوازعها إلى الوجدان المشترك " [٤]، وفي ذاك الوجدان المشترك تتضاءل مصالح البطل الذاتية البحتة في حساب أهدافه السامية ، فهو لا يسلك سبيل المصلحة والأنانية ، فطاقاته الذاتية مدّخرة لنصرة المجموع وتحقيق مصالحهم ، أو للدفاع عن قضية من كبريات قضايا الحياة ، حتى وإن كان شخص الشاعر أو البطل محور هذه القضية .

---

[1] . الحوفي ، البطولة والأبطال ، ص ١٩ .
[2] . البصير ، عبد الرزاق ، (١٩٥٩) . البطولة في الشعر الحديث ، مجلة الآداب ، العدد (١) ، ص ٢٦ .
[3] . القيسي ، البطل في التراث ، ص ١٦ .
[4] . المصدر نفسه ، ص ١٧ .

هذا البطل لا يوجد عبثاً وليست بطولته فطرة وليدة معه ، بل هو وليد عصره ومجتمعه وابن محيطه وبيئته وواقعه الذي يعيش ، فقد " ابتدعه وجدان الجماعة ليكون نموذجاً لكل من أفرادها فهو جماع فضائلها ، وهو المحقق لأحلامها ورغباتها " [١] ، إنه مؤثر متأثر ببيئته وعصره " تكوّن بفعل أمته ومجتمعه ، لذلك فهو عاجز عن ممارسة بطولته إذا انقطعت أسباب صلاته الحيوية بأمته ومجتمعه " [٢] ، كما أن البطل هو " عصارة مطامح الأمة في عصره " [٣] ، أي أنه شخصية رئيسية مؤثرة وفاعلة في زمنه وبيئته ، وليست شخصية منطوية ثانوية تعيش على هامش الحياة ولا أثر فيها .

إن لكل زمان دولة ورجالاً ، وإن لكل بيئة وعصر أبطالهما الذين لا يستطيعون ممارسة بطولتهم خارج إطار بيئتهم التي يقطنونها وعصرهم الذي يعيشون فيه ، لذلك " فإن محاولة تفسير ظاهرة البطل تفسيراً خارجاً عن إطار الظروف الاجتماعية والبيئية والقدرة المتميزة التي تفرض نفسها على الأحداث وتترك طابعها الشخصي والإيجابي على التاريخ ، ومحاولة اعتباره تجسيداً لعقيدة مكبوتة أو حالة مرضية تعد فصلاً واضحاً بين الإنسان وواقعه الذي حدد له الطريق ، ورسم له المعالم " [٤] ، لأن هذا الضرب من الفهم يجعل البطل أسير ظروفه ورهن واقعه ، مما يفقد ذاته القدرة على التأثير في الناس من حوله ، وإحداث التغيرات المرجوة والتي تطمح شخصية البطل في تحقيقها ، وتسعى جاهدة لبلوغها باعتبارها أهدافاً تجسد البطولة في غاية تفردها عن الآخرين وتميزها عن غيرها من الناس العاديين ، وهذا لا يعني أن القدرات الخاصة التي يتمتع بها البطل والصفات العالية التي جعلته يتميز عن سواه ويتفرّد عن غيره لا كبير دور لها في بطولة البطل ، كما أن هذا اللون من التفسير قد جر " على كثير من الأحداث أشكالاً من التعسف ، وأوغل إلى حد بعيد في التصور الذاتي والسلوك الفردي الذي أفقد الإنسان قدرته وجرّده من وعيه وخصائصه التي يمكن أن يؤثر من خلالها في تغيير المجتمع وإرادته الإنسانية التي تمكنه ـ بفضل مواهبه ـ من استيعاب حاجات مجتمعه ، وإحداث التغييرات العميقة في توجيه الأحداث ، وجعلها تسير في الوجهة التي ترتضيها تلك الحاجات ، وتستجيب لمطامح الجماهير التي تحقق ذاتها في شخصية هذا البطل ، وترسم خطوط مستقبلها من خلال تحركه " [٥] ، وما

---

[1] . يونس ، عبد الحميد ، (١٩٥٩) . البطولة في الأدب الشعبي ، مجلة الآداب ، العدد (١) ، ص ٨ .
[2] . خوري ، رئيف ، (١٩٥٩) ، حول البطولة وأدب الأطفال ، مجلة الآداب ، العدد (١) ، ص ٣٥ .
[3] . طملية ، فخري أحمد (١٩٨١) ، البطل في الرواية الفلسطينية والأردنية من عام ١٩٤٨ ـ ١٩٧٨ ، أطروحة دكتوراة غير منشورة ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، لبنان ، ص ٣ .
[4] . القيسي ، البطل في التراث ، ص ١٢ .
[5] . القيسي ، البطل في التراث ، ص ١٢ .

يؤكد ذلك أن أبطال عصر الحروب القديمة التي يُعتَمَدُ فيها على السيوف والخيول والتي هدفها السلب والنهب ليسوا كأبطال عصر السلم والأمان الذي يُعتَمَدُ فيه على الأسلحة الحديثة ، والتي تكون أغراضها أكبر من السلب والنهب ، فالأبطال تختلف حاجاتهم وسلوكياتهم وطرائقهم في إثبات ذاتهم وترسيخ بطولتهم ، كما تختلف أدواتهم التي يستخدمونها لإعلان تميزهم وتفرُّدهم باختلاف بيئاتهم وعصورهم وحاجات أقوامهم ، إلا أن التشابه بين تلك البيئات والعصور يكمن في احترام وتقدير الجماعة للبطل ، ووضعها له في المواضع التي تمكنه من أداء دوره البطولي ، وإقرارهم بتفوقه وتميزه عن غيره ، وتأكيدهم لمكانته المرموقة بينهم، ففيه تتبلور آمال الأمة وتتحقق فيه مطامحها ، وتتخلص به من آلامها ، وتجتمع في شخصه " مُثُلُ القبيلة العليا وأعرافها ، وتاريخها ، وأمجادها " [١]، بفضل ما يتمتع به من صفات كالتفوق ، والبأس ، والهيبة ، والذكاء ، والخلق الرفيع ، وسمو الأهداف .

والبطولة ظاهرة تختلف باختلاف الزمان الذي تظهر فيه والمجتمع الذي تنشأ فيه ، كما أنها تختلف باختلاف حاجات الأمة في العصر الذي تعيشه " فالأمة التي تنطوي حياتها على سلسلة متواصلة من الحروب ، لا يكاد يظهر فيها من الأبطال إلا الأقوياء الشجعان ، وإذا ما استقرت حياتها وتحضرت وجنحت إلى السلم تضاءلت مكانة أبطال الحرب قليلاً وزاحمهم أبطال السلم والمصلحون وأرباب العلم والفن " [٢]، ولهذا يحسن دراسة تاريخ العصر الذي ترصد فيه ظاهرة البطولة ولزم معرفة كل أوضاعه وتصرفاته المثالية والقيم التي يفضلها ، فالبطولة " تنبثق من الواقع الاجتماعي وتنشأ فيه ، ثم تؤثر فيه بعد أن تصبح حقيقة مادية ... لها وجود محسوس وواقع ملموس " [٣] ، كما أنها " تنبع من الوجود الحقيقي للإنسان ، وتعيش في أعماقه ، وتسيح فوق أرضه صوراً من صور الحياة ، وتتخلل وجوده الاجتماعي قيماً وتقاليد ، وتزهو في خوافقه سلوكاً فذاً ، وإنسانية تستمد مظاهرها من الواقع البشري " [٤].

ومن أجل التعرف إلى هؤلاء الأبطال في كل مجتمع ورصد صور بطولتهم وأدواتها وبواعثها لا بد من الوقوف على أحوال الشعوب ، ومعرفة خصائصها ، ودراسة أنماط سلوكها الاجتماعي ، والتعرف إلى حياة إنسانها ، ولا بد أيضاً من معرفة القيم الإنسانية التي يقدسها المجتمع ، والتي

---

1 . النعيمي ، أحمد ، (١٩٩٥) ، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام ، (ط١) ، دار سينا ، القاهرة ، ص ١٢٨ .
2 . أبو السعود ، فخري (١٩٣٧)، البطولة بين الأدبين العربي والإنجليزي ، مجلة الرسالة ، السنة الخامسة ، ١/(١٨٩)، ص٢٥٠ .
3 . خالص ، صلاح ، (١٩٥٩) ، حول البطولة في الأدب العربي بعد ظهور الإسلام ، مجلة الآداب ، العدد(١) ، ص ١٤ .
4 . القيسي ، البطل في التراث ، ص ٤٧ .

تمثل " جداول تصب في النهر الكبير وهو البطولة ، أو تظهر كأنما تُستَمَدُ من الينبوع الكبير وهو البطولة " [١] .

ومما يوجب الحاجة إلى ذلك اختلاف مفهوم البطل والبطولة باختلاف العصر والبيئة ، فعلى سبيل المثال ، البطولة عند اليونانيين القدماء تجسدت " لدى أفراد المجتمع في بطل خيالي خارق يستطيع أن ينازل أعداءه ، ويقهر كل المعوقات التي تجثم على صدره ويقتحم المجهول الذي يغلف حياته " [٢] ، فالبطل اليوناني يحاول أن يقهر في خياله ما عجز عن قهره في واقعه ، ولذلك كان أول نوع أدبي أنشأه هو (الملحمة) والتي عُدت " قمة الشعر البطولي " [٣] ، ففيها سجلت السير البطولية الشعبية ، وقد سمت مكانة البطل الملحمي لدفاعه عن وطنه ولغيرته ونجدته ، ولهذا " أضفت عليه الجماهير هالة من القدسية ما لبثت أن تحولت إلى عبادة ، نظراً لما يمثله من قوة أسطورية ، لا يتحلى بها بنو البشر ، ونظراً للدور الخطير الذي يلعبه في حماية الأمة من أعدائها ، فارتفع بذلك من مصاف الإنسان إلى مصاف الآلهة " [٤] .

لقد استحق البطل الملحمي أن ينتقل من مصاف الإنسان إلى مصاف الآلهة لأنه بطل جماعي ، وليس بطلاً ذاتياً ، لقد انتصر على نفسه فهو لا يقود صراعاً من أجل ذاته بل من أجل أمته ووطنه ، وصراعه الخارجي ذاك يمثل صراعاً خيِّراً لتحقيق مصلحة الجماعة .

وعلى العكس من البطل الملحمي كان البطل التراجيدي ، فهو البطل الذي بدأ يشعر بذاته ويعي دوره ويتفهم مشكلاته ويعرف بعض مسبباتها ، أي أنه بدأ يعي إنسانيته وتفرُّده واستقلاله ، ولهذا لم يعد صراعه مع قوى غيبية ، مجهولة ، بل هو صراع مع واقعه الذي يحول بينه وبين تحقيق أهدافه ، " فالأبطال الترجيديون اليونانيون يصارعون غير معتمدين إلا على عقلهم وإرادتهم . فهم لا ينتظرون معجزة ، بل ينتظرون النتائج الطبيعية للأسباب الطبيعية " [٥] ، كما اختلف البطل الملحمي عن نظيره التراجيدي في كون الأخير قد تفاعل مع عصره وجابه المشاكل والصعوبات التي تواجه الإنسان العادي وهو في ذلك إما منتصر أو منهزم ، أما البطل الملحمي فهو المنتصر دائماً ، وهو الذي قاد صراعاً مع عالمه الخارجي دون أن يلتفت إلى ذاته [٦] .

---

1 . الحوفي ، البطولة والأبطال ، ص ٥٣ .
2 . طملية ، البطل في الرواية الفلسطينية والأردنية من عام ١٩٤٨ ـ ١٩٧٨ ، ص ٧ .
3 . أبو حاقة ، أحمد ، (١٩٦٠) ، فن الشعر الملحمي ومظاهره عند العرب ، دار الشرق الجديد ، بيروت ، ص ٢٢ .
4 . طملية ، البطل في الرواية الفلسطينية والأردنية من عام ١٩٤٨ ـ ١٩٧٨ ، ص ٨ .
5 . عياد ، شكري ، (١٩٥٩) ، البطل في الأدب والأساطير ، دار المعرفة ، القاهرة ، ص ٦٧ .
6 . انظر : طملية ، البطل في الرواية الفلسطينية والأردنية من عام ١٩٤٨ ـ ١٩٧٨ ، ص ١٠ ـ ١٢ .

وفي العصور الوسطى يلاحظ أن الأبطال الكلاسيكيين " غالباً ما يشتقون من التاريخ ، غرباء عن بيئتهم زماناً ومكاناً " [١] لا يقودون صراعاً مع القوى الاجتماعية المحيطة بهم لأنها في الغالب منصاعة لهم ، فهم من يملكون أسباب الحياة من مال وحكم وسلطة ، ولا يخوضون أيضاً صراعاً ذاتياً مع أنفسهم لأنهم يؤمنون بالمثالي والمطلق ويخضعون لقوانين الطبيعة التي أرستها المعارف والقيم والتقاليد السائدة .

ومع فجر القرن الثامن عشر بزغ نجم البطل الرومانسي الذي يستشعر ذاته ويتنبه لقيمها ويُجِدُّ السير للتحرر من ربقة العبودية التي طالما ربطته بإقطاعية سيده ، أو بقصور الأمراء والنبلاء ، وبهذا غاير البطل الرومانسي وبما آزره من قيم الطبقة المتوسطة آنذاك ما كان عليه حال البطل الكلاسيكي الذي دعمته قواعد الطبقة الأرستقراطية الحاكمة [٢] .

وقد سبق الباحثون إلى دراسة مفهوم البطل والبطولة في العصر الجاهلي والعصر الإسلامي[٣] ، وليس من شأن هذه الدراسة أن تعيد القول في ذلك ، فهي مقتصرة على دراسة البطولة في العصر الأموي معتمدة شعره دون نثره .

ومعروف أنه كان يغلب على حياة العرب في الجاهلية الحل والترحال بحثاً عن ماء وكلأ في صحراء فقيرة جدباء ، وليس بغريب أن يحاط هذا الترحال بجملة من المخاوف والأخطار ، وتتخلله المتاعب والمهالك ، وانتقاء أماكن الماء والكلأ هو محط تنازع القبائل وسبب تقاتلها وتصارعها ، فالحياة االجاهلية بطبيعتها هذه " كانت تفرض على أبنائها أدب الفروسية وتعلمهم تقديس البطولة ، لأن هذا النمط من الحياة حافل بذكر الحروب ، مليء بحوادث الأيام " [٤] ، لقد جعل هذا كله حياة الجزيرة العربية " ساحة حربية تقتتل فيها العشائر والقبائل ، ففي كل جانب يتصارع الأبطال ، وتُشهَرُ السيوف ، وتلمع الرماح ، وتُصَوَّبُ النِّبال ، وتُدَقُّ الأعناق ، وتسيل الدماء " [٥] ، ولذلك كان من الطبيعي أن تقترن البطولة في حياة الجاهلي بالقوة ، ومن الطبيعي أيضاً أن يحاول جاهداً امتلاك أسباب تلك القوة ، لأنه كان يدرك أن الضعف في حد ذاته فناء ،

---

1. انظر : المصدر نفسه ، ص ١٤ .
2. انظر : المصدر نفسه ، ص ١٦ ـ ٢٠ .
3. نذكر من هذه الدراسات دراسة البطولة في الشعر الجاهلي لمنذر الزعبي ، ودراسة البطولة في الشعر العربي الإسلامي زمن الرسول صلى الله عليه وسلم لحسن الشلبي ، ودراسة البطولة في الشعر العربي لشوقي ضيف .
4. القيسي ، نوري حمودي ، (١٩٦٤) ، الفروسية في الشعر الجاهلي ، (ط١) ، مكتبة النهضة العربية ، بغداد ، ص١٢٤ .
5. ضيف ، البطولة في الشعر العربي ، ص ١٧ .

وأن الهزيمة التي تكتب عليه في أية معركة تعني خضوعه وارتماءه في مهاوي الذل ، وقبوله لكل ما تفرضه عليه إرادة المنتصر مهما كانت هويته ، وعلى العكس من ذلك فإن النصر الذي يحققه أي إنسان من أبناء القبيلة ، هو النصر الذي يتوج حياتها ، ويرفع مكانتها ، ويعلي قدرها ، وإن الإرث القتالي أو الظفر البطولي الذي يكتب في أية معركة هو الدليل الذي تبقى عناصره فاعلة في كل مآثرها ..

لقد فرضت البطولة الحربية نفسها بادئ الأمر على العربي في الجاهلية ، فالحرب ميدان التدريب ، وفيها " يتقوَّم الضعيف ، ويشتد ساعده ، ويقوى عوده ، ليكون أهلاً للنزال إذا التحمت المعارك ، واشتدت المنازعات ، وليذود عن حماه ، ويدافع عن الحقيقة ، ويصون العرض ، ويرفع اسم القبيلة عالياً في مجالات المجد والرفعة والسؤدد " [١]، فوجب عليه أن يتسم بالبطولة ويتصف بالشجاعة لينافح عن حياته ويحافظ على بقائه .

لكن البطولة الحربية لم تكن هي الوحيدة في العصر الجاهلي ، وإنما هناك ضروب شتى ، وألوان عدة من البطولة حملت في ثناياها بطولات نفسية ترتبط بالنفس والتغلُّب عليها ، منها بطولة الحلم وما تتطلبه مواقعه ، ورجاحة العقل وما تمليه ضروراته ، والتي يتسم صاحبها بكظم الغيظ والترفع عن النزق والطيش ، والسَّفه والغضب ، وبطولة الصبر التي يتحمل فيها البطل الشدائد والصِّعاب ، ويتغلب فيها على الهلع والفزع ، ويثبت أمام القوارع والخطوب ، إضافة إلى بطولة الحزم التي يتميز صاحبها بتغلُّبه على التردد في الرأي فهو صاحب الرأي الأمثل والأصوب ، لا يخالفه الصواب ، ولا يجانبه الرّشاد ، ومن ذلك أيضاً بطولة الإباء والعزة والتي يتعاظم صاحبها عن الصغائر ويترفع عن شهوات النفس الوضيعة ، ويتجه بها إلى الأهداف النبيلة الرفيعة ويوطن نفسه على الأنفة والعزة ورفض الضيم [٢] ، وغيرها من البطولات التي تمثل استجابة لمتطلبات الواقع والمتمثلة في اتخاذ الموقف المناسب في حماية الجار وإغاثة الملهوف وفك العاني ، والقدرة البيانية .

ومثلت البطولات الخُلُقية جزءاً من البطولات التي ظهرت في العصر الجاهلي ، ومنها بطولة العفة عن كل متاع مادي والبعد عن أي مغنم أو سلب ، ومن ذلك أيضاً بطولة الكرم وبسط ذات اليد وإيثار الآخرين والتغلب على شح النفس ، وكذلك بطولة الوفاء بالعهد وتوفير الحماية

---

[1] . القيسي ، الفروسية في الشعر الجاهلي ، ص ٧٦ .
[2] . انظر : ضيف ، البطولة في الشعر العربي ، ص ١٤ .

للمستجير [١] ، وهي في مجملها تعد بطولات " أحق بالتمجيد والإكبار من بطولة الحرب والقتال ، لأن بطولة الحرب قد تكون في العدوان الغادر ، لا في الدفاع المشروع ، وقد تكون وليدة الظروف والملابسات أو التكيف والاضطرار ، أما البطولات الأخرى مثل بطولة العفة ، وبطولة الحزم ، وغيرها من البطولات الخُلُقية ، فهي وليدة الاختيار ، أو هي استجابة للفطرة الخاصة ، والأخلاق المتميزة ، والتفوق على الناس " [٢] ، ولذلك حظي إنسانها وصاحبها بالمكانة الرفيعة العليَّة بين جماعته وكسب بها محبتهم واحترامهم ونال إعجابهم وتقديرهم .

وما إن نزل القرآن الكريم الذي جاء بالحق ليزهق الباطل ، فبدّل المعايير وغيَّر المفاهيم والقيم الجاهلية ، حتى رسم صورة للبطولة من خلال عرضه لقصص الأنبياء المتعددة ، فجاءت صورة " لأبطال مقاومة لا يستسلمون أمام الظلم ، ولا يحنون رؤوسهم للعدوان ولا يخافون ، بل يقفون دائماً موقف الصمود والمقاومة مرفوعي الرؤوس ، فقد كانت رسالتهم دائماً هي رسالة التقدم والبناء " [٣]. رسالة أساسها السعي للخير وبناء المجتمع وإنسانه ، ولذلك لم تعد البطولة " انعكاساً للذات في مثالية شخصية تعيد للحياة زهوها وامتلاءها بل استمراراً للحياة في الجماعة من بعده ، من خلال رسالة تملأ نفسه وتظل منها بمثابة الجوهر " [٤] . أي أن الصورة ما زالت رسماً لبطل ينصهر في بوتقة الجماعة ، ويتفانى في خدمتها ، ويسعى لصون مجدها وعزتها ، ويضمن لها أسباب منعتها وقوتها وتماسكها .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم " الأنموذج الإسلامي للبطل " [٥] في كل أفعاله وأقواله التي كانت صوراً حية للبطولة الإسلامية ، سواء ما كان منها في البناء والعمل أو ما كان جهاداً في ساحات الحرب ، " ولم تخل الحروب الشديدة التي وقعت له مع الأعراب من مشاهد قوة ، ولكنها لم تخل كذلك من دلائل رحمة وكرم وغفران ، وكان محمد صلى الله عليه وسلم لا يعتذر من الأولى ولا يفتخر بالثانية " [٦] . ولذلك فقد جمع بين بطولة الحرب والسلم وتشهد بذلك سيرته .

[1] . انظر : المصدر نفسه ، ص ١٥ .
[2] . الحوفي ، البطولة والأبطال ، ص ١٠ .
[3] . الجندي ، أنور ، (١٩٨٠) ، الإسلام وحركة التاريخ ، (ط١) ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ص ٤٤٦ .
[4] . سركيس، إحسان، (١٩٨١)، الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية، (ط١) ، دار الطليعة، بيروت ، ص ٨٠ .
[5] . الشلبي ، حسن مرعي حسن (٢٠٠٠)، البطولة في الشعر العربي الإسلامي زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أطروحة ماجستير غير منشورة ، جامعة آل البيت ، المفرق ، الأردن ، ص ٩ .
[6] . كارليل ، توماس ، (د.ت) ، الأبطال وعبادة الأبطال ، ترجمة : عبد الرحمن البرقوقي ، القاهرة ، (د.ن) ، ص ٨٥ .

ولم يعش النبي صلى الله عليه وسلم بمعزل عن جماعته ، بل كان بينهم يعلمهم ويرشدهم ، ولذلك فقد تمثلت البطولة في شخصيات أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ، وزخر العهد النبوي بأحداث البطولة التي صورها الشعر العربي آنذاك خير تصوير .

لقد اختلفت حياة العرب اختلافاً كلياً بهذا الدين الجديد الذي فهمه العربي ، ووعاه بالفطرة السليمة ، والدعوة الرّشيدة ، وفرض على معتنقيه استحقاقات كثيرة ، منها معاداة الأهل والعشيرة لهم في مكة ، والتنكيل بهم جسدياً ونفسياً من قبل أهلهم وذويهم ، ثم انصياعهم لأمر الهجرة الأولى إلى الحبشة ، وابتعادهم عن أهلهم ، وتركهم لمواطنهم ، ثم الهجرة الثانية إلى يثرب وما ترتب عليها من عزوف عن مباهج الدنيا ومتعها ، تبع ذلك استحقاق تجاوز ألم الفراق ، وغصة البعد عن المال ، وفراق الأهل ، إلى إن تنزل أمر الله بالقتال ، الذي دعاهم فيه إلى التضحية بالنفس ، قال تعالى : " أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير "[١] ، وبرزت هنا البطولة الحربية إلا أن دافعها لم يكن الذود عن حمى القبيلة وصون عرضها ، بل أصبحت ذات مضمون إيماني محض تتمثل في الجهاد في سبيل الله ، والاستشهاد من أجل الدعوة ، ولم تعد البطولة الحربية هي الفوز بمواطن الكلأ والماء ، ولا الظفر بالسلب والنهب ، وإنما هي ابتغاءً للثواب من الله وطلباً لنعيم جنانه ، وقد حدد هذا بوضوح في قوله تعالى : " الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت " [٢] .

إن ما سلف من حديث عن مفهوم البطولة عند العرب والغرب باختلاف الأزمان كان إشارات سريعة موجزة ، تلخص الأمر ، وتدلل على اختلاف مفهوم البطولة ، وصورها ، وأدواتها ، وبواعثها ، باختلاف البيئة والزمان ، إلا أنها تتفق على احترام البطل وتقديره ، ووصفه بالنموذج الذي يقتديه الناس ، وينحون نحوه ، وينتهجون منهجه ، ويسيرون على خطاه ، ولا زالت الأمم في عصرنا الحاضر تضفي هالة من التقديس على عظمائها وأبطالها ، وتعدّهم من صفوتها ونخبها ، وتمنحهم خصوصية يختلفون بها عن غيرهم من الناس ، وخير مثال على ذلك تلك النصب التذكارية ، التي تبدو شاخصة للعيان ، شامخة في البنيان في حواضر دول العالم إجلالاً وإكباراً لرجالاتها ، الذين سقطوا في ميادين العزة والشرف ، والذين أوجدوا للأمة منارات تقدمها ورفعتها وازدهارها في مناحي الحياة كلها .

[1] . سورة الحج ، الآية : ٣٩ .
[2] . سورة النساء ، الآية : ٧٦ .

الفصل الأول

" صور البطولة في الشعر الأموي "

أبَوْا أن يَفِرّوا يومَ كُرَّ عليْهِـــمُ ولا يَقتُلُ الأبطالَ إلا كرورُهـــا
ودارتْ رَحَى الأبطالِ في حومَةِ الوغى وأظْهَرَ أنيابَ الحُروبِ هَريرُهـــا

صور البطولة الحربية :

إن البطولة الحربية تنطوي على اتسام البطل قائداً كان أم مقاتلاً بعدة صفات في شخصيته أو سلوكه تكون مبعثاً لتفوقه على غيره وتميزه عنه ، فلا بد أن يتمتع بالشجاعة والجرأة وحسن التدبير وإدارة الأحداث إضافة إلى قوته الجسدية التي تساعده على الاستبسال في ساحة المعركة ، ولابد له أيضاً أن يمتلك عقلاً وتجربة ومهارة حتى يحسن التخلص من المآزق ، والنجاة من المهالك .

إن البطل القائد يدبر شؤون الحرب ، ويرسم خطط المعارك ، ويتفانى من أجل تحقيق النصر والدفاع عن وجود القبيلة والوفاء لأحلافها ، وأما البطل المقاتل فيجيد فنون القتال بأنواعها ، شجاع غير هيّاب ، مهمته الكر والفر ، والفتك بالخصوم ، فلا بد له أن يتقن المهارات القتالية ، وحسن المحاورة والمراوغة ، وسرعة الانقضاض ، وشجاعته أهم مقوماته وأبرز صفاته ، تكسبه الثقة بالنفس والجرأة في الفعل ، فالشجاع " في حصن من شجاعته وفي حماية من جرأته ، يستعذب الموت ويسترخص القتل ، وكأنه يسرع الخطو إليه ، يحدوه إقدام لا يعرف المبالاة ولا الإحجام ، إنما يعرف شقّ الجباه وطعن النحور وإزهاق النفوس "[١] ، ولذلك عدَّت العرب "

[1] . ضيف ، البطولة في الشعر العربي ، ص١٧ ـ ص ١٨ .

الشجاعة وقاية والجبن مقتلة "[١] ، فالشجاعة حصن البطل ، والجبن مكمن ضعف وهوان ، لذا يتفاخر الفرسان دائماً بشجاعتهم وإقدامهم وجرأتهم في القتال ، وفي هذا وفي ذلك يقول جرير مفتخراً بفروسية قومه إذا ما وقعت الحرب [٢]:

لقد علمَ الحيُّ المصبِّحُ أنَّنا متى يُقَلْ يا لَلْفوارس نركبِ

وفي حديثه عن مآثر قومه ومناقبهم ، وامتلاكهم المهارات القتالية ، وتميزهم بالروح البطولية الشجاعة ، يقول [٣] :

أليسَ فوارسُ الحَصَباتِ مِنَّا إذا ما الحربُ هاجَ لها عَكُوبُ [٤]

وفي موضع آخر يفاخر بنسبه وبأس أبناء قبيلته ، يقول [٥]:

فوارسُنا من صلبِ قيسٍ كأنهمْ إذا بارزوا حَرْباً ، أسنَّتهم صُلْبُ

ويقول أيضاً [٦] :

وَحَيٌّ محاربَ الأبطالُ قِدْمــاً أولو بأسٍ وأحلامٍ رِغــابِ

خُطاهُمُ بالسيوفِ إلى الأعادي ، بوَصْلِ سيوفِهِمْ يومَ الضِّرابِ

وكانت بسالة قوم جرير وبطولتهم الحربية موضع فخره واعتزازه إذ يقول [٧]:

ألَسْنا نحنُ قد عَلِمَت مــَعَدٌّ غداةَ الرَّوْع أجْدَرَ أنْ نَغارا

وأضْرَبَ بالسيوفِ إذا تلاقتْ هَوَادي الخيلِ صادِيَةً حِرارَا

وأطْعَنَ حينَ تختلفُ العَوالي بمأزولٍ إذا ما النَّقْعُ ثـارا [٨]

وأحْمَدَ في القِرَى وأعزَّ نَصْراً وأمْنَعَ جانِباً وأعَزَّ جـارا

ويفتخر الوليد بن يزيد بإقدامه وشجاعته ومهارته القتالية ، فيقول [١]:

---

[1] . النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ) . نهاية الأرب في فنون الأدب ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة ، ٣م، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، (د.ت) ، ٣ : ٢٢٤ .

[2] . الخطفي ، جرير بن عطية (ت ١١٤ هـ) ، ديوان جرير ، ط٤ ، ٢م ، (تحقيق نعمان محمد أمين طه) ، دار المعارف ،مصر ، ١ : ٣٠٥ .

[3] . المصدر نفسه ، ١ : ٤٨٨ .

[4] . العكوب : الغبار ، الحصبات : هم بنو حصبة ؛ طارق وثعلبة وسعد من بني يربوع .

[5] . جرير ، ديوانه ، ١ : ٣٠٦ .

[6] . المصدر نفسه ، ٢ : ٧٦٦ .

[7] . المصدر نفسه ، ٢ : ٨٨٨ . وانظر شواهد أخرى : ١ : ٢٨٥ ، ١ : ٣٢٩ ، ١ : ٣٣٨ ، ١ : ١٥٢ ـ ١٥٣ .

[8] . المأزول : الموضع الضيق .

أنا الوليدُ أبو العَبَّاسِ قدْ عَلِمَتْ عُلْيَا مَعَدٍّ مدى كَرّيِ وإقدامــي
بنى ليَ المجدَ بانٍ غيرُ مُدَّرَكٍ على مَنَارِ مُضِيئــاتٍ وأعلامِ [٢]

إن صورة البطولة الحربية تبرز في هيئة الفارس الشجاع الصلب ، والمقاتل المقدام الذي يهبُّ للغزو بكل ثبات وعزم ، والمبارز البارع الذي يتقن المهارات القتالية التي يوقع بها أكبر الخسائر في العدو ، والفتى الحصيف الذي يجيد التخطيط والتدبير للمعركة بما يضمن له النصر ، والحالم التواق لارتقاء أعلى مراتب المجد وأسمى درجات العزة ، القابض على جمر الطموح العالي ، السائر بخطىً واثقة بنفسها عازمة على الوصول إلى مبتغاها النبيل ، وتكاد تلك الصور تتجلى في معظم الشعر الأموي الذي خُص لوصف للحرب وأحداثها والتغني بالانتصارات والفتوحات ، وفي مدائح الشعراء الأمويين وبعض مراثيهم ، كما تجلت واضحة عند فخرهم بأقوامهم وقبائلهم ،

ويعتز الفرزدق ببطولة قومه الحربية ، فهم فرسان لا يلين جانبهم ، يحتملون الصعاب ويخوضون الغمرات يعضدهم في ذلك إيمانهم بربهم وثقتهم بقوتهم وشجاعتهم ، حتى غدوا بذلك أهلاً للحل والعقد بين الناس [٣]:

يختَلِفُ الناسُ ما لم نجتَمِعْ لهمُ، ولا اختلافَ إذا ما أجمَعَت مُضَـرُ
مِنّا الكواهلُ والأعناقُ تَقْدُمُـها، والرأسُ منا وفيه السمعُ والبصرُ [٤]
ولا نحالِفُ إلا اللهَ من أحــدٍ غير السيوفِ إذا ما اغرَوْرَقَ النّظرُ
وَمَنْ يَمِلْ يُمِلِ المأثورُ ذِرْوَتَهُ حيثُ التَقى من حَفافي رأسه الشَّعَرُ [٥]
أما العدوُّ فإنّا لا نلينُ لــهمْ، حتى يلينَ لِضِرْسِ الماضِغِ الحــجرُ

وتتبدى صورة البطولة الحربية في فخر الراعي النميري بقومه ، فهم خبروا الحرب واعتادوها ، حتى أنهم يستلون سيوفهم فيها ولا يغمدونها ، إلا إذا نالت من رقاب الأعداء ، وأردتهم قتلى [٦]:

والحربُ حرفتنا وبئست حرفة إلا لمن هو في الوغى مقدامُ

---

[١] . الوليد بن يزيد (ت ١٢٦ هـ)، ديوان الوليد بن يزيد ، (ط١)، (تحقيق د. حسين عطوان) ، دار الجيل ، بيروت، ١٩٩٨ ، ص١١٦ .
[٢] . غير مدّرك : لا يلحق .
[٣] . الفرزدق ، أبو فراس همام بن غالب التميمي (ت ١١٤ هـ). ديوان الفرزدق ،٢م ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦، ١: ٢٠٠. وانظر شواهد أخرى : ١: ١٨ ، ١: ٤٠ ، ١: ١٥٩، ١: ٣٤٨ .
[٤] . الرأس : أراد به الملك .
[٥] . المأثور : السيف .
[٦] . الراعي النميري، عبيد بن حصين (ت٩٧هـ)، شعر الراعي النميري ، (دراسة وتحقيق نوري القيسي وهلال ناجي)، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٢٤١ .

تعرى السيوفُ فلا تزالُ عريّة حتى تكون جفونَهُنَّ الـهامُ

والموتُ يسبقنا إلى أعدائنا تهفو به الراياتُ والأعـلامُ

وهذا قطَري بن الفجاءة التميمي الخارجي المعروف ببطولته يقتحم الهول ولا يخاف الموت ، بل يتصدى للرماح من كل جهة ، ويستمر على ذلك ، يقاتل ببسالة وإقدام حتى وإن جرح وسالت دماؤه بغزارة مخضبة سرج فرسه ولجامه ، يقول [١]:

لا يرْكُنَنْ أحدٌ إلى الإحـجامِ يومَ الوَغى مُتَخَوِّفاً لحِمَـامِ

فلقدْ أراني للرماح دريئـةً من عن يميني مرّةً وأمامـي

مُتَعرِّضاً للموتِ أضْرِبُ مُعْلَماً شَهْمَ الحروبِ مُشَهَّرَ الأعلامِ

أدْعو الكُماةَ إلى النِّزَالِ ولا أرى نَحْرَالكريمِ على القنَا بحَـرامِ

حتى خَضبْتُ بمَا تَحَدَّرَ مِن دَمِي أكنافَ سَرْجِي أو عَنَانَ لِجَامِي

وهكذا ظلت صور البطولة الحربية كثيرة متنوعة ، حادة الملامح ، بارزة القسمات ، يتصف فيها البطل بالشجاعة النادرة ، والإقدام المنقطع النظير ، والبسالة في حومات القتال . وفي ذلك يقول أحد الخوارج في معرض الإشادة بضروب البسالة ، وآيات البطولة التي تميز أصحابه بها ، فهم يمضون إلى لقاء عدوهم في إصرار وفرحة ، كأنهم ذاهبون إلى لقاء حبيب ، مستهينين بميدان الوغى وقوارعه ، يقول [٢]:

وهـمُ الاسودُ لدى العرين بسالةً ومن الخشوع كأنهم أحبارُ [٣]

يمضون قد كسروا الجفون إلى الوغى متبسمين وفيهم استبشارُ [٤]

فـكأنما أعداؤهم أحبابُـهُم فرحاً إذا خَطرَ القنا الخطّارُ

يَـرِدُون حَـومات الحمام وإنـها تالله عند نفوسهم لصغارُ

وعلى الرغم من أن البطولة الحربية عند الخوارج يقف وراءها باعث ديني ، إلا أنها بطولة حربية حقة في كل جوانبها ، ففيها الإصرار والتصميم والإقدام ، وتبرز فيها الشجاعة الحقيقية ، ولا يفت في عضدها خوف من موت ، أو رهبة من استشهاد ، وها هو ذا شاعرهم عبيدة بن هلال اليشكري يصوّر شجاعة الأبطال واستعذابهم الموت أبلغ تصوير ، قائلاً [٥]:

---

1 . عباس ، إحسان ، (١٩٦٣) ، شعر الخوارج ، دار الثقافة ، بيروت ، ص٤٥ ـ ص٤٦ .
2 . عباس ، شعر الخوارج ، ص ١١٦ .
3 . أحبار : جمع حبر ، والمراد هنا : العالم بالدين .
4 . جفن السيف : غمده ، وكسروا الجفون : كناية عن التصميم والجد في القتال .
5 . المصدر نفسه ، ص ٥٢ .

ومُسَوَّمٍ للموت يركبُ درعَهُ   بين القواضب والقنا الخَطّار [١]

يَهْوي وترفعُهُ الرِّماحُ كـأنهُ   شِلْوٌ تَنَشَّبَ في مخالبِ ضار [٢]

فثوى صريعاً والرماح تنوشُهُ   إن الشُّراة قصيرةُ الأعمار [٣]

كما يفخر الأصم الضبي الخارجي بقوة صحبه من الخوارج ، وبسالتهم في الحرب ، التي نالوا بها المجد والرفعة ، قائلاً [٤]:

وإنَّا لخوَّاضُونَ للموتِ غمرةً   على كلِّ موّارٍ رقاقٍ ملاطِمُهْ

وإنا لتَرْدي بالأكفِ رماحُـنَا   ويَبْني بها من كلِّ مجدٍ مكارمُهْ

إذا ذعرت ذاتُ الرِّماحِ جَرَتْ لنَا   أيامنُ بالطيرِ الكثير غنائِمُـهْ

إن ميدان الحرب هو المضمار الذي يكشف فيه البطل عن بطولته الحربية وشجاعته القتالية ، فهو لا يخاف العدو ولا يرهبه ، ويحسن تدبير شؤون المعركة وإدارتها بما يضمن له النصر وكسب الغنائم وفتح البلاد ، فهذا محمد بن القاسم الثقفي يتولّى ثغر الهند في ولاية الحجاج على العراق ، فيغزو تلك البلاد ، ويتمكن من فتحها فتحاً تاماً ، وكان في جيشه جندي من بني كلاب ، وقد تمكن يومذاك من قتل داهر ملك الهند ، فقال يفخر بذلك الفعل الكبير وكيف أنه خرق الجمع حتى ضرب داهراً ضربة خرَّ على أثرها صريعاً [٥]:

الخيلُ تشهدُ يومَ داهِرَ والقنا   ومحمدُ بنُ القاسم بنِ محمدِ [٦]

أنّي فَرَجْتُ الجمعَ غيرَ مُعَرِّدٍ   حتى علوْتُ عظيمَهُم بمهنَّدِ [٧]

فتركتهُ تحت العجاج مُجَدَّلاً   مُتَعَفِّرَ الخدَّينِ غيْرَ مُوسَّدِ

وشارك سَحبَان بن وائل في معركة " خُجَنْدة " مع قتيبة بن مسلم الباهلي ، ويبدو أن القتال كان كرّاً وفراً ، حتى أن المسلمين تضعضعوا في إحدى مراحل المعركة ، على نحو ما يظهر في وصف الشاعر للمعركة ، وفيه يفتخر الشاعر ببطولته وشجاعته ، وكيف أنه كان يحسن تدبير

---

1 . يركب درعه : مجاز عن سقوطه مضرّجاً بدمه فوق درعه . والقنا الخطّار : الرماح الطويلة .
2 . الشلو هنا : العضو من أعضاء الجسم إذا بُتِرْ .
3 . تنوشُهُ : تأخذه من كل جانب .
4 . المصدر نفسه ، ص ٥٧ .
5 . البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى ،(ت ٢٧٩ هـ). فتوح البلدان ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨، ص ٤٢٦ .
6 . القنا : قائم الرمح .
7 . عرَّد فلان : هرب .

أمور المعركة ، فيجمع المقاتلين ، ويعيد تنظيمهم إذا هُزموا ويتقدّمهم في الميدان ، فيصدُقُ في القتال ، ويجز رؤوس الأعداء ، يقول [1]:

فَسَلْ الفوارسَ في خُجَنْــ دَةَ تحت مُرْهَفَة العوالي [2]

هل كنتُ أجمـــعهُم إذا هُزموا وأُقدِمُ في القتالِ

أم كنتُ أضـــربُ هامة العاتي وأصبرُ للعوالي [3]

ومن الخصال التي يتصف بها البطل الحربي ، مِراسُهُ الحرب واعتيادها ، وبذله النفس فيها ، فهو لا يُسالم إذا استعرت الحرب ، ولا يحجم عند اللقاء ، ولا يتردد في خوض غمار الحرب ، وإنما يقتحم الشدائد والغمرات ، ولا يهاب تفاقم الأحداث ، يقول مالك بن الريب [4]:

إني لأستحيي الفوارسَ أن أرى بأرضِ العدا بَوَّ المخاضِ الـــرّوائم [5]

وإني لأستحيي إذا الحربُ شمّرت أن أُرخيَ دونَ الحربِ ثوبَ المُسالِـمِ

وما أنا بالنّائي الحفيظة في الوغى ولا المُتَّقي في السِّلمِ جرَّ الجـــرائم

ولا المُتأنّي في العواقب للّـذي أهِمُّ به من فاتكاتِ العزائـــــم

ولكنني مُسْتَوحِدُ العزْمِ مُقْــدِمٌ على غمراتِ الحادثِ المـــتفاقِمِ

وما زال ابن الرّيب يتغنى بفروسيته في قصيدته اليائية التي قالها عند احتضاره ، فقد كان يكرّ على العدو إذا انهزمت الخيل ، ويسرع إلى الميدان دون خوف أو رهبة إذا دعا الداعي إلى القتال ، ويصبر في اللقاء إذا احتدم الصراع ، ويحتمل الشدائد والصعاب ، يقول [6]:

وقد كُنْتُ عطَّافاً إذا الخيلُ أدبَــرَتْ سريعاً إلى الهيجا إلى مَن دَعانيا

وقد كُنْتُ صبَّاراً على القِرْنِ في الوغى ثقيلاً على الأعداء عَضْبَاً لِسانيا

ولا شك أن البطل يستحق الشكر والثناء على بطولته ، لإقرار بتميزه وتفرده عن بقية أقرانه ، ليكون دافعاً له ليحافظ على ذاك التميز ، ويستمر في بلائه الحسن حين يشتد أوار الحرب ويحمى وطيسها وتتطلب منه تدخلاً سريعاً ، وهذا ما حصل مع نصر بن سيّار الذي أبلى بلاءً حسناً في

---

[1] . الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، ٨ أجزاء ،(تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ٨ :٩٢ . وابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري ، (ت ٦٣٠ هـ). الكامل في التاريخ، ١٢ جزء ، دار صادر ، بيروت، ١٩٧٩، ٤ :٥٨١ .

[2] . العوالي : جمع عالية ، وهي نصف الرمح الذي يلي السنان .

[3] . الهامة : الرأس ، العاتي : الجبار .

[4] . القيسي ، نوري حمودي (١٩٨٢)، شعراء أمويون ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١ : ٤٠ .

[5] . البوّ : ولد الناقة إذا مات وحُشُوَ جلده بالتبن لتعطف عليه فتدر . الروائم : جمع رائمة وهي العطوف على ولدها .

[6] . القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب، (ت ١٧٠ هـ)، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، ط٢، جزآن ،(تحقيق محمد علي الهاشمي) ، دار القلم ، دمشق ،١٩٨٦، ٢ : ٧٦٢ .

وقعة الشِّعْب أيام الجنيد المُرِّي ، فقال يفتخر بنفسه ويشيد ببطولته الحربية ، ويفاخر الجند بدفاعه عن قائدهم بعد أن تفرقوا من حوله [١]:

أرمي العدوَّ بأفراسٍ مكلَّـــــمةٍ حتى اتخذْنَ على حُسّادِهن يَدا

مَنْ ذا الذي منكمُ في الشِّعْب إذ وردوا لم يتَّخِذْ حَوْمةَ الأثقالِ مُعْتَمـدا

فما حَفِظْتُمْ من اللهِ الوَصَـــاةَ ولا أنتُمْ بصبْرٍ طلبْتُم حُسْنَ ما وعدا

ولا نَهَاكُمْ عن التَّوْثابِ في عَــتبٍ إلا العبيدُ بضرْبٍ يكسرُ العَمدا

هلّا شكرتم دفاعي عن جُنَــيْدِكُمُ وَقْعَ القنا وشهابُ الحربِ قد وَقَدا

ويقع أعشى همدان في أسر الدّيْلم ، فيتألم أشد الألم للحال التي آل إليها ، ويوازن بينها وبين ما كان منه من بطولة في الحرب ، وشجاعة في القتال ، ومصابرة على أحادث المعارك وقوارعها ، فطالما ارتحل على الناقة العظيمة ، وقطع بها الفلوات الواسعة والفيافي المقفرة ، وكثيراً ما اقتحم الشدائد ، وخاض غمار الحروب ، وفرّج الكروب من دون تردد أو تحيُّر ، يقول [٢]:

كأنيَ لم أرتَحِلْ جَسْـــــرَةً ولم أجْفِها بعدما تَضْمَــــــرُ [٣]

فأجْشِمُها كُلَّ ديمـــومـــةٍ ويعرفُها البَلَدُ المُـقْفِـــــرُ [٤]

ولم أشهد البأس يوم الوغـــى عَلَيَّ المُفاضَةَ والمِغْـــــفَرُ [٥]

ولم أخرق الصفَّ حتى تميــلَ دارعةُ القومِ والحسَّـــــرُ [٦]

أطاعنُ بالرمح حتى اللَّبـــانُ يجري به العَلَقُ الأحمـــــرُ [٧]

وما كنتُ في الحربِ إذ شمّـرتْ كمن لا يُذيبُ ولا يُـخْثِــــرُ [٨]

ولكنني كنتُ ذا مِـــــرَّةٍ عَطوفاً إذا هتفَ المُحْجَــــرُ [٩]

أجيبُ الصَّريخَ إذا ما دعـــــا وعندَ الهياج أنا المِسْعَــــرُ [١٠]

وكذلك يفاخر عبيد الله بن الحر الجُعْفِي بحسن بلاء قومه في الحروب ، ويتغنى ببطولاتهم الحربية وقوتهم القتالية ، التي لا يعتورها خوف أو جبن ، ولا يساورها رهبة أو ضعف ، فيقول [١]:

---

[1] . الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٨ : ٢١٤ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٥ : ١٧٠ .

[2] . أعشى همدان ، أبو مصبح عبد الرحمن بن عبد الله (ت٨٣هـ)، ضمن كتاب الصبح المنير في شعر ابن أبي بصير ، الأعشى والأعشين الآخرين ، ط٢، دار ابن قتيبة ، الكويت ، ١٩٩٣ ، ص ٣٢٧ .

[3] . الجسرة : الناقة الطويلة العظيمة الخلق ، أجفها : أتعبها .

[4] . الديمومة : الفلاة الواسعة .

[5] . المفاضة : الدرع الواسعة ، المغفر : زرد على قدر الرأس يلبس للوقاية به .

[6] . الدارعة : فرقة من الجيش يلبسون الدرع ، الحسّر : جمع حاسر ، وهو من لا درع له .

[7] . اللبان : الصدر ، العَلَق : الدم اشتدت حمرته .

[8] . يذيب ولا يخثر : أراد أنه لم يكن ساعة اللقاء متحيراً أو متردداً والقول مأخوذ من المثل " وما يدري أيخثر أم يذيب " .

[9] . المحجر : المضيَّق عليه في الحرب .

[10] . المِسعر : موقد النار .

الضَّاربونَ من الأقوام هامَهُمُ ... بحيث يقرع عن هاماتها الصَّلَعُ

والطَّاعِنونَ ولم تَرْعَش أكفُّهُمُ ... إذا العوالي بأيدي القوم تختـرَعُ

شمُّ العَرانينِ ساداتٌ كأنَّــهُمُ ... بيض السيوف التي لم يعلها الطبعُ

ويخاطب ابن الحر مصعب بن الزبير مذكّراً إياه ببطولاته في الحروب ، وهو صاحب التجربة الطويلة ، الذي مَرِسَ الحرب واعتادها حتى خافه العدو وخشيه ، يقول له [٢]:

أرى الحربَ قدْ دَارَتْ عليك وفتنـة ... تضرم في الحافات منها المحاطـبُ

فحسبكَ قد جرّبتني وبلوتنـــي ... وقد ينفع المرءَ الكريمَ التجـــاربُ

ألم تعلموا أني عدو عدوكـــم ... وتشقى بنا في حربكم من تُحـــاربُ

أناضِلُ عنكمْ في المغيب عشيرتـي ... وأما بنفسي دونَكم فأُضـــــاربُ

لكُم باردُ الدُّنيا ونَصْلى بحرهـــا ... إذا عضَّ بالهام السيوفُ القواضـــبُ

فلسْنا كِراماً إنْ رضيْنا بذاكـــمُ ... ولم تتأهب في الحديدِ الكتائـــــبُ

ولم يرض ابن الحر أن يعقد البيعة لابن الزبير بعدما سجنه ولم يكرمه ، لذلك وقف في أصحابه يقول لهم : " أخبروني عنكم يا معاشر العرب ، لماذا نعقد لابن الزبير بيعة في أعناقنا ، فو الله ما هو بأشجع منا لقاء ، ولا أعظم منا غناء ، ... ، ونحن أصحاب القادسية والمدائن ، وجلولاء وحلوان ، ونهاوند ، وما كان بعد ذلك نلقى الأسنة بنحورنا والهام بصدورنا ، والسيوف بجباهنا ، وحر وجوهنا ، وإلا فليس يعرف لنا فضل ، ولا نعطى حقنا ولا يلتفت إلينا ... "[٣] ، إن ابن الحر يعدد في قوله هذا صفات البطل الذي يستحق البيعة ، ويستحوذ على ولاء الجماعة وينال رضاها ، وذاك ما يفتقده ابن الزبير ، فكيف والحال كذلك يعقد له بيعة ، بل إنه يتهدده ويتوعده ، فيقول [٤]:

فلا تحسَبَنِّي ابنَ الزبير كناعسٍ ... إذا حل أغفى أو يقال له ارتحـــلْ

فإنْ لم أُزِرْكَ الخيل تُرْدِي عوابساً ... بفرسانها حولي فما انا بالبطــــلْ

وإن لم تر الغارات من كل جانـب ... عليك وتندمْ عاجلاً أيها الرجــــلْ

ألم يأتكم يوم العذيب تجالـــدي ... به شيعة المختار بالمفصل الأقـــلْ

وبالقصر قد جربتموني فلم أحـم ... ولم أك وقافاً ولا طائشاً فشـــــلْ

وبارزت أقواماً بقصر مقاتـــل ... وضاربت فرساناً ونازلت من نـــزلْ

---

[1] . الكوفي ، أبو محمد أحمد بن أعثم ،(ت ٣١٤ هـ)، كتاب الفتوح ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد، الدكن، الهند، ١٩٦٨، ٢ : ٣٦١ .

[2] . الكوفي ، ابن أعثم ، كتاب الفتوح ، ٢ : ٣٦٣ .

[3] . المصدر نفسه ، ٢ : ٣٦٥ - ٣٦٦ .

[4] . المصدر نفسه ، ٢ : ٣٦٤ .

ويرتجز ابن الحر في مقام آخر ، مقرراً أن البطل الحربي لا يخاف الوغى ولا يهاب الموت ، بل يحسن القتال ويتقنه ، يقول [١]:

لو أن لي من شيعتي رجالاً مساعراً أعرفهم أبطـالا

لأحسنوا من دوني القتـالا ولم يهابوا في الوغى الآجالا

ويعلو صوت محمد بن القاسم من سجنه بالعراق ، متغنياً وهو في القيود والأغلال بانتصاراته يوم كان يهزم الأعداء فيروِّع نساءهم ويقتلُ أبطالهم ، فيقول [٢]:

فلئِن ثويْتُ بواسطٍ وبأرضِها رَهْنَ الحديد مُكبَّلاً مَغلولا

فلَرُبَّ قيْنةِ فارسٍ قد رُعْتُهَا ولَرُبَّ قِرْنٍ قد تركتُ قتيلا

ويُقتَلُ قتيبة بن مسلم الباهلي إثر خلافه مع سليمان بن عبد الملك ، فتتألم باهلة لمقتله ، ويرتفع صوتها على لسان شاعرها الأصم الباهلي يشيد بأمجادها ومآثرها ، ويطاول الخليفة بانتصاراتها ومنجزاتها التي حققها أبطالها ، فقد تولى أبناؤها زمام الأمور بخراسان فأذعنت لهم القبائل ، ودانت لهم بالسمع والطاعة ، فانطلقوا بخيلهم وسلاحهم يجتاحون من البلاد حصونها وقلاعها ، وسهلها وجبلها ، ويحققون من الفتوح ما لم يحققه أحد من قبل ، فهم بذلك يستحقون المجد والرفعة ، يقول [٣]:

ألم يَئِن للأحياء أن يعرفوا لنـــا بلى نحن أوْلى الناس بالمجد والفخرِ

نقود تميماً والموالي ومَذْحِــجاً وأزدَ وعبدَ القيس والحيَّ مـن بكرِ

نُقتِّلُ مَن شِئنا بعزَّةِ مُلْكِـــنا ونُجْبِرُ مَنْ شِئنا على الخَسْفِ والقسْرِ

سُليْمانُ كم من عسكرٍ قد حوتْ لكمْ أسنَّتُنا والمُقرباتُ بنا تَــجري [٤]

وكم مِن حصون قد أبحنا منـيعةٍ ومن بـــلدٍ سَهْلٍ ومِن جبلٍ وعْرِ

ومِن بلدةٍ لم يَغْزُها الناسُ قبْـلَنا غزوْنا نقودُ الخيلَ شهراً إلى شــهرِ

بهنَّ أبحْنا أهلَ كُلِّ مـــدينةٍ من الشّرْكِ حتى جاوزت مطلع الفجرِ

---

[1] . الكوفي ، ابن أعثم ، كتاب الفتوح ، ٢ : ٣٧٨ .

[2] . البلاذري، فتوح البلدان ، ٨ : ١١٢ ، وابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ٥ : ٨ .

[3] .الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٨ : ١١٢ ، وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٥ : ٨ .

[4] . المُقرّبات من الخيل : التي تُعَدُّ للركوب وتكرم فيقرب مربطها ومعلفها .

وما أعظم موقف جِروة بن يزيد الطائي من زوجته ، التي ما انفكت تلومه على غزو الترك وقد بلغ التسعين من العمر ، إذ لم يزده لومها له إلا إصراراً على المضي في الطريق الذي يرسّخ بطولته ويضمن له تميزه ، ولم يعد يستطيع الابتعاد عنه ، فهو بطل فارس صاحب هدف ، جعل ديدنه خوض المعارك وركوب المخاطر ، لأنها السبيل الذي يفضي به إلى المجد والسؤدد ، ويحقق له الرفعة والتقدم على الآخرين ، يقول [١]:

تلومُ حليلَتي بالغزو جهــــلاً	**وغيْرُ الغزو أولى بالمــــَلامِ**
ولولا الغزو كنتُ كمن يُغــــادي	**بأنواع الشَّبارق والمُـــــدامِ [٢]**
قليلُ الهمِّ يزهدُ في المعالـــــي	**ويرضى بالقليلِ من الطَّعـــامِ [٣]**
فهمِّي غيرُ هَمِّكِ فاتركينــــــي	**وغَزْوي إنه همُّ الكـــــــرامِ**

فالغزو عنده طريق للعلى ، وهو سبيل الذين لا يرضون بسقط المتاع وسفه الأشياء ، ووضاعة القدر ، وبساطة الهدف ، إلا أن زوجته لم تقنع بسلامة موقفه ، ونفاذ حجته ، فراحت تحتج عليه بضعفه وكِبَرِ سنه ، فردَّ عليها بأن أبطلَ حجتها وسفَّهَ رأيها ، فالكِبَرُ لا يُدني من الأجل ، والضعف لا يكون بالهرم وتقدم السن ، وإنما يكون بضعف الإرادة واضمحلال الهدف ، ولكنه قد أصر على الغزو حتى لا يموت مذموماً ، أو يعيش ضعيفاً ، تلعب به حوادث الأيام ، ويجترئ عليه الأبطال ، يقول [٤]:

وقالتْ قد كَبرْتَ فقلتُ كـــــلاّ	**وربِّ البيتِ والشهرِ الحــــــرامِ**
لقد أبْطلتِ ما كِبَري بمـــــُدْنٍ	**إليَّ حَليلتي قَدَرَ الحِمـــــامِ [٥]**
سأغزو أو أموت كذا خُفاتــــاً	**ولا آتي بداهـــــيةٍ وَذَامِ [٦]**
فإن الدهرَ يلعبُ أبْرديْــــــه	**بــكلِّ مُذَمَّمٍ جَلْدِ العظـــامِ [٧]**
ويتركُ كلَّ مضعوفٍ جَــــريءٍ	**على الأبطالِ يُعرَفُ بالزِّحــــامِ**

ويلازم قوم القطامي السيوف ، ويجترئون على العدو ، فلا يخافون ضراوة المعارك واشتدادها ، ولا يفرون من ساحاتها ، فهم أبطال حربيون ذوو شان ورفعة [١]:

---

[1] . السجستاني ، أبو حاتم سهل بن محمد (ت ٢٤٨ هـ) ، كتاب المعمرين والوصايا ، (تحقيق عبد المنعم عامر)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، ١٩٦١، ص ٦٨ .

[2] . الشبارق : اللحم المطبوخ ، والكلمة فارسية معربة . والمُدام : الخمر .

[3] . الهم : أراد بها الهمة والطوح .

[4] المصدر نفسه ، ص ٦٩ .

[5] . أبطلتِ : قلت باطلاً ، الحِمام : الموت .

[6] . الخفات : الموت فجأة ، الذام : العيب .

[7] . الأبردان : الغداة والعشي .

ومَعْقِلُنا السيوفُ إذا أنَخْنـــا — **وقدْ طارَ القنازِعُ والشــــرارُ**

بضَرْبٍ تَبْصِرُ العميانُ منـــهُ — **وتعْشى دونهُ الحَدَقُ البصـــارُ**

نهزُّ المشرفيَّةَ ثمّ نعــــدو — **وليْسَ بنا عن العـــادي ازورارُ**

لقد كان الغزو سبيل قوم العرجي لتحقيق مطامحهم السامية ، وصفحة يرسمون عليها معالم بطولتهم الحربية ، وميداناً لإثبات ذاتهم وشجاعتهم ، وقوة عزيمتهم ، وشدة بأسهم ، يقول[2] :

وكلُّ فِعالِهِمْ في السِّلْمِ مَفخَـرَةٌ — **وكلُّ جيشٍ لهُمْ في الحربِ منصـورُ**

وكُلُّ عَوْنٍ لهُمْ يُزْجَى فمَكْرُمَــةٌ — **وكُلُّ خصْمٍ لهُمْ في الدَّهْرِ مدحـورُ**

فَحيِّهِمْ وتحدَّثْ عن مفاخِرِهِـمْ — **فكُلُّ ما فعَلوا في المجْدِ مأثـــورُ**

والأشعار التي قالها شعراء العصر الأموي يفخرون فيها ببطولاتهم الحربية وشجاعة فرسانهم وبأسهم في الحروب ، كثيرة [3] ، ومن الجدير أن يستطلعها القارئ في مظانها ، إذ لا سبيل لحصرها في هذه الدراسة .

ويتضح نموذج البطل الحربي أيضاً في مدائح الشعراء للخلفاء ، حيث إن البطولة الحربية ذات مكانة رفيعة تجعل منها صفة يبرزها الشعراء في مدائحهم ، ويصفون بها ممدوحيهم من الخلفاء والأمراء ، وغالباً ما تتضمن مدحة الشاعر للخليفة حديثاً عن بطولته الحربية وشدة إيقاعه بالأعداء ، وذوده عن المحارم ودفاعه عن الثغور ، وما ذلك إلا دليل على رفعة هذا النموذج ، وسمو مكانته في المجتمع الأموي بعامة ولدى الشعراء بخاصة ، ومن ذلك مدح الأخطل التغلبي لعبد الملك بن مروان ، الذي تبرز فيه صورة البطل الحربي الذي يستقل الشدائد وتصغر في

---

[1]. القطامي ، عمير بن شييم (ت ١٠١هـ)، ديوان القطامي ، ط١ ، (تحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب) ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص١٤٩ . وانظر شواهد اخرى : ص٣٦، ، ص٩٠ ، ص٩١ ، ص٩٦ ، ص١٢٨ ، ص١٧٦- ص ١٧٧ .

[2]. العرجي ، عبد الله بن عمر (ت ١٢٠هـ) ، ديوان العرجي ، ط١ ، (جمعه وحققه وشرحه سجيع جميل الجبيلي) ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ص٢٢٩ . وانظر شواهد أخرى : ص١٨٠، ص ٢٤٩ .

[3]. انظر : البارقي ، سراقة بن مرداس الأزدي (ت٧٩هـ) ، ديوان سراقة البارقي ، (ط١) ، (حققه وشرحه حسين نصار) ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٧، ص٤٩، ص١٠٠ ، ص ١٠١ . وانظر :عباس ، شعر الخوارج ، ص٤٢ – ص٤٤، ص٦٣- ص٦٥، ص٧٣ ، ص٩٠ ، ص٩٥ . وانظر : التيمي، عمرو بن لجأ (ت١٠٥هـ) ، شعر عمر بن لجأ التيمي ، (تحقيق يحيى الجبوري) ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص١٠٦، ص١٢٤. وانظر : الليثي ، المتوكل بن عبد الله (ت٨٥هـ)، شعر المتوكل الليثي ، (جمع وتحقيق يحيى الجبوري) ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، ١٩٧١، ص١٢٤ ، ص٢٢٣ ، ص٢٤٢ . وانظر : ابن سهية المرّي ، أبو الوليد أرطأة بن زفر (ت٦٥هـ) ، شعر أرطأة بن سهية المري ، ط١ ، (جمع وتحقيق شريف علاونة) ، دار المناهج ، عمان ، ٢٠٠٦ ، ص٥٩- ص٦٠ . وانظر : ابن أذينة ، عروة بن يحيى بن مالك الليثي (ت ١٣٠هـ) ، شعر عروة بن أذينة ، (تحقيق يحيى الجبوري) ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، ١٩٧٠، ص٨٧ ، ص١٠٠ ، ص١٠٣، ص١٣٧ ، ص١٨٨، ص٢٠٨ ، ص٢٥٠ ، ص٢٥٢ ، ص٢٨٢.

عينيه العظائم ، فهو يركب الحرب على كل حال من حالاتها لا يخشى الأعداء ولا يهابهم ، يقول [١].

تَرَى الحَلَقَ الماذِّيَ تجري فُضُولُـهُ　　على مستخِفٍّ بالنوائبِ والحــربِ [٢]

أخوها إذا شاكت عَضُوضاً سَمَا لهـا　　على كلِّ حالٍ من ذلولٍ ومن صَعْبِ [٣]

إمامٌ سما بالخيل حتى تَقَلْقَلَــتْ　　قلائدُ في أعناق مُعْمَلَةٍ حُــدْبِ [٤]

شواخِصَ بالأبصار من كل مُقْـرَبٍ　　أعِدَّ لِهَيْجا أو مُوَاقفةِ الرَّكْــبِ [٥]

ومن ذلك أيضاً قول جرير في الوليد بن عبد الملك [٦]:

وإذا الكتائب أعلَمَتْ راياتِهــا　　وكأنَّهُنَّ عِتاقُ طيْرٍ حُــوَّمِ [٧]

نطحَ الرؤوسَ بهامةٍ فتفرَّقــوا　　عنها وعظمُ فَراشِها لم يُهْــزَمِ [٨]

مِرْدى الحروبَ إذا الحروبُ توقَّدتْ　　وَحَياً إذا كَثُرَتْ عمادُ الــرُّزَّمِ [٩]

وهذا عدي بن الرقاع العاملي يشيد بانتصارات الوليد بن عبد الملك ، التي لم تتأت لأحد قبله ، فهو البطل الحربي المقدام الذي يحقق النصر تلو النصر ، ويكفُّ الفساد عن أرض المسلمين ويحمي حماها ، ويوقع في أرض العدو أفدح الخسائر وأعظمها ، يقول [١٠]:

أولا ترى أن البريّة كُلَّهــا　　ألقتْ خزائِمَها إليه فقادهــا

ولقد أراد الله إذْ ولاكهــا　　من أمةٍ إصلاحَها ورشادَهــا

وعمرت أرض المسلمين فأقبلـتْ　　ونفيت عنها من يريد فسادهــا

وأصَبتَ في أرض العدو مصيبــة　　بلغت أقاصي غوْرها ونجادِهــا

نصْراً وظفراً ما تناولَ مثلَــهُ　　أحدٌ من الخلفاءِ كان أرادَهــا

وامتدحه جرير أيضاً واصفاً شدة بأسه وقوته ، فقال [١] :

---

[1] . الأخطل ، أبو مالك غياث بن غوث التغلبي (ت ٩٥هـ) ، شعر الأخطل ، (تحقيق فخر الدين قباوة) ، دار الأصمعي ، حلب ، ١٩٧١، ١ :٣٩ . وانظر : مؤلف مجهول ، نقائض جرير والأخطل ، (عني بطبعها الأب أنطون صالحاني اليسوعي) ، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ،١٩٢٢، ص ٩٧ .

[2] . الحَلَقُ : أراد حلقَ الدروع ، والماذي : الأبيض الخالص من الحديد ، وتجري فضوله : يعني أنها درع سابغة ، وهي التي تجرها في الأرض أو على كعبيك طولاً وسعة .

[3] . شالت الحرب : اشتعلت ، والعضوض : الشديدة .

[4] . تقلقلت : تحرَّكت واضطربت ، والمعملة : المُدأبة في السير ، والحُدب : جمع أحدب ، والأنثى حدباء ، وهي الخاضعة ، أخضعها طول التعب .

[5] . المقرّب : المؤثر المكرَّم، والمقربات من الخيل : التي تؤثر باللبن دون العيال وتقرّب من البيوت .

[6] . جرير ، ديوانه ، ١ : ٧١ .

[7] . أعلمت : وُسِمت بسمات الحرب ، العتاق : سباع الطير . حوّم : تحوم على الشيء .

[8] . الفراش : عظام صغار تتطاير إذا كسر الرأس .

[9] . الحيا : الخصب والغيث . الرُّزَّم : المهازيل تنهض هزالاً فترفع بالعَمَد حتى تقوم ، واحدها رازم .

[10] . العاملي ، عدي بن الرقاع (ت٩٥هـ)، ديوان عدي بن الرقاع العاملي ، (تحقيق نوري حمودي القيسي وحاتم الضامن) ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ، ١٩٨٧، ص٩١ – ص٩٢ .

ونازَعْتَ أقواماً فلمّا قهرتَهُــمْ وأعْطِيْتَ نصراً عاد فيك العواطفُ

لقد وجدوا منكم حبالاً متينـــة فذلُّوا ولانت للقياد السوالـفُ [٢]

ويؤكد جرير أن هشام بن عبد الملك بطل مقدام ، حق له التميز والتفرد ، فهو ماضي العزم ، واثق الخطى ، يحسن التخطيط والتدبير ، قادر على إهلاك عدوّه واستئصاله [٣]:

وإنْ أهْلُ الضلالةِ خالفــوكمْ أصابَهُمُ كما لقيتْ ثمُــودُ

وأمَّا من أطاعَكُمُ فَيَرْضَــى وذو الأضْغانِ يخْضَعُ مُستَقيدُ

وتأخذُ بالوثيقةِ ثم تمضِــي إذا ازدَحمتْ لدى الحرب الجُنودُ

تهنَّأ للخليفة كُلُّ نصـــرِ وعافيةٍ يجيءُ بها البريـدُ

رَضينا أنَّ سَيْبَكَ ذو فضــولٍ وأنَّكَ عن محارمِنا تَـذودُ

وأنكمُ الحُماةُ بكلِّ ثغــرِ إذا ابتلَّتْ من العرق اللُّبــودُ [٤]

وكذلك يمتدح جرير خالداً القسري والي العراق لهشام بن عبد الملك ، فينوه ببطولته الحربية وهيبته ، وما تحقق على يديه من نصر حفظ ثغور المسلمين وصانها من الضياع ، يقول [٥]:

حَمَيْتَ ثغورَ المسلمينَ فلمْ تُضِـعْ وما زلتَ رأساً قائداً وابن قائـدِ

فإنَّكَ قد أعطيْتَ نصراً على العِدا فأصبحْتَ نوراً ضوؤهُ غير خامـدِ

بنَيْتَ بناءً ما بنى الناس مثلَــهُ يكادُ يُسَاوَى سُورُهُ بالفَراقِـدِ

وجاء رؤبة بن العجاج على ذكر بطولة خالد القسري الحربية ، وما اتسم به من قوة وحزم وجلد في مواجهة الشدائد والإحن ، فقد وحّد صفوف الأمة ، وقهر الأعداء ودفع كيدهم عن ثغور المسلمين ، يقول ابن العجاج [٦]:

بخالدٍ ذا مِرَّةٍ مُعاضِــدا إذا الأمورُ أعرَوْرَتِ الشدائــدا [٧]

شَدّ العرى واَحكَمَ المقاعِــدا محرابَ حربٍ يقْرَعُ الصَّنَــادِدَا

إنْ هيجَ هَيْجٌ هِجْتَهُ مُناجِــدا في كلِّ يومٍ يُشْهِرُ المَجَالِــدا [٨]

---

1. جرير ، ديوانه ، ٢ : ٦٨٦ .
2. ذلوا : أي ذلت رقابهم . السّالفة : صفحة مقدم العنق .
3. المصدر نفسه ، ١ : ٢٩٠ ـ ٢٩٢ .
4. اللبود : جمع لبد ، وهو الشعر أو الصوف .
5. جرير ، ديوانه ، ٢ : ٦٠٦ .
6. ابن العجاج ، أبو الجحاف رؤبة بن عبد الله (ت١٤٥هـ)، ديوان رؤبة بن العجاج ، في مجموع أشعار العرب، ط١، (اعتنى بتصحيحه وليم بن الورد البروسي) ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٤٧ .
7. المِرَّة : القوة والشدة ، أعرورت : تأزمت واشتدت .
8. الهَيْج : الحرب ، وأهاجها : أثارها ، المجالد : جمع مجلد ، وهو قطعة من جلد أو خرقة تلطم بها النائحة وجهها .

وكما فخر الشعراء الأمويون ببطولة أقوامهم الحربية ، وامتدحوا الأبطال الحربيين ، فقد رثوهم أيضاً ، فالبطل هو الذي يزف بشائر النصر لأمته ، ويجلب لها الغنائم التي يفوز بها من فتوحاته ، فإذا مات توقف سيل الغنائم ، يتضح هذا المعنى في قول نهار بن توسعة في رثاء المهلب بن أبي صُفرة [(١)]:

ألا ذهب الغزو المُقرِّبُ للغنـــى ... ومات الندى والجودُ بعد المهلَّـــبِ

أقاما بمرو الرُّوذِ رهْنَيْ ضريــحهِ ... وقد غُيِّبا عن كلِّ شرقٍ ومغْـــربِ

ويعلن الفرزدق أنه لم يبق بعد الجرّاح الحكمي من يذود عن المحارم ، ويغيث الملهوف ، ويشيع الأمن ، فكيف لا تبكيه النساء ؟ وقد فقدت بموته فارساً شهماً ، وبطلاً بارعاً مقداماً يَلُذْنَ به إذا احتدم الصراع وجاش العدو ، يقول [(٢)]:

ومَن بعده تدْعو النساء إذا سَعتْ ... وقد رفعت عنه ذُيولَ المخـــادم [(٣)]

وكان إلى الجرّاح يسْعى، إذا رأتْ ... حياضَ المنايا عينُهُ، كُلُّ جـــارمِ

وقد عَلِمَ الساعي إليه لتَعْطِفَــنْ ... له حَبْلَ منَّاع من الخوف سالـــمِ

لتبْكِ النساءُ الساعياتُ، إذا دعتْ ... لها حامياً، يوماً، ذِمارَ المحـــارم

وتبكِ عليهِ الشمس والقمرُ الــذي ... به يَدَعُ السّارينَ مِيلَ العمائـــم [(٤)]

ولا تتعطل الغنائم وحسب بموت البطل ، بل يصل الأمر بالكميت إلى أن يعطّل الدنيا بموت عبد الله البطّال [(٥)]:

فأي فتى دُنيا ودينٍ تلمَّست ... بدير حَنيناءَ المنايا فدُلَّتِ [(٦)]

تعطَّلت الدنيا به بعد موتهِ ... وكانت لنا حيناً به قد تَخَلَّتِ

وفي رثاء كعب الأشقري للمهلب بن أبي صفرة يبرز بطولته ، وينوّه بالخسارة الفادحة التي خلّفها بعده ، إذ لم يبق من يعين على الرفد ، ويطعم الطعام ، ويدفع كيد العدو ، فالجبال بدت باكية

---

1 . الزبير بن بكار، أبو عبد الله الزبير بن بكار القرشي(ت ٢٥٦ هـ)، الأخبار الموفقيات ، (تحقيق سامي مكي العاني)، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦، ص٣٨٦ . والمسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ)، التنبيه والإشراف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١، ص٢٩٤ .

2 . الفرزدق ، ديوانه ، ٢ : ٢٣٩ .

3 . المخادم : خلاخيل المرأة . ويريد من تدعو النساء بعده عندما تشمر ذيولها للهرب يوم الشدة وقد كشفت خلاخيلها .

4 . ميل العمائم : أي أخذ النعاس بعيونهم ، فهوت رؤوسهم ومالت عمائمهم ، كل هذا لاطمئنانهم .

5 . البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ). معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ٤ أجزاء ، ٢م ، (تحقيق مصطفى السقا) ، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، ١ :٥٨٠ .

6 . دير حَنيناء : موضع قيل إن البطّال مات فيه قافلاً مع معاوية بن هشام في غزوة ، فأمر معاوية الشعراء برثائه .

حزينة لفقد فارسها وبطلها ، والأرض هدت أركانها ، والشمس حُجِبَ ضوؤها، كيف لا وقد ذهب من يقهر العدو ، ويُسَدُّ به الثغر [(١)]:

ترحّلتِ الأجيادُ تبغي عميدَهـــا	**أخا الحرب وارتهُ السفائِفُ والقبْـــرُ**
يقولونَ هل بعد المُهَلَّبِ نعمـــةً	**من العيشِ إلا قد أتى دونَها الدّهـــرُ**
ولا نائلٌ إلا قليلٌ مُصَـــــدّدٌ	**قليلُ الغنى في الناس مطلبُهُ وعْـــرُ**
وهدّت لذاك الأرضُ حتى كأنَّهـا	**بكثُهُ الجبالُ الصُّمُّ وانصدعَ الفجْـــرُ**
وأظلمت الآفاقُ حتى كأنَّمـــا	**يُرى دونَ ضوءِ الشمسِ من دونها سِتْرُ**
فمن ذا الذي يُرجى لكل عظيمـةٍ	**تَحُلُّ بنا أو من يُسَدُّ به الثـــغرُ**

إن تفرُّد البطل في جماعته بما قام به من أعمال بطولية في حياته ، هو أمر تقره الجماعة ، ويعتز به أفرادها ، ويسجِّله شعراؤها ، ومن ذلك قول عبد الرحمن بن جمانة الباهلي في رثاء قتيبة بن مسلم [(٢)] :

كأن أبا حفصٍ قُتيبَةَ لم يســـر	**بجيشٍ إلى جيْشٍ ولم يَعْلُ مِنْبَـــرا**
ولم تخفق الراياتُ والجيشُ حولَـهُ	**وقوفٌ ولم يشهَدْ له الناسُ عسْكـرا**
دَعَتْهُ المنايا فاستجابَ لربّــه	**وراح إلى الجنَّاتِ عفّاً مُطهّـــرا**
فما رُزِىء الإسلامُ بعدَ محمّـــدٍ	**بمثلِ أبي حَفصٍ فبكِّيهِ عَبْهَـــرا [(٣)]**

إن دعوى الشاعرين الآخرين إلى البكاء على البطل إظهاراً لمكانته وتنويهاً لمآثره ، هي دعوى مألوفة ، فهذا الحارث بن عبد الله الأزدي يرثي سفيان بن عوف الأزدي فيستمطر عينيه دماً بعد أن نفد الدمع منهما ، ويعظّم المصيبة على معاوية بن أبي سفيان لفقده بطلاً فذاً ، وقائداً عظيماً طالما ردّ كيد الروم وفلَّ جموعهم ، ويطلب من النساء والخيل أن تبكيه وتنوح عليه ، لما كان منه من شجاعة ومروءة واستبسال في الدفاع عن الشرف والمحارم [(٤)]:

أعيْنَيَّ إن أنْفَدْتُما الدَّمعَ فابْكِــيَا	**دَمَايَانِ سفيانَ بن عوفٍ فُودّعـــا**
مُعاويَ مَن للروم جاشَتْ وأقبلَتْ	**عليكَ ولا سفيانُ للدّاعِ إن دعـــا**
لِيَبْكِ على سفيان شُعْثٌ أرامِــلٌ	**وأرملةٌ شَعْثاءُ في الثغر ضيعـــا**
وبكِّ على سفيان كلَّ طِمِـــرّةٍ	**وكلَّ طِمِرٍّ سارحٍ قد تخلّعـــا [(٥)]**

---

[1] . الكوفي ، ابن أعثم ، كتاب الفتوح ، ٧: ١٢١ .

[2] . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٨ : ١١٢ . و ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٥ : ١٩ .

[3] . عبهرا : يعني أم ولد له .

[4] . ابن عساكر ، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسين (ت ٥٧١ هـ) ، تاريخ مدينة دمشق ، (تحقيق علي شيري) ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٥ هـ ، ٣ : ٤٥٥ .

[5] . الطِمر والطمرة : الخيل الخفيفة السريعة .

وخلاصة القول ، إن شعر البطولة الحربية في العصر الأموي عكس ما يعتلج في نفس البطل الحربي ، وما يدور في محيطه من مختلف الجوانب التي تتعلق بحياته ، فكان تعبيراً صادقاً عن شجاعته واستبساله ، ورفضه للضيم والحيف ، وشهادة لامتلاكه المهارات القتالية ، وبراعته في استخدامها ، وتأكيداً لثباته وصلابته وقوة بأسه في المعارك ، وصورة حية لمدى تحمله وصبره ، وحصافته في إدارة المعركة قائداً كان أم مقاتلاً ، فتجلّت في صورة البطل الحربي ملامح الأمة ، وتوقّد في وهج عينيه بوارق التطلع الحاد الذي يرسم أبعادها وطموحاتها .

وقد احتفى الشعر في العصر الأموي بالبطولة الحربية أبهى احتفاء فكانت موضع فخر وتميز، ومحط أنظار أبناء العصر ، وموضع تقديرهم وإعجابهم ، يحترمون ويجلون من يتصف بها ويمتدحونه ، ويذمون وينتقصون من يتخلّى عنها ويجانبها ، وأدرك شعراء العصر الأموي أن الفارس ، وهو يمارس ألوان الشجاعة ، ويقدم نماذج الاقتحام البطولي ، هو جزء من المجتمع الذي منحه تلك الصفات ، ووهبه المسؤوليات الجسام ، فهم " حين يخلعون الفضائل على البطل ، فإنهم يستوحون قيم المجتمع ومثله العليا في عصر معين ، وهم بذلك يحاولون تقريب صورته من صورة الإنسان النموذج التي تعد المثل الأعلى في ذلك المجتمع " (١) .

---

[1] . الرقب ، شفيق ، (١٩٨٤) ، شعر الجهاد في عصر الموحدين ، مكتبة الأقصى ، عمان ، ص ٩٤ .

بطولة الكرم :

يعد الكرم من البطولات العربية ، لأن الحياة القاسية جعلت الإنسان يتصارع معها باستمرار ليوفر لنفسه وعائلته أسباب البقاء والحياة ، فيظهر الكريم بصورة المنقذ في هذه الحياة ، والذي يوفر لإنسانها ما يحتاجه من رزق للبقاء ، وكان لزاماً بعدها أن يعد الكريم بطلاً ، ذلك أن الكرم فيه معنى الإيثار ، ويقال : " مآثر العرب مكارمها " [١] ، فالكريم يفضل غيره على نفسه، ويصارع نفسه ويعلو على شهواتها " فيقمع شره نفسه ، ويتغلب على شحّها ، ليؤثر غيره على نفسه أو يشركه في خيره " [٢].

وتسابق الأبطال للاتصاف بهذه الخصلة والامتياز بها ، فجعل منها ذلك راية خفاقة يتنافسون للانضمام تحت لوائها ، ومزية هامت بها النفوس إلى أن أصبحت " سجية متأصلة في نفوسهم ، فهم يلقون الضيف بالبشر والترحاب ويبذلون له أجود ما لديهم من طعام " [٣] وغيره مما هم في أمس الحاجة إليه ، لكنهم ينفقون مالهم ويبذلون متاعهم ونفائسهم ويقدمونها لمن يعرفون ومن لا يعرفون ، وهم بتأدية واجبهم هذا على أكمل وجه لفي غاية السرور والغبطة ، لا يمنّون بما عندهم ولا يتبعون ما أنفقوا منّاً ولا أذى .

وقد رفدت الفتوح والغزوات عصر بني أمية بما يشاؤون من الأموال ، فكثر الأجواد الذين ينثرون أموالهم يميناً وشمالاً يطلبون بها حسن الذكر والأحدوثة ، وكما أُمْتُدِحَ الكريم لكرمه ، فقد ذُمَّ البخيل لبخله ، واشتهر في العصر الأموي الذم بالفقر ، فالغنى موضع رفعة ومجد لا يرام ، ومن لا يحوز المال عُدَّ ذليلاً ، " فالفقر أصبح عيباً شديداً من عيوب المجتمع ، وأصبح الشعراء

---
[1] . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (كرم) .
[2] . الحوفي ، أحمد محمد، (١٩٥٢)، الحياة العربية من الشعر االجاهلي، ط٣ ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ص٣٢ .
[3] . الجبوري، يحيى، (١٩٦٨)، الجاهلية مقدمة في الحياة العربية لدراسة الأدب الجاهلي، ط١، مطبعة المعارف، بغداد، ص ٦٢ .

يتهاجون به ، وكأنهم يرون فيه مجمع العيوب ، فمن قلَّ ماله حينئذ قلَّ حمدُهُ ، وصَغُرَتْ دنياه ، وصَغُرَ شرفه " [١] ، ولم يعد بين الرجال بطلاً ، ولم ينل شرف التميز والتفرد عن بقية أقرانه .

إن الحياة الاجتماعية والاقتصادية وبما أحدثته من معطيات جديدة في المجتمع الأموي رفعت من شأن المال ، فالحياة لا ترحم ، وليس هناك رزق يأتي من حيث لا يحتسب الشخص ، فإما أن تجد المال فتعيش هادئ البال قرير العين ، وإما أن لا تجده فتعيش تعِساً محروماً ، " ومن هنا ارتفع صوت المال في القصيدة الأموية واحتل جوانب غير قليلة منها ، فقد كان أساسياً في حياة الناس ، فطبيعي أن يكون أساسياً في فنِّهم وشعرهم " [٢] ، فالمال دعامة هامة من دعائم الحياة ، وببذله في وجوه الخير تفوق البطل الأموي .

إن المال هو أداة الكرم ، وبإغداقه على المحتاج المعَسِر ، وبذله لسد حاجات المحرومين المعوزين ضمان للكريم بحسن الذكر ، وإقرار بتميزه وتفرّده ، فيوصف بالبطل ، وفي ظل تلك الحاجة الملحّة للمال كان إنفاقه والجود به خصلة تستحق الفخر بها ، فالفرزدق اعتاد إكرام ضيوفه فهو ينحر لهم أجود النوق ، يقول [٣]:

وَسارٍ قتلتُ الجوعَ عنه بضربـةٍ	**أتانا طُرُوقاً ، بالحُسام المهنـــّد**
على ساق مِقْحَادٍ جعَلْنا عَشَـاءَه	**شطائبَ من حُرِّ السنام المُسَرْهَـدِ[٤]**
وطارقِ ليلٍ قدْ أتاني وَسَاقُـهُ	**إليَّ سَنَا ناري وكَلْبٍ مُعَـوَّدِ**
وَمُسْتَنْبحٍ أوْقدْتُ ناري لصَوْتِـهِ	**بلا قمرٍ يَسري وَلا ضَوْءِ فرقـدِ**
ونارٍ رفعناها لمن يبتغي القِـرى	**على مُشْرِفٍ فوقَ الجَرَاثيمِ موقـدِ[٥]**

إن الكريم مَن يتقي ذمَّ نفسه من خلال إيثاره وكرمه ، فهذا طريق كل مَن يريد الذكر الحسن والمكانة الرفيعة بين قومه ، لأن البخل مذمَة والشح منقصة للإنسان ، والإنسان الذي يسعى إلى البطولة لا يضيره أن يهين ماله ، ويبذله في سبيل ذلك مما قل منه أو صغر، ويتضح هذا المعنى في حوار أعشى همدان مع زوجه ، إذ يقول [٦] :

قالت تُعاتبني عِرْسِي وتسألُني	**أينَ الدراهمُ عَنَّا والدَّنانيـرُ**

---
[١] . ضيف ، شوقي (١٩٥٩)، التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ط٢، دار المعارف، مصر، ص ١٣٢ .
[٢] . ضيف ، التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ص ١٣٤ .
[٣] . الفرزدق ، ديوانه ، ١: ص١٤١ – ص١٤٢ .
[٤] . المقحاد : الناقة العظيمة السنام . شطائي : أي قطع لحم مشرحة طولاً .
[٥] . الجراثيم : جمع جرثومة ، وهي التراب المجتمع في أصول الشجر ، وأراد هنا الظاهر المرتفع .
[٦] . الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)، الحيوان ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،(د.ت)، ٧ :٦٢ .

فقلتُ أنفقتُها والله يُخْلِفُهَـــا	**والدّهرُ ذو مرَّةٍ عُسْرٌ وميســـورُ**
إن يرزق الله أعدائي فقد رُزِقـت	**من قبلهم في مراعيها الخنازيـــر**
قالت فَرزْقُكَ رزقٌ غيرُ مُتَّســع	**وما لديكَ من الخيراتِ قِمْطيـــرُ**

إن البطل الكريم لا يقف عند حدود بذل المال وحسب ، بل يستقبل ضيفه أحسن استقبال ، فيبش في وجهه ، ولا يمن عليه بما قدم له ، ويتضح هذا المعنى لدى مسكين الدارمي إذ يقول [1]:

أضاحِكُ ضيفي قبلَ إنزالِ رَحْلــِهِ	**ويخصبُ عندي والمحلُّ جديـــبُ**
وما الخصب للأضيافِ أن يكثر القرى	**ولكنّما وجه الكريم خصيـــــبُ**

ويؤكد ذلك في موضع آخر بقوله [2] :

إذا متُّ فانعيني لأضياف شـــقة	**رمى بهم داج بهيم الغياطـــل [3]**
يشب لهم ناري فيعرف ضوؤهـــا	**ويحتل بيتي بالفضاءِ المقابــــل**
ولستُ بوقافٍ إذا الخيلُ أسرعــت	**ولستُ بعبّاسٍ إلى الضيف باســلِ [4]**
ولكنهُ يلقاهُ مني تحيـــــــةً	**ويأتيهِ قبل العذر بذلي ونائلـــــي**
ويلقاهمُ وجهي طليقاً وعاجــــلاً	**قرايَ ومن خير القرى كل عاجـــلِ**

ويفخر سراقة البارقي بكرم قومه وسخائهم في وقت الجدب والقحط ، حتى نالوا بهذا الفعل المجد والرفعة [5]:

أُخْبِرْتُ عن قومي بِعِزٍّ حاضِـــرِ	**وقيام مجدٍ في الزمــــانِ الأولِ**
ومآثرٍ كانتْ لهمْ معلومــــــةٍ	**في الصالحينَ وسُؤدُدٍ لم يُنْحَـــلِ**
الدافعينَ الذمَّ عن أحسابهـــــمْ	**والمكرمينَ ثويّهمْ في المنـــزلِ [6]**
والمُطعِمينَ إذا الرّياحُ تناوَحَـــتْ	**بقتَّامِها في كلِّ عامٍ ممــــحِلِ[7]**
المانعين من الظُّلامَةِ جارَهُـــــمْ	**حتى يَبِينَ كسَيِّدٍ لم يُبْـــــتَلِ [8]**
والخالطينَ دَخيلَهُمْ بنُفوسِهـــــمْ	**وذَوِي بقيَّةِ مالِهِمْ في العُيَّـــلِ [1]**

---

[1] . مسكين الدارمي ، ربيعة بن عامر (ت ٨٩هـ)، ديوان مسكين الدارمي، (تحقيق عبد الله الجبوري وخليل العطية)، دار البصري، بغداد، ١٩٧٠، ص٢٤ .

[2] . المصدر نفسه ، ص ٥١ . وانظر شواهد أخرى : ص٤٤ ، ص٤٥ ، ص٥٨، ص٥٩ .

[3] . الغياطل : ظلمات الليل .

[4] . الباسل : الوجه العبوس الشديد .

[5] . البارقي ، سراقة ، ديوانه ، ص ٦١- ص٦٢ .

[6] . الثوي : بمعنى الضيف هنا .

[7] . تناوحت : استقبل بعضها بعضاً . القتام : الغبار .

[8] . لم يتبل : لم يؤخذ منه التبل .

وترى غَنِيَّهُمُ غزيراً رِفـــــدُهُ   وفقيرَهُمْ مِثْلُ الغَنِيِّ المُفْضِـــــلِ

وترى لهمْ سِيمى مُبيناً مجدُهـــا   غلبوا عليها الناسَ عند المَحْفَـــلِ

إن بطولة الكرم مطمح الأقوام ، باكتسابها يتفاخرون ، وبالاتصاف بها تعلو مراتبهم بين القبائل ، ولهذا كان للأخضر اللَّهبي الحق بأن يفخر بسمو مرتبة قومه بين الأقوام ، فيقول [٢]:

وسُمِّيْنا الأطايبَ من قُرَيـــشٍ   على كرمٍ ، فلاط بنا وطابـــا

وأيُّ الخير لم نسبق إليـــهِ   ولم نَفْتح بهِ للناس بابَـــا

لقد دفع طلب الذكر وحسن الأحدوثة ، وطيب الثناء ، واجتلاب المكانة المرموقة ، وخوف الذم والتشهير بين القبائل خلفاء بني أمية ليجودوا بعطاياهم لكل مجتدٍ ، ولهذا مدح الشعراء الخلفاء لكرمهم وجودهم ، فهذا الأخطل يمدح كرم عبد الملك بن مروان قائلاً [٣]:

إلى مؤمنٍ تجلو صحيفةُ وجههِ   بلابلَ تَغْشِى من همومٍ ومِن كَرْبِ

مناخُ ذوي الحاجاتِ يستمطِرونَهُ   عَطاءَ كريمٍ من أسَارى ومن نَهْبِ

ويقول فيه أيضاً بتصوير رائق [٤]:

وما الفراتُ إذا جاشتْ غواربُـــهُ   في حافَّتيه وفي أوساطهِ العُشَـــرُ [٥]

وزَعْزَعَتْه رياحُ الصيفِ واضْطرَبَـتْ   فوقَ الجآجِئ من آذِيِّهِ غُـــدُرُ [٦]

مُسْحَنْفرٌ من جبالِ الرومِ يستُـــرُهُ   منها أكافيفُ فيها دونَــــهُ زَوَرُ [٧]

يوماً بأجودَ منهُ حينَ تسألُـــهُ   ولا بأجْهَرَ منهُ حين يُجْتَهَـــرُ

ويصف الفرزدق سليمان بن عبد الملك لكثرة كرمه وسخاء عطائه بالمطر الذي يغيث الناس في سني القحط والجدب ، فيصلح حالهم ويسدُّ عوزهم ، ويرد فقرهم ، يقول [٨] :

---

[1] . الدّخيل : الضيف . العيّل : المفتقرون .

[2] . الأخضر اللَّهبي ، الفضل بن العباس الهاشمي القرشي (ت٩٦هـ)، شعر الأخضر اللهبي ، ط١، (تحقيق محمود عبد الله أبو الخير)، دار الفرقان ، عمان ، ١٩٩٣، ص٤٩. وانظر شواهد أخرى : ص ٥٨ .

[3] . الأخطل ، شعره ، ١ : ٣٩ . وانظر شواهد أخرى : ص١٣، ص٦٤، ص٨٦، ص١٤٣، ص٢٠٢، ص٢٢٣، ص٢٢٤، ص٢٥٢، ص٢٦٣، ص٢٦٤، ص٢٨٩- ص٢٩٠ .

[4] . المصدر نفسه ، ١ : ٥٤ .

[5] . الغوارب : الأمواج ، والعشر : الشجر .

[6] . زعزعته : حرَّكته . الجآجئ : جمع جؤجؤ ، وهو الصدر . الآذيّ : الموج . الغدر : جمع غدير .

[7] . أكافيف الجبل : حروفه الناتئة في أعراضه ، زور : ميل

[8] . الفرزدق ، ديوانه ، ٢ : ٨٧ . وانظر شواهد أخرى : ج١ ، ص٥٤، ص٦٢- ص٦٣، ص٦٥- ص٦٦، ص١٤٤، ص١٤٨، ص١٧٠، ص١٧٩، ص١٨٥، ص٢١٣، ص٢٢١، ص٢٢٥، ص٢٢٨، ص٢٣٣، ص٢٨٢، ص٢٩٨، ص٣١١، ص٣٢٩، ص٣٣٢، ص٣٣٦، ص٣٤١، ص٤١٢، ص٤٠٦ .

سليمانُ غَيْثُ الممحلينَ ومَنْ بــــه ... عن البائسِ المِسْكين حُلَّت سلاسِلُـــهْ
وما قام مُذ مات النبيُّ محمـــــدٌ ... وعثمانُ فوقَ الأرض راعٍ يُعادِلُـــهْ
أرى كلَّ بَحْرٍ غيرَ بحْرِكَ أصْبَحَــت ... تشقَّقُ عن يَبْسِ المعين سَواحِلُـــهْ

ويشيد عدي بن الرقاع العاملي بعمر بن عبد العزيز ، ويمتدح شجاعته وبأسه وكرمه ، فبطولة الكرم لابد تلازمها صفات أخرى مثل الشجاعة والحزم ، والبعد عن الفواحش ، والنأي عن الرذائل ، وغيرها ، يقول [(١)] :

إذا شِئتَ أن تلقى فتى البأسِ والنَّدَى ... وذا الحَسَبِ الرَّابي التَّليدِ المُقَــدَّمِ [(٢)]
فكُنْ عُمَرَاَ تأتي ولا تَعْدُوَنَّـــــهُ ... إلى غيرِهِ واستَخْبِرِ الناسَ وافهَـــمِ
فتىً حُجِبَتْ عنهُ الفواحِشُ كُلُّهـــا ... فما اختَلَطَتْ منه بلَحْـــمٍ ولا دَمِ

إن سمة الكرم في الإنسان تستوجب له المدح والتقدير والاحترام ، وتجعله محط أنظار قومه ، وتضمن له درجة المتفوق عنهم ، المتميز بينهم ، لذا يمتدح جرير كرم الحجاج بن يوسف وأهله ، فهم كرماء أسخياء ، انمازوا بكرمهم وفضلهم في الوقت الذي بخل فيه غيرهم ، يقول فيهم [(٣)]:

وإذا المجاورُ خافَ من أزمانِـــهِ ... كَرْبَاً ، وحَلَّ إليكُمُ لم يُكْــــرَبِ
فانْفَحْ لَنا بسِجالِ فضلٍ منكُــــمُ ... واسْمَعْ ثنائي في تلاقي الأرْكُـــبِ
آباؤكَ المُتَخَيَّرون أولو النهـــى ... رفعوا بناءَكَ في اليَفاعِ المَرْقَــبِ [(٤)]
تَنْدى أكفُّكُمُ بخيرٍ فاضـــــلٍ ... قِدْماً إذا يَبِسَتْ أكفُّ الخُيَّـــبِ

ومن خصال البطل الكريم إطعام الضيف وإكرامه والترحاب به ، والتهلل في وجهه ، كما أن البطل الكريم يؤثر بما عنده ضيفه ويختار له أسمن الإبل وأجودها ، يقول ابن قيس الرقـيات [(٥)] :

يُطْعِمونَ السَّديفَ من قَحَد الشَّـــوْ ... لِ مَن آوَتْ إليهِمُ البطحـــاءُ [(٦)]
في جِفَانٍ كأنَّهُنَّ جَـــوابٍ ... مُتْرَعاتٍ كما تفيضُ النِّهـــاءُ [(١)]

---

[1] . العاملي ، عدي بن الرقاع ، ديوانه ، ص ١٣٤ .
[2] . النّدى : الجود والسّخاء والكرم ، والرّابي : الزّائد .
[3] . جرير ، ديوانه ، ١ : ٢٤٧ . وانظر شواهد أخرى : ٢ : ٧٤١ ، ١ : ٣٤٩ ، ١ : ٥٠٨ ، ١ : ٢٩٠ ، ٢ : ٧٤٥ .
[4] . اليفاع : المرتفع من الأرض . المرقب : المكان العالي المشرف .
[5] . الرقيات ، عبيد الله بن قيس (ت٧٥هـ) ، شعر ابن قيس الرقيات بين السياسة والغزل، ط١، (تحقيق ودراسة إبراهيم عبد الرحمن محمد) ، مكتبة لبنان ، بيروت ،١٩٩٦، ص٨٧. وانظر شواهد أخرى: ص١٨٨، ص٢٠٩ ، ص٣١٠ .
[6] . السديف : السّنام ، وقيل شحمه ، والقحد : أصل السنام . الشّول من النوق : التي خفَّ لبنها وارتفع ضرعها ، وأتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها أو ثمانية ، فلم يبق في ضروعها إلا شول من اللبن ، أي بقية ثلث ما كانت تجلب حِدثانَ نتاجها ، وواحدها شائلة

وَهُمُ المُحْتَبونَ في حُلَلِ اليُمْـــــ ـنَةِ فيهمُ سماحةٌ وبهـــــاءُ

أقسموا لا نزالُ نُطْعِمُ ما هَبَّـــــ ـتْ رياحُ الشِّمالِ والأصْبـــــاءُ

وفي ذات المعنى يمدح أبو دهبل الجمحي كرم ابن الأزرق (٢) ، فهو لا يرد السائل ولا يحرمه ، ويطال خيره وكرمه الجميع ، فعُدَّ لذلك بطلاً كريماً جواداً ، حلو الشمائل ، كثير الفضائل ، حسن الأخلاق والأفعال ، يقول أبو دهبل (٣):

عُدَّ إذا ورد الساقون جُمَّتَـــــهُ لم يقلْ الآخرُ الساقي لهم مِيحُـــوا

منتطقٌ حين أرغى غير مكتتـــمٍ كالليث لم يُخْفِهِ القيصوم والشيـــحُ

حلو الشمائل لا تقلى خلائقـــــه له إلى غمرات الموت تجليـــــح

أين الذي ينعشُ المولى ويحتمـــل الجُلَّى ومن جاره بالخير منفـــوحُ

وفي مدحه لعمارة بن عمرو بن حزام (٤) ، الذي يجود بالكثير ويسخو بالعظيم ، فلا تقلُّ أعطيته ، ولا تنطفئ ناره ، ولا تخمد لكثرة ضيوفه وطالبي عطاياه ، يقول (٥):

أعطى فأسْنانا ولـــــــم تك من عطيته الصغـــــاره (٦)

ومن العطية ما تـــــــرى جَذْمَاءَ ليس لها نـــــزاره (٧)

ففداك من حدث الـــــرّدى من لم يَنَمْ للضيف نــــــاره

والكريم يُسَطِّر بكرمه اسمه بين أسماء الأبطال ، ويزخرف به صفحات التاريخ ، طلباً للمكانة السامية وليس رياءً أو محاباة ، فالبطل الجواد يتسامى على شح النفس ، ويطغى على حبِّها للمال ، ويقهر شهوتها ويكبح جماحها ، يقول أبو دهبل الجمحي في مدحه لابن الأزرق (٨):

وما كنتَ إلا رحمةَ اللهِ أرْسِلَتْ لِهَلْكَى قريشٍ لا بخيلاً ولا خبا

فلو كان ما تعطي رياءً تنازعت به خلجات البخل يَجْذِبْنَهُ جَذْبَا

---

[1] . الجفان : جمع جفنة ، وهي أعظم ما يكون من القصاع . الجوابي : جمع جابية ، وهي الحوض الضخم . النهاء : جمع نهي ، وهي الغدير .

[2] . هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة الهبزري الأزرق ، كان والياً لابن الزبير على الجند ومخاليفها، ولما مات رثاه أبو دهبل وأوصى أن يدفن إلى جانبه بعليب . (انظر : الزبيري، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله (ت ٢٣٦هـ) ، نسب قريش ، (تحقيق أ. ليفي برفنسال إيفاريست) ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٣ ، ص ٣٣١ ـ ص ٣٣٢) .

[3] . الجمحي ، أبو دهبل وهب بن زمعة بن أسد بن جمح (ت ٦٣ هـ) ، ديوان أبو دهبل الجمحي ، (تحقيق عبد العظيم عبد المحسن) ، مطبعة القضاء ، النجف الأشرف ، ١٩٧٢، ص٤٥ .

[4] . هو عامل عبد الله بن الزبير على حضرموت . (انظر : الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦ هـ) ، الأغاني ،١٦ جزء، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٧ ، ٧ :١٢٨) .

[5] . الجمحي ، أبو دهبل ، ديوانه ، ص ٤٩ .

[6] . الصغاره : الذل والحقرية ، أي أن أعطيته لا تخسس ولكنها تشرف .

[7] . الجذماء : المقطوعة ، والنزارة : القلة .

[8] . المصدر نفسه ، ص ٥٨ .

ولم يكن البطل الكريم جواداً في الرّخاء وحسب ، بل في أوقات الجدب والقحط ، ولا سيما في فصل الشتاء ، فهنا تبرز قيمة التضحية والبذل ، وذاك كان صنيع آل المهلّب ، فقد " كان المهالبة في دولة بني أمية كما كان البرامكة في دولة بني العباس مَضْرَب المثل في الجود والكرم " (١) ، وفيهم يقول بُكَيْر بن الأخْنس مادحاً كرمهم في سني المحل والجدب (٢) :

نزلتُ على آل المهلّبِ شاتياً　　فقيراً بعيدَ الدَّار في سَنَةٍ مَحْلِ

فما زال بي إلطافُهُم وافتقادُهُم　　وإكرامُهُم حتى حَسِبْتُهُم أهْلي

عند شظف العيش يُعْرَفُ البطل الكريم، وفي ضنك الحياة تبرز صورة البطل الجواد ، وتحت وطأة الفاقة والحاجة تبرز صورته ، وفي سني العوز والجدب تظهر أفعاله الحسنة وعطاياه السخية ، وإيثاره للآخرين بما عنده ، فيعم خيره وفضله ، ويوسم بذلك بطولته ، ويؤكد تميزه ، ويَسِمُ تفرُّده ، يقول أبو دهبل الجمحي واصفاً ابن الأزرق (٣):

نخافُ عزلَ امرئٍ كنا نعيشُ بهِ　　معروفُهُ إن طلبْنا الجودَ موجودُ

إن تغدُ من مِنْقَلَي نجرانَ مرتحلاً　　يرحل من اليمن المعروفُ والجودُ (٤)

ما زلتَ في دفعاتِ الخير تفعَلُها　　لمَّا اعترى الناسَ لأواءٌ ومجهودُ

وذلك ما يراه كثيّر في بشر بن أبي مروان ، يقول (٥) :

أبا مروانَ أنت فتى قريشٍ　　وكَهْلُهُمُ إذا عُدَّ الكهول

تولّيهِ العشيرةُ ما عناها　　فلا ضَيْقُ الذراع ولا بخيلُ

إليكَ تُشيرُ أيديهم إذا ما　　رَضُوا أو غالهُم أمرٌ جليلُ

كلا يوميه بالمعروفِ طَلْقٌ　　وكلُّ فِعالِهِ حَسَنٌ جميلُ

جوادٌ سابقٌ في اليُسْرِ بحرٌ　　وفي العِلاّتِ وهّابٌ بذولُ

والبطل الكريم الجواد لا يعبس في وجه ضيفه ، ولا ينهر سائله ، ولا يرد المحتاج إليه ، وفي ذلك تقول ليلى الأخيليَّة في محبوبها (١) :

---

[1] . ضيف ، التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ص ١٣١ .

[2] . الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) ، البيان والتبيين ، ٤ أجزاء ، (تحقيق وشرح عبد السلام هارون) ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٤٨ ، ٣ : ٢٣٣ .

[3] . الجمحي ، أبو دهبل ، ديوانه ، ص ١٠٤ ـ ص ١٠٥ . وانظر شواهد أخرى : ص ٩٦ .

[4] . المنقل : المنزل ، ونجران : من مخاليف اليمن من ناحية مكة .

[5]. الخزاعي ، كثير بن عبد الرحمن (ت١٠٥هـ)، ديوان كثير عزة، (جمعه وشرحه إحسان عباس)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١، ص١٢٣. وانظر شواهد أخرى : ص٧٩، ص١٢١، ص١٢٣، ص١٦٦، ص٢٨٨،ص٢٩٥، ص٣٣٨، ص٣٤٢.

فتىً كان للمولى سناءً وَرِفْعَةً   وللطَّارق السَّاري قِرَى غير باسِرِ

أما ابن قيس الرقيات فيجد في طلحة بن عبد الله الخزاعي كرماً غير محدود ، وأفعالاً حميدة يستحق الثناء عليهما بعد أن وافته المنية ، فيقول في رثائه له [٢]:

إنما كان طلْحَةُ الخير بحراً   شُقَّ للمُعْتَفينَ منهُ بحورُ

ثمَّ كان الذي تَلَقَّاكَ منهُ :   نائلٌ واسعٌ وَسَيْبٌ غزيرُ

يَتَّقي الذَّمَّ بالفِعالِ ، ويبني   مجدَ مَنْ قد تَضَمَّنَتْهُ القبورُ

بالطِّعانِ الشَّديدِ ، والنَّائِلِ الجَزْ   لِ ، إذا نَكَّسَ البَخيلُ الدَّثُورُ

ولما كانت بطولة الكرم موضع فخر واعتزاز لمن اتصف بها ، ولما كان البطل الكريم عنصراً هاماً في النائبات والشدائد ، فإن موته شكل خسارة لقومه ومجتمعه ، فهو مقري الضيف ، وفاك العاني ، ومجير الدخيل ، والعطوف على المحتاج البائس ، ولهذا كله رثاه شعراء العصر الأموي ، لما له من طيب ذكر ، وحسن صيت ، وجميل صنيع ، فهذا ابن ميادة يرى في الوليد بن يزيد صورة البطل الكريم ، العطوف على المحتاج ، الباذل في وقت الشدة ، لذا فهو يرثيه قائلاً [٣] :

ألا أبكي الوليد فتى قريشٍ   وأسمَحُها إذا عُدَّ السّماحُ

وأجْبَرُهَا لذي عظمٍ مَهيضٍ   إذا ضَنَّتْ بدُرَّتِها اللقاحُ [٤]

ويقول الفرزدق في رثاء أبيه [٥] :

نِعْمَ أبو الأضيافِ في المَحْلِ غالبٌ   إذا لبسَ الغادي يَدَيْهِ من البردِ

وما كان وقَّافاً على الضّيفِ مُحجِماً   إذا جاءّهُ يوماً ، ولا كابيَ الزّنْدِ

وكان إذا ما أصْدَرَتْهُ مكارمٌ ،   وساوَرَ أخرى غيرَ مُجْتَنِح الورْدِ [٦]

وكما عد الكرم في العصر الأموي خلقاً حميداً فحظي فاعله بالمدح حياً وميتاً ، فقد ذم البخل بوصفه خلقاً سيئاً ، وخصلة ذميمة يستقبح صاحبها ، يقول عمر بن لجأ في ذم البخيل [٧]:

---

[1] . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢ : ٤٣ .
[2] . الرقيات، عبيد الله بن قيس ، شعره ، ص ١٩٤. وانظر شواهد أخرى : ص١٩٦، ص٢٤٣، ص٢٩٣.
[3] . ابن ميادة، الرَّمَّاح بن أبرد المري (ت١٤٩هـ)، شعر ابن ميادة ، (جمع وتحقيق محمد نايف الدليمي)، مطبعة الجمهورية، الموصل، (د.ت)، ص ٣٣ .
[4] . المهيض : المكسور . ضنت : بخلت . اللقاح : الإبل .
[5] . الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ١٣٨ . وانظر شواهد أخرى : ج١: ص١٧٦ ، ص٢١٨، ص٣٩٤ ، ص ٣٩٨ .
[6] . ساور : واثب . المجتنح : المائل على أحد جنبيه .
[7] . التيمي ، عمر بن لجأ ، شعره ، ص ١٢٢ .

كليبٌ مُنْيَةُ الغازي إذا ما غزا أو شِقْوَةُ الضّيفِ الدّخيلِ

ويرى الأحوص الأنصاري في البخل دناءة لا سموّ لصاحبه [١]:

وفي البخل عارٌ فاضحٌ ونقيصةٌ على أهله والجودُ أبقى وأوسعُ

ولقد لحق الخزي ببني سعد لبخلهم وشحهم ، فهم لا يحسنون إلى الضيف ولا يطعمونه ، وهذا ما جر عليهم العار إلى الأبد ، يقول الراعي النميري فيهم [٢]:

إنّ ابن مَغرَاءَ ليس نائلنا حتى ينالَ بياض الشمس راميها [٣]

تبلى ثياب بني سعد إذا دُفِنوا تحت التراب ولا تبلى مخازيها

الآكلينَ اللوايا دون ضيفِهِمُ والقِدرُ مخبوءةٌ فيها أثافيها [٤]

عُدَّ الكرم من أعظم القيم البطولية في المجتمع الأموي ، ففي بيئة قاسية يصارع فيها الإنسان أسباب البقاء والحياة ، يظهر البطل الجواد منقذاً لهؤلاء الفقراء من الفناء ، والمكرم لضيفه ، الحريص على حسن وفادته وإغاثته ، كما أن فضيلة الجود من الفضائل الأخلاقية التي تأصلت في شخصية البطل الأموي ، وهي فضيلة عالية التقدير ، استحق بها البطل المكانة الرفيعة ، والدرجة العالية ، وثبت له بها التميز والتفرد ، وحُقَّت له البطولة .

[1] . الأحوص الأنصاري ، عبد الله بن محمد بن عبد الله (ت ١٠٥هـ)، شعر الأحوص الأنصاري ، (جمع وتحقيق إبراهيم السامرائي)، مكتبة الأندلس ، بغداد، ١٩٦٩، ص ١١٥ .

[2] . الراعي النميري ، شعره ، ص ٢٥١ .

[3] . ابن مغراء : هو أوس بن مغراء السعدي ، شاعر إسلامي هاجى الراعي . (انظر : المصدر نفسه ، ص ٢٥١) .

[4] . اللوايا : ما يدخره الرجل للضيف أو لنفسه ، وقيل هو ما تخبئه المرأة للضيف في بيتها .

بطولة الإباء والأنفة :

إنّ حرص العربي على عزّته وإبائه يتمثل في رفضه الضيم ، ونبذه القهر ، وعدم تقبله لكل ما من شأنه أن يسلبه حريته وينتقص من كرامته ، فمن استطاع رفض هذا الذل تمكن من إثبات ذاته وشخصه وسط مجتمعه ، وأصبح بذلك بطلاً متميزاً متفرداً عن بقية أقرانه ، أما من يقبل الهوان ويرتضي الذل يبقى وضيعاً لا شأن له ولا قيمة ، لذلك " بلغ حب العربي لحريته مبلغاً كبيراً ، حتى إذا حاولت أن تحدّها أو تنقص من أطرافها هاج كانه وحش في قفص وثار ثورة جنونية لتحطيم أغلاله والعودة إلى حريته " [١].

ولقد اهتم العربي الأبي الذي اتصف ببطولة الإباء بصون كرامته وصيانة حريته ، ومما يؤكد صحة هذا الرأي أن أحد أهم أسباب الحروب في العصر الأموي رفض الضيم والدفاع عن الكرامة ، إضافة إلى نجدة المستغيث أو المستجير ، أو رداً على نقض لحلفٍ دون سبب ، أو ردعاً لأحد المعتدين ، وغيرها من الأسباب ، فمعظم تلك الحروب والمنازعات كانت " محاماة لشرفهم ، وصيانة لعزهم ومنزلتهم ، ومحافظة على مجدهم أن يُسْتَذل "[٢] ، فصيانة الحمى وحفظ الكرامة شأن العربي الأبي ومهمته ، وبإتمامها يتفوق على غيره ، وينماز في قومه ، ويعرف بإبائه ، وشموخه ، وعزة نفسه ، لذا يقول جرير [٣]:

لمّا رأيتُ جموعَهُمْ قدْ أَثْعَلَتْ　　أيْقَنْتُ أنْ ليْسَتْ بدارِ مُقامِ [٤]

فكَرَرْتُ مَحْمِيَةً وراءَ ذِمارِكُم　　إنَّ الكريمَ ، عن الذِّمارِ ، محامِي [٥]

1 . أمين ، أحمد (د.ت) ، فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ص ٣٤ .
2 . الألوسي، محمود شكري (ت ١٣٤٣هـ)، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ٣ أجزاء، (شرحه وصححه محمد بهجة الأثري)، دار الكتب العلمية، بيروت، نسخة مصورة عن الطبعة الأولى ، (د.ت) ، ١ : ١٠١ .
3 . جرير ، ديوانه ، ١ : ٤٩٠ .
4 . أثعلت : كثرت . والإثعال : كثرة الجماعة ، وهو مأخوذ من ثَعَلَ الأسْنانَ : وهو أن يركب سنٌّ سنّاً .
5 . محمية : أي لأجل المنع والحماية .

إذ لا يذودُ عن الحِمَى متوكّلٌ رُمِيَتْ يَدَاهُ بفالِجٍ وجُذامِ [١]

إن المحارب الذي اتسم ببطولة الإباء " يسترخص الحياة في سبيل دفع المهانة والذل ، يحارب الخصم ويقاتله قتالاً مستميتاً ، وهو يعلم أحياناً تفوق خصمه عليه ، وذلك لدفع الذل الذي يحاول أن يجعله يعيش فيه "[٢]، ومما يؤكد ذلك قول الوليد بن يزيد الذي يصف فيه فتية تحلوا ببطولة الإباء فما رضوا بالذل ولا قبلوا الضيم [٣]:

في فتيةٍ تأبَى الهوانَ وجوهُهُم شُمُّ الأنوفِ جحاجح ساداتِ [٤]

إن يَطْلُبُوا بتِراتِهم يُعْطوا بها أو يُطْلَبُوا لا يُدْرَكوا بتِراتِ [٥]

وكان من جملة المفاخر التي عددها الفرزدق في خطابه لمعاوية بن أبي سفيان أنه عزيز في قومه ، أبيٌّ لا يرضى الضيم ولا يقاربه ، فهو مَعْلَمُ شموخ ومحطُّ رفعةٍ في أهله ، يقول [٦]:

ألستُ أعزَّ الناسِ قوماً وأسرةً وأمْنَعُهُمْ جاراً إذا ضِيمَ جانِبُهْ

وما وَلَدَتْ بعْدَ النبيِّ وأهلِـــهِ كمِثْلي حَصَانٌ في الرّجال يقاربُهْ

أبي غالبٌ والمرءُ صعصَعَة الذي إلى دارمٍ يَنْمِي فمَنْ ذا يُناسِبُهْ [٧]

أنا ابن الجبالِ الشُّمِّ في عدد الحصى وعِرْقُ الثَّرى عِرْقِي ، فمن ذا يُحاسِبُهْ

وبيتي إلى جنبٍ رحيبٍ فِناؤهُ ومِن دونِهِ البدرُ المضيء كواكِبُهْ

وكم من أبٍ لي يا معاويَ لمْ يَزَلْ أغرَّ يُباري الرّيحَ ما ازورَّ جانِبُهْ

لم يقبل العربي في العصر الأموي الذل ، كما أنه أنِفَ الضيم وكره الهوان ، ومقت الحياة الذليلة ، وفضَّل الموت العزيز عليها ، وفي ذلك يقول عقيل بن علّفة المرّي [٨]:

هوانُ الحياةِ وضيمُ المماتِ وكُلاً أراهُ طعاماً وبيلا [٩]

فإن لمْ يكُن غيرُ إحداهما فسيرُوا إلى الموتِ سَيْراً جميلا

ولا تقعُدوا وبكمُ مُنَّةٌ كفى بالحوادثِ للمرءِ غولا [١٠]

---

1 . متوكلٌ : رجل من كليب دعا عليه .
2 . عبد الرحمن، عفيف، (١٩٨١)، المثل والقيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي ، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني ،٤(١١-١٢)، ص١٣٧ .
3 . الوليد بن يزيد ، ديوانه ، ص ٣١ .
4 . الجحاجح : جمع جحجح ، وهو السيد السمح الكريم .
5 . الترات : جمع الترة ، وهي الثأر .
6 . الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ٥٣ .
7 . صعصعة : جد الفرزدق ، الملقب بمحيي الموؤودات .
8 .علاونة ، شريف (٢٠٠٤) ، عقيل بن علفة المري ، سيرته وشعره ، ط١، دار المناهج ، عمان ، ص١٠٧ – ص١٠٨ .
9 . الطعام الوبيل : غير المستمرأ .
10 . المُنّة : القوة . الغول : ما غال الشيء فذهب به .

ويؤكد أيضاً رفضه للهوان قوله [١]:

أبى لي أنْ أرضَى الدَّنِيَّة أنَّني أمُدُّ عِناناً لمْ تَخُنْهُ الشَّكائِمُ

وبلغ الأمر بمسكين الدارمي أن يلجأ للارتحال وتكبد مشقة السفر عن المكان الذي يستشعر فيه هواناً لنفسه وإذلالاً لكرامته ، ففي الرحيل منآة عن الذل والهوان ، يقول [٢]:

ربَّ أمورٍ قد بريتُ لِحاءَها وَقوَّمْتُ من أصْلابها ثم زعْتُها [٣]

أقيمُ بدار الحربِ ما لم أهُنْ بها فإن خِفْتُ من دارٍ هواناً تركْتُها

إن دعوة العربي في العصر الأموي لصون العرض ، ودفع الذل والمهانة دعوة متجددة دعا إليها الشاعر الأموي وحضّ عليها ، ويتضح ذلك في قول سراقة البارقي الذي يعد نهجاً واضحاً للذي تطلّع لأن يكون بطلاً أبيّاً ومدّ بصره نحو المجد والبطولة [٤]:

وإنْ افتَقَرْتَ فلا تكُن مُتَخَشِّعَاً ترجو الفَواضِلَ عندَ غير المُفْضِلِ [٥]

وإذا كُفِيْتَ فكُن لِعِرْضِكَ صائِناً وإذا أُجِئْتَ لِبَذْلِهِ فتَبَذَّلِ

وامنع هضيمَتَكَ الذَّليلَ ولا يُرَى مولاكَ مُهْتَضَمَاً وأنتَ بمَعْزِلِ [٦]

وإذا تُنُوزِعَتِ الأمورُ فلا تكنْ ممن يُطَأطِئُ خَدَّهُ للأسْفَلِ

واعمِدْ لأعلاها فإنَّكَ واجدٌ أحسابَ قومِكَ باليفاعِ الأطوَلِ [٧]

إن الذل من أشد الأهوال وقعاً على الإنسان ، وأكثرها إيلاماً لنفسيته وتنكيلاً بكرامته ، وقد وعى إنسان العصر الأموي ذلك أتم الوعي وأدركه أكمل إدراك ، يقول القتال الكلابي [٨]:

فما الشرُّ كلُّ الشرِّ لا خيرَ بعدَهُ على الناسِ إلا أن تَذِلَّ رقابُها

---

1. المصدر نفسه ، ص ٣١ .
2. مسكين الدارمي ، ديوانه ، ص ٢٥ .
3. برى العود برياً : أي نحته . زعتها : أراد إزالتها من عصبتها ، يقال : زاع لحمه ، زوعاً ، زال عن العصب .
4. البارقي ، سراقة، ديوانه ، ص ٦١ .
5. المتخشع : المتظاهر بالمسكنة .
6. الهضيمة : الظلم .
7. اليفاع : المرتفع من الأرض .
8. القتال الكلابي، عبد الله بن مجيب بن المضرحي (ت ٦٤هـ)، ديوان القتال الكلابي، (حققه وقدم له إحسان عباس)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦١، ص٣٣ .

ويصف أبطال الإباء الذين اشرأبت أعناقهم أبية تطاول عنان السماء بشموخها وعزتها ، فهم لا يقدمون على ما يحط من قدرهم ، أو يدنس كرامتهم ، مثل الفرار من الغزو الذي يجلب العار والخزي لفاعله ، يقول [١]:

طِوالُ أنْضِيَةِ الأعناق لم يجدوا ريحَ الإماءِ إذا راحتْ بأزْفار [٢]

لا يتركونَ أخاهُمْ في مُودَّأةٍ يسفى عليهِ دليك الذلِّ والعار [٣]

ولا يفرون والمخزاةُ تقرَعُهمْ حتى يصيبوا بايدٍ ذاتِ أظفار

والبطل الأبي لا يقبل أن يكون منقاداً ، ولا يرتضي أن يكون تبعاً لغيره ، فعزته وإباؤه ينزهانه عن ذلك ، يقول القتال الكلابي مادحاً عبد الله بن حنظلة الكلابي [٤] :

ربَّ أمر قومٍ قد حَفِظْتَ عليهمُ لولا الإله وأنتَ أصبحَ ضائعا

تبعوكَ إذ ضاق السبيل عليهمُ وأبى بلاؤكَ أن تكونَ التابعا

وانبرى عبد الله بن الزبير الأسدي يمدح إباء بشر بن مروان وعزة نفسه ، فهو كالشمس رفعة وعلياء ، إلا أنه قريب من الناس متواضع إليهم ، فإباؤه ليس تكبراً ، ولا تعجرفاً ، يقول [٥] :

رايْتُكَ كالشُّموسِ تُرى قريباً وتمْنَعُ مَسْحَ ناصيةٍ وخَدِّ

ويمتدحه سراقة البارقي أيضاً ، مستخدماً التشبيه ذاته ، فيقول [٦] :

أغرُّ كَقَرْنِ الشَّمْسِ أرْوَعُ ماجِدٌ نجيبٌ عن الأعداءِ ليسَ بناكِلِ

وَضَارَبَ حتى أقصَدَتْهُ رماحُهُمْ فبُوركَتَ مِنْ وَرَّادِ موتٍ حُلاحِلِ

سَخَوْتَ بِنَفْسٍ عندَ ذاكَ عزيزةٍ علينا وأجْلى كُلُّ وانٍ وَخاذِلِ

وكذلك فعل الراعي النميري في مدحه له ، وأشار إلى أنفته وعزة نفسه ، التي رافقتها خصال طيبة أخرى تمثلت في شخصه ، فهو كريم معطاء ، شجاع لا يهاب ، سليل حسب اصيل ، ونسب رفيع [٧] :

---

[1] . المصدر نفسه ، ص٥٥ – ص٥٦ .

[2] . الأنضية : جمع نضي ، وهو عظم العنق . الازفار : جمع زفر ، وهي الأحمال ويضرب مثلاً للرجال، فيقال : إنه لزفر ، أي حمّال للاثقال .

[3] . المودأة : المضيقة . الدليك : الذي دلك مرة بعد أخرى ، أو هو التراب الذي تسفيه الريح .

[4] . القتال الكلابي ، ديوانه ، ص٦٩ .

[5] . الأسدي، عبد الله بن الزبير (ت ٧٥هـ)، شعر عبد الله بن الزبير الأسدي ، (جمع وتحقيق يحيى الجبوري) ، مطبعة الحرية ، بغداد، ١٩٧٤، ص ٧٢. وانظر شواهد أخرى : ص٨٥، ص٩١، ص١١١ .

[6] . البارقي ،سراقة، ديوانه، ص ٨١ . وانظر شواهد أخرى : ص٨٨، ص١٠٠.

[7] . الراعي النميري ، شعره ، ص٩٩ ـ ص١٠٠ . وانظر شواهد أخرى : ص ١١٦ .

وَقَدْ عَلِمَ الاقوامُ أنّكَ تشتري　　جَميلَ الثنا والحمدُ أبْقى وأربَحُ

وأنْتَ امرُؤٌ تُرْوي السِّجالَ وينتحي　　لأبْعَــدَ منَّا سَيْبُكَ المُتَمَنِّحُ

وإنَّكَ وَهَّابٌ أغرٌ وتـــــارةً　　هِزَبْرٌ عليْهِ نُقْبَةُ الموتِ أصْبَحُ

أبوكَ الذي نَجَّا بيَثْربَ قوْمَهُ　　وأنتَ المُفَدَّى مِن بنيهِ المُمَدَّحُ

وفي مدح كثيّر لعبد الملك بن مروان تتجلى بطولة الإباء ، فعبد الملك لا يقبل خسّة لا ذلة ، بل يدفع كل ما من شأنه أن يخدش إباءه أو ينتقص من كرامته وعزة نفسه ، فسما بذلك إلى أقاصي المجد ونال الشرف والرفعة ، يقول كثير [1] :

وكُنْتَ إذا نابَتْكَ يوماً مُلِمَّةٌ　　نبَلْتَ لها أبا الوليدِ نِبالَها

سموتَ فأدرَكْتَ العَلاءَ وإنّما　　يُلَقَّى عُلَيَّاتِ العُلا مَن سَما لها

وصَلْتَ فنالَتْ كَفُّكَ المجدَ كلَّهُ　　ولم تبلُغ الأيدي السَّوامي مَصالها

وتبقى هي ذاتها المعاني التي تنطوي عليها بطولة الإباء واضحة جلية في جُلِّ المدائح التي وصفت إباء الممدوح ورفعته ، واعتزازه بكرامته ورفضه لكل أشكال الظلم ، مع تحليه بخصال بطولية أخرى ، كان من الطبيعي وجودها في أخلاق البطل الأبي ، ولذلك يأتي كثيّر عزة على ذكر تلك المعاني وتقريرها في مدحته لعبد العزيز بن مروان ، قائلاً [2] :

وفيكَ ابنَ ليلى عِزَّةٌ وبسالة　　وغَرْبٌ وموزونٌ من الحلمِ ثاقِلُ [3]

أبأتَ الذي وُلّيتَ حتى رأبْتَهُ　　وأنتَ لذي القربى وذي الودِّ واصلُ [4]

وإنّكَ تأبى الضيمَ في كلِّ موطِنٍ　　قديماً ، وأنتَ الشّيظمِيُّ الحُلاحِلُ [5]

إن المتوكل الليثي يرى في عكرمة بن ربعي نموذج البطل الأبي ، الذي لا يقبل الضيم له ولغيره ، ويربأ بنفسه عن الهوان والضعة [6] :

أخو ثِقةٍ يُرى يبْني المعالي　　يَضيمُ ويحتمي من أنْ يُضاما

---

1. كثير عزة ، ديوانه ، ص ٨٤ – ص٨٥ .
2. المصدر نفسه ، ص ٢٩٥ .
3. الغرب : الحدة والنشاط . موزون : راجح .
4. أبأت : جعلت له متبوأ ، أي منزلاً وكنفاً . رأب الصدع : لأمه
5. الشيظمي : الجسيم الفتيّ . الحلاحل : السيد الشريف .
6. الليثي ، المتوكل ، شعره ، ص١٢٦ . وانظر شواهد أخرى : ص٨٨، ص١٥٦، ص١٥٨، ص٢٤٩، ص٢٥٠ .

كما أن البطل الأبي يتمتع بهيبة واضحة ، ويعلو قسماته وقار جلي ، ولذلك تخضع له رقاب الأعادي ، وتصغر في عينيه العظائم ، ويسمو بقومه لذرى المجد ، فيعزون بعزته ، ويُهابون بهيبته ، وهذا ما يقرره الفرزدق في مدحته ، فيقول [١]:

وإذا النفوسُ جَشَأن طامَنَ جأشِها   ثِقةً بها لحمايةِ الأدْبارِ

إني رأيتُ يزيدَ عندَ شبابهِ   لبسَ التُّقى ومهابة الجبّارِ

مَلِكٌ عليهِ مهابةُ الملكِ التقي   قمرُ التمامِ بهِ وشمسُ نهارِ

وإذا الرجالُ رأوا يزيدَ رأيتَهُم   خُضُعَ الرِّقابِ نواكِسَ الأبصارِ

أيَزيدُ إنّكَ للمهلَّبِ أدْرَكَتْ   كفّاكَ خيرَ خلائق الأخيارِ

ما مِن يَدَيْ رجلٍ أحقّ بما أتى   من مكرُماتِ عظائمِ الأخطارِ

وقد كان إباء البطل موضع مدحٍ ومجلب تكريم له ، وكثيراً ما تغنى شعراء العصر الأموي بإباء وعزّة ممدوحيهم ورفعتهم ، فهذا الفرزدق يمدح الزعل بن عروة الجرمي ، فهو أبيٌّ لا يقبل الضيم ، ولا يطاول أحد عظيم خصاله ، يقول [٢] :

أبيٌّ أبيٌّ لا تُرامُ صفاتُهُ   ويَقْصُرُ عن مَعْلاتِهِ مَن يُطاولُه

فلستُ بلاقٍ سيّداً من قبيلةٍ   يُقاسُ بهِ إلا ابن عُرْوَة فاضِلُه

إن البطل الأبي لا يتصف بالإباء وحسب ، بل يتسم بصفات أخرى ، مثل الشجاعة والحكمة والكرم والحزم ، وغيرها من الخصال البطولية التي يحمدها الناس، ويقرون لصاحبها بالفضل والسبق والتميز ، وهذا ما كان عليه المهاجر بن عبد الله حيث مدحه جرير بقوله [٣]:

إنَّ المهاجرَ حينَ يَبْسُطُ كفَّهُ   سَبْطُ البَنانِ طويلُ عظْمِ الساعدِ

قرْمٌ أغرُّ إذا الجدودُ تواضَعَتْ   سامى مِنَ البَزَرَى بجَدٍّ صاعِدِ [٤]

يا ابن الفروع يمُدُّها طيبُ الثَّرى   وابنَ الفوارسِ والرئيسِ القائِدِ

حامٍ يذودُ عن المحارمِ والحِمى   لا تَعْدَمُنَّ ذِيادَهُ من ذائدِ

ولقد حكمْتَ فكانَ حُكْمُكَ مَقْنَعاً   وخُلِقْتَ زَيْنَ منابرٍ ومساجِدِ

وإذا الخُصومُ تبادروا أبوابه   لم ينسَ غائبَهُم لخصمٍ شاهِدِ

والمعتدونَ إذا رأوْكَ تخشّعوا   يخْشَوْنَ صَوْلَةَ ذي لُبُودٍ حارد [١]

---

[1] . الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ٣٠٤ . وانظر شواهد أخرى : ص١٣٠ ، ص١٢٠، ص١٩٣، ص٣٠٤ .

[2] . الفرزدق ، ديوانه ، ٢ :٩٤ .

[3] . جرير ، ديوانه ، ٢ : ٦٣٧ ـ ٦٣٨ . .

[4] . القرم والمقرم : الفحل من الإبل يودع من الركوب والعمل للفحلة ، ويضرب من الرئيس للقوم مثلاً . الأغر : الأبيض الواسع الجبهة . الجدود : البخوت ، ويقال : رجل مجدود ، أي محظوظ . بنو البزرى : بنو أبي بكر بن كلاب نسبوا إلى أمهم .

ولم يقبل الخارجي بالذل أيضاً ، وتحلى بالإباء والعزة وصون النفس مما يهضم كرامتها أو يدنس عرضها ، ولذلك قال فيهم عمران بن حطان السدوسي [٢] :

وإخوةٍ لهم طابت نفوسُهُم   بالموتِ عند التفافِ الناس بالناسِ

والله ما تركوا من منبعٍ لهُدى   ولا رَضَوْا بالهُوَيْنا يوم ميجاسِ [٣]

أتعجزونَ وترجونَ اللّحاق بهم   أنَّى يكونُ ذوو عجزٍ كأكياسِ

وثمة شواهد كثيرة يمكن أن تنظر في مظانها [٤]، تظهر بجلاء ثناء الشعراء الأمويين على البطل الأبي ومدحهم له ، ووصفهم لممدوحيهم بالإباء والرفعة ورفض الظلم والذل وصون الحمى .

وكما كان البطل الأبي موضع مدح وتكريم ، وعُدَّ بطلاً متميزاً استحق المكانة الرفيعة في قومه ، فقد ذم الشعراء الأمويون الذليل ، وجعلوه موضع هجائهم ومحط سخطهم ، وفي ذلك يقول المتوكل الليثي [٥] :

تَلْقى الدَّنِيَّ يَذُمُّ مَنْ يَنْوِي العُلى   جَهْلاً وَمَتْنُ قناتِهِ موصومُ [٦]

فِعْلَ المُنافِقِ ظلَّ يأبنُ ذا النُّهى   في دينهِ ونِفاقُهُ معلومُ

وتنصلوا من أفعال الدّني الذليل ، وقبحوا ذكره ، وذموا صنيعه الذي ارتضى به الهوان والذل ، وقبل به لنفسه المهانة والخسة ، يقول جرير هاجياً ذل بني ربيعة الجوع ، فهم قوم أذلاء لا يحق لهم الفخر [٧] :

أقولُ وذاكُمْ للعَجيبِ الذي أرى :   أمالِ ابنَ مالٍ ! ما ربيعةُ والفخرُ [٨]

أساءوا فكانتْ من ربيعة عادةً   بأن لا يزالوا نازلينَ ولا يَقْرُوا

يحالِفُهُمْ فقْرٌ قديمٌ وذِلّةٌ   وبئْسَ الحليفانِ : المذلَّةُ والفقرُ

---

[1] . ذي لبود : يعني الأسد ، واللبد : الشعر المتلبد بين كتفيه . حارد : قاصد لقرنه ، يقال : قد حرد حرده ، إذا قصد قصده .

[2] . عباس ، شعر الخوارج ، ص ١٥ .

[3] . ميجاس : موضع بالأهواز .

[4] . انظر : الجمحي ، أبو دهبل ، ديوانه، ص٩٥ . وانظر : الكناني، نصر بن سيار (ت١٣١هـ) ، ديوان نصر بن سيار، ط١، (جمعه وحققه عبد الله الخطيب) ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٧٢، ص٢٧، ص٣٧ . وانظر : الرقيات ، ابن قيس ، شعره، ص٢٨٣، ص٢٩٧ . وانظر : عباس ، شعر الخوارج ، ص٨٦ . وانظر : ابن أذينة، عروة ، شعره ، ص٨٢، ص٢٢٦، ص٢٢٨، ص٢٤٩، ص٢٥٠، ص٢٥٥، ص٣٣٥، ص٣٣٦. وانظر : ابن رباح، أبو محجن نصيب (ت ١٠٨هـ)، شعر نصيب بن رباح ، (جمع وتقديم داوود سلوم) ، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٧، ص٦٨، ص١١٩ .

[5] . الليثي ، المتوكل ، شعره ، ص ٩٠ .

[6] . موصوم : من الوصم ، أي العيب والعار . متن قناته : يريد هنا شرفه .

[7] . جرير ، ديوانه ، ١ : ١٧٨ .

[8] . مال : ترخيم مالك ، وأراد مالك بن حنظلة بن مالك .

ويهجو الفرزدق بني باهلة أقذع هجاء لذلهم وهوانهم ، فقد انتزعت منهم الحمية والإباء حتى باتوا يرتضون الدنية لأعراضهم ، فلا تثور ثائرتهم على من يمسها بسوء ، يقول [1]:

والباهليُّ بكل أرضٍ حلَّها عَبْدٌ يُقِرُّ على الهوانِ المُجْلِبِ

والباهليّ ولو راى عِرْساً لهُ يُغْشَى حرامُ فِراشِها لمْ يغضَبِ

أما يزيد بن الطثرية فلا يقبل فعلة الذليل ، ويربأ بنفسه عن الانسياق لدناياه وخسائسه ، فهو لا يستكين ، بل يسعى لمجابهة خصمه وأضغانه بمثلها ، ويترفع عن مساعدة الذليل الشائن حتى ولو بقي معزولاً دون سند أو معين ، ومبعث ذلك شعوره بالاعتزاز والإباء ، يقول [2]:

لا أتّقي حَسَكَ الضغائنِ بالرّقى فعلَ الذليلِ وإن بقيتُ وحيدا [3]

لكن أجوِّدُ للضّغائنِ مثلَها حتى تموتَ وللحقود حقودا

وهكذا ظل الذليل محطّ هجاء شعراء العصر الأموي وذمهم ، فهذا منير بن صخر بن يعمر الراسبي يذم اللئام الأذلاء من بني قيس ، على الرغم من كونهم أخواله ، ويسخر منهم ومن ضعفهم ، لأنهم يرتضون الذل لأنفسهم ، ولمن يستجير بهم أيضاً ، ويعقد مقارنة واضحة الفروق بينهم وبين بني عقيل الأعزة الأباة ، الذين لا يقبلون لمن يستجير بهم ظلماً ولا ذلة ، فأحرزوا بذلك شرف البطولة ونالوا الرفعة بين القبائل ، يقول [4]:

وجدتُ بني قيسٍ لئاماً أذلّةً كثيراً خناهُم ضَحْلَةً في المحافِلِ [5]

وجدتُهم لما أتيتُ بلادهم ضِعافاً قواهم نُهْزَةً للقبائِلِ [6]

وجارُ عقيلٍ لا يخافُ هضيمةً يحلُّ نجاةً عن يد المتناوِلِ

ظلوماً ولا يلفى مُجاورَ بيتِهم يدَ الدهر مظلوماً مقرّاً بباطِلِ

ترى جارهم فيهم كريماً وضيفهم منيعاً حِماهُ آمناً للغوائلِ

لقد هانت الحياة عند البطل في العصر الأموي في سبيل ترفعه عن الدنايا والسفاسف ، واستعذب الموت لأجل الرفعة والعزة ، فتجلّت أنفته وكبرياؤه ، وفخر بإبائه ، وصونه لعرضه

---

[1] . الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ٣٥ .
[2] . ابن الطثرية ، يزيد بن سلمة بن سمرة (ت١٢٦ هـ)، شعر يزيد بن الطثرية ، (تحقيق حاتم الضامن) ، دار التربية ، بغداد ، ١٩٧٣، ص٣٦ .
[3] . حسك الضغائن : الحقد والعداوة .
[4] . عباس ، شعر الخوارج ، ص٣١ – ص٣٢ .
[5] . الخنا : العار . ضحكة : هزأة ، يضحك منهم ويستهزأ بهم .
[6] . نهزة : فرصة ، أي تنتهز القبائل ضعفهم فتعدو عليهم .

وذوده عن محارمه ، ورفضه للضيم والهوان ، فنال بذلك تقدير المجتمع وإعجابه ، وأقر أفراد جماعته له بالبطولة والتميز ، كما هجا شعراء العصر الأموي من رضي لنفسه الذلة والدنية ، ووصفوه بأبشع الصفات ، وتنصلوا منه وابتعدوا عنه ، فلحق بالذليل احتقار من المجتمع وازدراء لشخصه وتصرفه ، فبات معزولاً مذموماً .

بطولة الحزم :

الحزم من البطولات العربية التي يتّسم صاحبها بضبط الأمور ، والأخذ فيها بثقة واقتدار ، متجاوزاً تردد النفس وتخوفها اللذين يقودان إلى الوقوع في الهفوات والمزالق ، فتفقد الاحترام والثقة بصاحبها ، كما أن الحزم يتطلّب وعياً بالأمر وإدراكاً تاماً لحيثياته وتفاصيله ، يلازم ذلك ثقة في الإقدام ، ووضوح في الرؤيا ، وعزم لا يعرف التردد ، وقدرة فائقة على تحمل تبعات الأمر ومسؤولياته ، تلك هي الصفات التي يتمتع بها البطل الحازم ، فهو " يواجه حوادث الحياة ، مهما كان نوعها بهدوء ورصانة ، فلا يستخفه الفرح ولا يقتله الترح " [١] ، أي أنه هادئ الطباع ، مستقر في تصرفاته ، ماضي العزم ، واثق الخطو ، وهذا ما كان عليه المتوكل الليثي إذ يقول [٢] :

وكنتُ امرءاً يأبى لي الضيمَ أنني صَرُومٌ إذا الأمرُ المُهمُّ عَناني

وَصُولٌ صَرومٌ لا أقولُ لمدبرٍ هَلُمَّ إذا ما اغتشَّني وعَصاني

خليليَّ لو كنتُ امرءاً فيَّ سَقْطةٌ تضعضعت أو زلّت بيَ القدَمانِ

أعيشُ على بغْي العُداةِ ورغْمِهم وآتي الذي أهوى على الشنآنِ [٣]

ولكنني ثبْتُ المريرةِ حازمٌ إذا صاحَ حُلاَّبي ملأتُ عِناني [٤]

إن البطل الحازم بطلٌ ذو بصيرة فذة ، لأنه يقف شامخاً قوياً في الموقف الذي يتخاذل فيه الآخرون ، كما أنه يتحلى بإقدام في الحوادث الفاصلة ، واضعاً نصب عينيه أسمى المبادئ والقيم التي يعزّ بها مجتمعه وينتصر له ، فليس هو المتهور الذي يفلت من يديه زمام البصيرة الواعية ، ولا هو الراغب في أن يسفك دماً لبريء ، ولا هو الصادر عن الأهواء والرغبات ، بل يحكمه في

---

1 . اليازجي ، كمال (١٩٧٣) ، في الشعر العربي القديم ، ط١، ٢م ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ص٥٢ .
2 . الليثي ، المتوكل ، شعره ، ص ١٩٨ – ص٢٠٠ .
3 . رغمهم : من المراغمة وهي المغاضبة . الشنآن : البغض .
4 . المريرة : العزيمة . الحلاب : الأنصار . المحلب : الناصر .

حزمه ونفاذ قراره مصلحة الناس ، وهذا التلاحم بين شخصية البطل الحازم في العصر الأموي وتصرفاته ضمن له التميز ، ونوله شرف البطولة ، وإلى هذا يدعو سراقة البارقي بقوله [١] :

وأرَى مِنَ الرَّأيِ المُصيبِ ثباتُـهُ　　　أنْ لا تَصِلْ حَبْلاً إذا لمْ تُوصَـلِ

واسْتَبْقِ وُدَّكَ للصَّديق ولا تقُـلْ　　　أبداً لِذِي ضِغْنٍ مُبينٍ أقبـلِ

وَدعِ الفواحِشَ ما اسْتطعْتَ لأهْلِها　　　وإذا هَمَمْتَ بأمْرِ صِدْقٍ فافْعَـلِ

وإذ غَضِبْتَ فلا تكُنْ أنْشوطـةً　　　مُسْتَعتداً لفحاشَةٍ وَتَبَسُّـلِ [٢]

إن الحزم " يهذب القوة من الطيش والنزق " [٣]، فالبطل الحازم لا يبتدع الحروب والنزاعات ، ولا يتجرأ في غير الحق ، ولا يستغل طاعة مجتمعه له ليبث الضغائن والأحقاد ، ويفسد الأواصر ، ويقطع العرى الوثيقة بين أفراده ، إلا أنه في ذات الوقت يحدوه العزم في الحق ، والثبات على الموقف الصحيح ، يقول الأخطل في عبد الملك بن مروان [٤] :

إلى امرئٍ ، لا تعرّينا نوافِلُهُ　　　أظفَرَهُ الله ، فلْيَهْنأ لهُ الظّفَرُ

الخائِضِ الغَمْرِ ، والميمونِ طائِرُهُ　　　خليفةِ اللهِ ، يُسْتَسْقى به المطرُ [٥]

والهمُّ ، بعدَ نجيِّ النفس ، يبعَثُهُ　　　بالحزمِ ، والأصمعانِ : القلبُ والحَذَرُ [٦]

ويرى كثيّر في عبد الملك بن مروان ليناً يناسب موطن اللين ، وحزماً صارماً يتطلّبه موضع الحزم ، فيقول فيه [٧] :

فإنّكَ لا يعطي عليكَ ظلامَةً　　　عدوٌّ ، ولا تنْأى عن المُتَقرِّبِ

وإنّكَ ما تمنعْ فإنّكَ مانِعٌ　　　بحقٍّ ، وما أعطيتَ لم تتعقّبِ

إن مضاء العزيمة والثبات على الرأي المبتغى ، والإقدام حيث يحجم الآخرون ، مبعث تغني شعراء المجتمع الأموي بالبطل الحازم ومدحهم له ، ولذا يمدح الراعي النميري حزم عبد الملك بن مروان قائلاً [٨]:

وَزَنَتْ أُميَّةُ أمْرَها فَدَعَتْ لـهُ　　　مَن لم يكُن غَمْراً ولا مجهـولا

---

1. البارقي ، سراقة ، ديوانه ، ص ٦٠ .
2. الأنشوطة : العقدة التي يسهل حلها . وأراد أن لا تكون مندفعاً في غضبك . التبسل : العبوس من الغضب .
3. دراوشة ، صلاح الدين أحمد (٢٠٠١) ، القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي من خلال ديواني المفضليات والأصمعيات ، ط١ ، مكتبة الفجر ، إربد ، ص ١١٨ .
4. الأخطل ، ديوانه ، ص ١٨ . وانظر شواهد أخرى : ص ٣٠٩، ص٣١٩، ص٣٦٦ .
5. الغمر : الماء الكثير . الميمون الطائر : المبارك الحظ .
6. نجيّ النفس : ما ناجى به نفسه . الأصمع : الذكي الحاد .
7. كثير عزة ، ديوانه ، ص ٢٦٤ .
8. الراعي النميري ، شعره ، ص ٥٨ .

مَروانُ أحْزَمُها إذا نزلَتْ بـــهِ   حُدْبُ الأمورِ وخَيْرُها مَسْـؤولا[1]

فالبطل الحازم يتميز عن غيره بالشجاعة في اتخاذ القرار الصعب ، ويتفرّد عن الآخرين بالجرأة في المواقف الحاسمة ، ولذا استحق مدح شعراء العصر وثنائهم عليه ، ووجب له احترام المجتمع وتقديره ، وحُقّ له شرف البطولة ، يقول الفرزدق مادحاً حزم سليمان بن عبد الملك [2]:

وقد عَلِموا أن لن يميلَ بك الهوى   وما قلتَ من شيءٍ فإنّكَ فاعِلُهْ

وحظي هشام بن عبد الملك بمدح جرير لحزمه وجرأته ، وذكائه الحاد الذي يزن به الأمور ويدرك عواقبها وتبعاتها ، فلا يتخبط ولا يضل [3] :

سُوِّسْتَ مُجْتمَعَ الأباطِحِ كلّها   ونزَلْتَ من جَبَلَيْ قريشٍ في الذُّرا [4]

أخذوا وثائقَ أمرهِم بعزائِمِ   للعالمينَ ولا تَرَى أمْراً سُدى

إن البطل الحازم يَفْضُلُ الناسَ بحزمه الذي يضع الأمور في أنصبتها ، ويسودهم بنفاذ بصيرته وقوة إرادته ، وتصديه للأمور الجسام ، يقول القطامي في مدحه لأسماء بن خارجة [5]:

وانتَ الذي ترجوكَ قيسٌ لفضْلِهِ   وحتى لُكَيْزٍ من وراء اللَّهازمِ [6]

فَضُلْتَ نزاراً يا ابن حُصْنٍ تكرُّماً   وحزْماً بشدَّاتِ الفحولِ الصَّلادِمِ [7]

بحمّالِ أثقالٍ إذا خَطرَتْ بهِ   فزارةُ في يوم الثّأيِ المُتَفاقِمِ [8]

إن أهم المواقف التي يبرز في البطل الحازم مواقف الحرب ، حيث يحتاج مثل هذا الموقف إلى رجل ثابت عازم ، لا يتضعضع ولا يجبن ، يتخذ القرارات الحاسمة التي يعجز عن اتخاذها غيره ، فالحرب بأحداثها الجسام تتطلب جرأة وإقداماً وعزماً لا يلين ، ليس في القتال وحسب ، بل في

---

1 . حدب الأمور : الأمور الشاقة المشكلة ، والحدب ، جمع حدباء .

2 . الفرزدق ، ديوانه ، ٢ : ٨٢ . وانظر شواهد أخرى : ج١ ، ص٢٢، ص٥١، ص١٧٠، ص١٨٥، ص٢٣٦، ص٢٤٦، ص٢٨١ .

3 . جرير ، ديوانه ، ١ : ٣٤٤ . وانظر شواهد أخرى : ٢ : ٦٠٤، ٢ : ٧٠٨ ، ١ : ٤٠٢ ، ١ : ٢٢٤ .

4 . سوست : ملكت . الأباطح : أمكنة في مكة ، نُسب إليها من كان ينزل فيها من قريش ، فقيل : قريش البطاح ، الواحدة بطيحة ، وهو مسيل ماء فيه دقاق الحصى . جبلي قريش : أراد بهما عبد شمس وهاشم ، وكان يقال لهما : روقا قريش ، أي قرناها .

5 . القطامي ، ديوانه ، ص ٧٢ .

6 . اللهازم : عجل وتيم اللات وقيس بن ثعلبة وعنزة وتيم الله بن ثعلبة بن عكاية ، يقال لهم : اللهازم ، وهم حلفاء بنو عجل .

7 .الصلادم : جمع صلدم ، وهو الشديد الحافر .

8 الثأي والثأى : الإفساد ، والثأى : الأمر العظيم الذي يقع بين الناس .

اتخاذ الخطوات والتدابير التي تكفل النصر وتضمن الظفر ، وهنا يظهر البطل الحازم ، فتنصت لرأيه الأسماع ، وينقذ أوامره الأتباع ، وفي هذا يقول القطامي [1]:

وحَسَبْتِنا نَزَعُ الكتيبة غُدْوَةً فيغيّفون ونرجعُ السُّرعانا [2]

ونَحِلُّ كلَّ حِمَىً نُخَبَّرُ أنّهُ منحَ البروقَ ، وما يُحَلُّ حِمانا

وإذا تسَعْسَعَت الحروبُ فمالكٌ منها المطاعِنُ والأشدُّ سنانا [3]

ونُطيعُ آمِرَنا ونجعَلُ أمْرَنا لذوي جَلادتنا وحَزْمِ قِوانا

ويقول أيضاً في أسماء بن خارجة وتسيّده على قومه ، لحزمه وثقته بنفسه [4]:

لَعَمْري لقد سادَ ابن بدْرِ بفضْلِهِ على وُدِّ مسرورٍ بذاكَ وراغِمِ

وأسنِدَ أمر الناسِ بعد التباسِهِ إلى كلِّ جَلٍ مُبْرِمِ الأمرِ حازمِ

ويتجلى حزم البطل الأموي " باستعمال الشدة فيما يقتضي الشدة ، واللين حين يحسن اللين "[5] ، ففي مواطن الشدة مثل الحروب يكون شديداً صلباً ، أما في السلم فيكون ليناً عطوفاً ، فالاعتدال سجيّته ، والاتزان خصلته ، وذلك ما كان عليه عبد الله بن الزبير الأسدي حيث يقول [6] :

وإنّي لَمِنْ نَبْعَةٍ صُمٍّ مكاسِرُها إذا تقادَمَت القضْباءُ والعُشَرُ [7]

ولا ألينُ لغيرِ الحقِّ أتْبَعُهُ حتى يلينَ لضرسِ الماضِغِ الحَجَرُ

كما يتبدى ذلك أيضاً في قول أبي دهبل الجمحي في مدحه لابن الأزرق [8] :

بأبي وأمي غير قول الباطل الكامل ابن الكامل ابن الكامل

والحازم الأمر الكريم برايهِ والواصل الأرحام وابن الواصلِ

جمعَ الرِّياسة والسَّماحَ كليهما جمع الجفيرِ قداحَ نبل النابلِ [9]

---

1 . المصدر نفسه ، ص ٦٤ .
2 . يغيفون : يفرون .
3 . تسعسعت حال فلان : إذا انحطت ، وتسعسع : اضطرب . مالك : هو مالك بن عبادة بن سعد بن زهير بن حشيم ، وكان رأس تغلب بعد أبيه . (انظر : القطامي ، ديوانه ، ص ٦٤) .
4 . المصدر نفسه ، ص ٧١ – ص ٧٢.
5 . اليازجي ، في الشعر العربي القديم ، ١ : ٤٩ .
6 . الأسدي ، عبد الله بن الزبير ، شعره ، ص ٨١ .
7 . النبع : شجر تتخذ منه أجود الرماح ، يريد نسبه . العشَر : شجر له صمغ .
8 . الجمحي ، أبو دهبل ، ديوانه ، ص ١٠٦ .
9 . الجفير : جعبة السهام .

إن الحزم يعطي المرء ثقة في النفس وهيبة من قبل الآخرين ، ويستوجب بذلك طاعة الجماعة لأوامره ، يقول عروة بن أذينة [١] :

وإنّي لَطلاّعُ النِّجادِ فــــوارِدٍ على الحَزْمِ قوّامٌ كرام المقـــاوِمِ
عَطوفٌ على المولى وإنْ ساءَ نَصْرُهُ كَسُوبُ خلالَ الحمدِ عَفُّ المَطاعِمِ

ويفرض الحزم على صاحبه " مضاء العزيمة وترك التردد ، وعدم التأثر بالآراء المتعددة المتضاربة "[٢] ، وهذا ما وجده كثير عزة في بشر بن أبي مروان ، فقال فيه [٣]:

إلى طيّبِ الأثوابِ قد ألْهِمَ التّقى هجانِ البنين يعتريه المُعاقِلُ [٤]
وهوبٌ ، بأعناق المئينَ عطاؤهُ غلوبٌ على الأمر الذي هو فاعلُ
إذا قال إني فاعلٌ تمَّ قولُهُ فأمضى مواعيدَ الذي هو قائلُ
أريدُ أبا مروانَ إني رايتهُ كريماً وتَنْميهِ الفروعُ الأطاولُ
طويلُ القميصِ لا يُذَمُّ جَنابُهُ نبيلٌ إذا نيطتْ عليه الحمائِلُ [٥]
أمينٌ مقِرُّ الصدر ، يسبقُ قولَهُ بفعلٍ ، فيأبى أن يُخَيَّبَ آمِلُ

إن البطل الحازم " إذا همّ بأمر فعله ، فلا يتردد ولا يثنيه شيء ، وله عزة ماضية ، وحزم وثبات على الهدف ، وتلك هي الشجاعة والرجولة " [٦] التي ينال بها الحازم شرف البطولة ورفعتها ، فيتقدم بها على غيره ويتميز ، وعبر عن هذا المعنى عمرو بن الحصين بقوله [٧] :

والخائض الغمراتِ يخطر في وسطِ الأعادي أيُّما خطْرِ
قوّالُ محكمةٍ وذو فهمٍ عفّ الهوى متثبّتُ الأمرِ

واحتفظ المجتمع الأموي للبطل الحازم بمشاعر الإعجاب والإكبار لبطولته الكريمة المضامين ، السامية الأهداف ، وانطلقت أفواه الشعراء الأمويين تمتدح حزمه وثبات رأيه ، فإذا ما وافته المنية استحق رثاءهم وتسجيلهم لمآثره النبيلة ، بوصفه شخصية بطولية برزت وتميزت في بيئتهم ومجتمعهم .

---

[1] . ابن أذينة ، عروة ، شعره ، ص ٢٤٨ . وانظر شواهد أخرى : ص ٨٢ ، ص١٦٨ .
[2] . اليازجي ، في الشعر العربي القديم ، ١ : ٥٣ .
[3] . كثير عزة ، ديوانه ، ص ٢٧٦ .
[4] . هجان البنين : ابناؤه هجان اي كرام الأصل . المعاقل : الذي يطلب ما يدفع به الدية .
[5] . طويل القميص : شريف ، وهم يكنون بقصر القميص عن القلة والدناءة .
[6] . الخواجا ، زهدي صبري (١٩٨٤) ، الجانب الخلقي في الشعر الجاهلي، ط١، دار الناصر ، الرياض ، ص٢٥٥.
[7] . عباس ، شعر الخوارج ، ص ٨٧ .

بطولة الحلم :

إن البطل شخصية تحتشد في سيرتها جملة من القيم الخُلُقية ، وتتجسد تلك القيم السامية في أفعاله ودعواته وممارساته ، ومن تلك القيم النبيلة الحلم ، فالبطل الحليم ينصر المظلوم ، ويدفع الشر ، " ويتخذ من ضبط النفس والصبر أولى خطوات دفع الشر ، ثم هو يصفح عن المعتدي ويبتدر إلى المكرمات ، وفي الساعة العصيبة تتلاشى أحقاده ، بل يسمو على عنف الغريزة البشرية " [1] ، إنه يعمد إلى الهدوء والاتزان ، وينصرف عن الغضب والنزق والطيش ، يصفح الصفح الجميل ، صفح المقتدر الحليم ، وليس صفح الخنوع أو الذلة أو الضعف ، بل هو صفحٌ يتسامى عن الصغائر ، ويتعاظم عن الجهلة ، ويربأ بصاحبه عن الإحن والأحقاد ، فيحق له بذلك الفضل والتكريم ، يقول معاوية بن أبي سفيان [2]:

رأيتُ كِرامَ الناسِ إن كُفَّ عنهمُ بحلمٍ رأوا فضلاً لمن قد تَحَلَّما

ولا سيما إن كان عفواً بقدرةٍ فذلك أحرى أن يُجَلَّ ويعظُما

إن البطل الحليم ليس ضعيفاً ولا متخاذلاً ،إنما يعفو عن الزلات تكرّماً وفضلاً منه، وسعةً في صدره ، وطلباً للرفعة والمكانة العالية لدى قومه، ويوضح ذلك قول معاوية بن أبي سفيان [3]:

عفوتُ عن جهلِهم حلماً ومكرمةً والحلمُ عن قدرةٍ من أفضلِ الكرمِ

بقدر سعة صدر البطل الحليم ، ومدى تحمله سفه الآخرين ، والتجاوز عن عثراتهم ، يستحوذ على احترامهم الناس ومحبتهم ، يقول النعمان الأنصاري [4] :

إذا يزنُ الناسُ أحلامَهُـــــمْ وجدْتهُمْ رُجُحَ المُحْتَفَـــلْ [5]

فالحلم يسمو بالنفس عن الصغائر ، ويترفع بها عن السفاسف ، ولا يضر بذلك أو يخسر ، بل ينال الحظوة والرفعة بين الناس ، وهذا ما يراه الأخضر اللهبي ، إذ يقول [1] :

---

1. فالح ، البطل في شعر الحماسة ، ص ٢٥٢ .
2. الخماش ، نبال تيسير (١٩٨٤)، شعر الخلفاء في العصرين الراشدي والأموي ، (د . ن) ، ص ٩٨ .
3. المصدر نفسه ، ص ٩٩ .
4. الأنصاري ، النعمان بن بشير بن سعد الخزرجي (ت ٦٤هـ) ، شعر النعمان بن بشير الأنصاري ، ط١،(حققه وقدم له يحيى الجبوري) ، مطبعة المعارف ، بغداد، ١٩٦٨، ص١١١.
5. رجح : ثقال الرجاحة والحلم . المحتفل : مجتمع القوم .

زَعمَ ابنُ سلمى أنَّ حِلْمي ضَرَّ بـي	**ما ضرَّ قبْلي أهْلَهُ الحِلْــــمُ**
إنَّا أنـاسٌ من سجيَّتِهـــــــمْ	**صِدْقُ الحديثِ ، ورأيُهُمْ حَتْـــمُ**
لَبسوا الحياءَ فإنْ نَظرْتَ حَسِبْتَهُمْ	**سَقِموا ، ولمْ يمْسَسْهمُ سَقَـــمُ**
إنِّي وجدْتُ العُدْمَ أكْبَـــرُهُ	**عُدْمُ العُقولِ ، وذلك العُـــدْمُ**
والمرءُ أكْثرُ عيبِهِ ضَـــرراً	**خَطَلُ اللّسانِ ، وصمْتُهُ حُكْـــمُ**

والبطل الحليم يقابل سقطات الآخرين بصفحه ، ويرد على زلاتهم بسماحته ، ويقابل هَنَاتِهم بعفوه ، فيرده حلمه عن جهل الآخرين ، ويتجاوز بسعة صدره عن أخطائهم ، وهذا ما كان عليه الفرزدق ، إذ يقول (٢) :

وإنّي ليَنْهاني عن الجهلِ فيكُمُ	**إذا كِدْتُ ، خَلّاتٌ من الحلمِ أربعُ :**
حياءٌ وبُقْيا واتِّقاءٌ ، وإنني	**كريمٌ فأعطي ما أشاءُ وأمنعُ**
وإنْ أعْفُ أستبْقي حُلُومَ مجاشعٍ	**فإن العصا كانت لذي الحلم تُقْرَعُ (٣)**

وكذلك يعُدُّ عروة بن أذينة الحلم مكرمة ، والتخلق به يحفظ الصلات والأرحام ، ويوطّد العلاقات ويوثق الأواصر ، يقول (٤) :

ولكن نرى الحلمَ فضلاً ولا	**نحاولُ قطْعَ الأصولِ اجتِثاثا**

ويبلغ الحليم بحلمه الدرجة العليا بين أقرانه ، ولا سيما إذا اجتمع مع الحلم خصال خلقية أخرى تتجسد في شخصية البطل الحليم ، ويؤكد ذلك قول سابق البربري (٥) :

العِلْمُ والحِلْمُ حُلّتانِ هُما	**للخَلْقِ زَيْناً إذا هُما اجْتَمَعا**
صنوانِ لا يستقيمُ حُسْنُهُما	**إلا بجمْعِ لذا وذاك معاً**
كم من وضيعٍ سما بهِ العلمُ و	**الحِلْمُ فنالَ العلاءَ وارتَفَعا**
ومن رفيعِ البنا أضاعَهُما	**أهْمَلَهُ ما أضاعَ فاتَّضَعا**

1. اللهبي ، الأخضر ، شعره ، ص٧٣ .
2. الفرزدق ، ديوانه ، ١ :٤٠٣ .
3. ذو الحلم : عامر بن الظرب العدواني ، حكم أسنّ فخشي أن يضل في أحكامه فقال لبعض بنيه أن يُقرع له العصا ينبهه إذا أخطأ .
4. ابن أذينة ، عروة ، شعره ، ص ٣٠ .
5. البربري ، أبو سعيد سابق بن عبد الله (ت ١٠٠ هـ) ، ،شعر سابق البربري ، (جمع ودراسة وتحقيق بدر أحمد ضيف) ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٧، ص١١١.

ويرى سابق البربري أن خصلة الحلم لا تفضلها سجية ، وأنها ترتفع بصاحبها إلى مراتب العلا وتجلب له الثناء والتبجيل [١] :

أَحْمِدْ بِحِلْمِكَ ما يُذْكيهِ ذو سَفَهٍ   من نار غيظِكَ واصْفَحْ إنْ جنى جاني

فالحِلْمُ أفْضَلُ ما ازْدانَ اللبيبُ به   والأخذُ بالعفوِ أحلى ما جنى جاني

وبفعاله تلك ، ينال البطل الحليم شرف البطولة ، ويحوز ذروة المجد ، ويحق له المدح والثناء ، وهذا ما فعله جرير إذ مدح عمر بن عبد العزيز لحلمه وسعة صدره ، قائلاً [٢] :

يعودُ الحِلْمُ منك على قريشٍ   وتفرجُ عنهمُ الكُرَبَ الشِّدادا

وقد ليَّنْتَ وَحْشَهُمُ برفقٍ ،   وتعيي الناسَ وحْشُكَ أن تُصادا

وتبني المجدَ يا عُمَرَ بن ليلى   وتكفي المُمْحِلَ السَّنَةَ الجمادا

إن الحلم نقيض للسفه والحنق ، لأن صاحبه يُعْمِلُ عقله ويضبط نفسه ، ويملك هواه ، وهذه خصال لا تتيسّر لأي إنسان ، ولذلك كان الحلم مدعاة للفخر ومجلبة للمدح والإعــجاب ، كما كان الحلم وما يتضمنه من رحمة وعطف وترقق مدعاة لمدح بشر بن مروان ، فقال فيه عبد الله بن الزبير الأسدي [٣] :

أقام لنا الدينَ القويمَ بحِلْمِهِ   ورأيٍ له فضْلٌ على كلِّ قائِلِ

حليمٌ على الجُهَّالِ مِنّا ورحمةٌ   على كلِّ حافٍ من مَعَدٍّ وناعِلِ [٤]

إن حلم البطل وأناته يكونان مع من يستحق الحلم ، أما الحلم عن الأعداء يُفْهَمُ ضعفاً وتخاذلاً ، فالبطل الحليم يترفق وقت الرفق ، أما في وقت الشدة فهو صعب المراس ، لا يعفو عن عدو غادر ، ولا يحلم عمن لا يستحق حلمه ، وكذلك كان بنو أمية كما يصفهم الأخطل [٥] :

بيْضٌ مصاليتُ ، أبناءُ الملوكِ ، فلن   يُدْرَكُ ما قدَّموا عُجْمٌ ، ولا عَرَبُ [٦]

إن يَحْلُموا عنكَ فالأحلامُ شيمَتُهُمْ   والموتُ ساعةَ يَحْمى منْهُمُ الغضَبُ

كأنَّهُمْ ، عند ذاكُمْ ، ليسَ بينَهُمُ   وبين مَنْ حاربوا قُرْبى ، ولا نَسَبُ

---

1. البربري ، سابق ، شعره ، ص ٣٩ .
2. جرير ، ديوانه ، ص١٠٧ . (طبعة دار صادر) .
3. الأسدي ، عبد الله بن الزبير ، شعره ، ص ١١٢ .
4. معد : هو معد بن عدنان ، أبو قبائل الشمال ، وقد أراد العرب هنا .
5. الأخطل ، ديوانه ، ص ٨٥ .
6. المصاليت : جمع منصلت ، وهو المسرع إلى الأمور .

وأعجب الفرزدق بحلم بني المهلّب فأطلق لسانه يمتدحهم ويثني عليهم بقوله [١] :

غَلَبوا بأنهمُ الفوارسُ في الوَغى والأكثرونَ غداةَ كُلِّ كِثارِ

والأحلَمونَ إذا الحُلُومُ تهزهزت بالقومِ ليسَ حُلومُهُمْ بصِغارِ

إنّ الترفع عن الخنا حِلم ، ولا سيما إذا كان عن قدرة واستطاعة ، والحليم يربأ بنفسه عن الخوض في التوافه والمنكرات ، وينزه نفسه عن الفواحش والرذائل ، فرصانته واتزانه يمنعانه من ذاك كله ، كما يقول ابن قيس الرقيات [٢] :

تَخالُهُمُ لِلْحِلْمِ صُمَّاً عن الخَنا وَخُرْسَاً عن الفحشاءِ عندَ التَّهَاجُرِ

وَمَرْضى إذا لوقوا ، حياءً وعِفّةً وعندَ الحِفاظِ كالليوثِ الخَوادِرِ

ويعبر سراقة البارقي عن المعنى ذاته ، واصفاً البطل الحليم الذي ينبع حلمه عن قوة واتزان ورجاحة عقل ، قائلاً [٣] :

لمن لا يخافُ القومُ سَقْطَةَ رأيِهِ إذا زاغَ أصحابُ الحُلومِ العَوازِبِ [٤]

وسائِلُهُ مُعْطى الجَزيلِ ولم تكن تُهَيِّبُهُ قِدْمَاً عِظامُ المواهِبِ

وكانَ هيوباً للفواحِشِ كلِّها وليسَ لأبطالِ الرِّجالِ بهايِبِ

لقد عُدَّ الحلم في العصر الأموي بطولة افتخار ، يسود صاحبها في مجتمعه ، ويصل بها إلى السيادة والمجد ، فقد كانت العرب تقول فيه : " الحلم مطيّة وطيئة تبلغ راكبها قاصية المجد ، وتملّكه ناصية الحمد "[٥] ، ولذلك كان البطل الحليم شخصية بطولية تستحق المدح والثناء ، فأثنت عليها ألسن معظم شعراء العصر الأموي ، فهذا العرجي يمدح حلم أحدهم ، فيقول [٦] :

لهُ رغبَةٌ في أمرهِ وتَجَرُّدٌ حليمٌ لدى جَهْلِ الجَهولِ وقورُ

فَرَجِّ الفتى ما دام يحيا فإنّهُ إلى خيرِ حالاتِ المنيبِ يصيرُ

ويمدح كثيّر عزة حلم عمر بن عبد العزيز وتصديه للصعاب ، وتحمله سفه الآخرين ونزقهم ، وتغاضيه عن جهلهم وتخبطهم ، ويصف حكمته وبأسه الذي يهابه الناس ، فيقول [٧]:

---

1 . الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ٣٠٧ .

2 . الرقيات ، ابن قيس ، شعره، ص ٣٢١ .

3 . البارقي ، سراقة ، ديوانه ، ص ٨٦ .

4 . العوازب : الشوارد .

5 . النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٦ : ٥٠ .

6 . العرجي ، ديوانه ، ص ٢٣٠ .

7 كثير عزة ، ديوانه ، ص ١٦٥ .

فتىً صَمْتُهُ حِلْمٌ ، وفَصْلٌ مَقالُهُ وفي البأسِ محمودُ الثناءِ صليبُ

خطيبٌ إذا ما قالَ يوماً بحكمةٍ من القولِ ، مغشيُّ الرّواق مهيبُ

وقال كثير أيضاً يمدح بشر بن مروان ، فهو الحليم الذي يحتكم لدينه وعقله ، فلا يستشيط غضباً ، ولا يضيقُ ذرْعاً ، بل يتجاوز عن المسيء ، ويغض البصر عن المخطئ [١] :

أيَادٍ قدْ عُرِفْنَ مُظاهِراتٍ لهُ فيها التَّطاوُلُ والفُضولُ [٢]

وَعَفْوٌ عن مُسيئِهُمُ وَصَفْحٌ يعودُ به إذا غَلِقَ الحجولُ [٣]

إذا هوَ لمْ تُذَكِّرْهُ نُهَاهُ وقارُ الدّينِ والرّأيُ الأصيلُ

وللفقراءِ عائِدَةٌ وَرَحْمٌ ولا يُقْصَى الفقيرُ ولا يَعيلُ

وذِي لَدَدٍ أرَيْتَ اللَّدَّ حتى تبيَّنَ واسْتَبانَ له السّبيلُ [٤]

وأمرٍ قدْ فَرَقْتَ اللَّبْسَ منهُ بحلْمٍ لا يجورُ ولا يميلُ [٥]

وانظر كيف يغالب البطل الحليم الغيظ ، ويكبح ثورة غضبه ، ويطفئ نار انفعاله بالابتسامة التي تنم عن حلم واسع ، وتعقل حصيف ، وتأنٍ لا يتصف بهم إلا البطل الحليم ، ويصور ذلك قول ابن علفة المري في رثاء البطل الحليم [٦] :

أحَقّاً عبادَ اللهِ أنْ لسْتُ لاقياً عُمَارَةَ طولَ الدّهرِ إلا توهّما

فأقسِمُ ما جَشَّمْتَهُ من عظيمةٍ تؤودُ كرامَ الناسِ إلا تجَشَّما [٧]

ولا قلتُ مَهْلاً وهوَ غضْبانُ قد غلا من الغيْظِ وسْطَ القومِ إلا تبسّما

والمتتبع للشعر الأموي يجد أنه حفل بالأشعار التي تحضُّ على الحلم وتدعو أفراد المجتمع إلى التحلي به ، كما أنه يجد الكثير من الأشعار التي قيلت في مدح الحليم والثناء عليه ، والإقرار بفضله وتفوّقه على غيره ، وقد أكثر الشعراء من ذكر الحلم والتوقف عنده .

وخلاصة القول إن البطل الحليم بطلٌ برز في المجتمع الأموي ، وارتقى مكانة مرموقة في عصره ، وانماز عن بقية أبناء زمنه ، وامتدحه شعراء العصر وأثنوا عليه أيما ثناء ، لما له من فضل وحسن خلق فمن " أشرف نعوت الإنسان أن يدعى حليماً ، لأنه لا يدعاه حتى يكون عاقلاً

[1] . كثير عزة ، ديوانه ، ص ١٢٣ – ص١٢٤ .
[2] . مظاهرات : متتاليات . التطاول : الزيادة .
[3] . الحجول : القيود ، وغلق الحجل : استعسر فكه ، أي كان القيد شديداً .
[4] . اللدد : الخصام . اللد : الخصم والحجاج .
[5] . فرقت : أزلت .
[6] . علاونة ، عقيل بن علفة المري ، سيرته وشعره ، ص ١١٥ .
[7] . تجشم الأمر : تكلفه على مشقة . تؤود : تثقل وتجهد .

وعالماً ومصطبراً محتسباً وعفوّاً وصافحاً ومحتملاً وكاظماً ، وهذه شرائف الأخلاق وكرائم السجايا والخصال " [١]، ولذلك ظل الحلم مضمار سباق بين أبناء العصر الأموي يحرصون على التحلي به ، ويتفاخرون بالاتصاف به ، ويمتدحون الأبطال الحلماء ، وقد أسهم البطل الحليم في تماسك الجماعة ، وولد بين أفرادها التآلف والمحبة ، وأبعدهم عن الأحقاد والضغائن ، وعمل على لم الشمل ، وإصلاح ذات البين ، ونشر معاني الرفق والعطف بين أفراد قومه .

بطولة الصبر :

[1] . النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٦ : ٥٠ .

إن الصبر على الشدائد وتحمل الصعاب صورة متميزة من صور البطولة في العصر الأموي ، وتتمثل بطولة الصبر في " التجلّد وعدم الجزع ، يقال : صَبَرَ على الأمر : احتمله ولم يجزع ، ويفيد حبس النفس وضبطها عند الجزع "[1]، ففي الصبر تحكم في النفس وضبط لمخاوفها ونزعاتها ، وتعويدها على التحمل والتجلد ، وليس ذلك بالأمر الهين ، ولا يستطيعه أيٌّ كان ، ولذلك كان من يتصف بالصبر بطلاً تفرّد عن غيره بشدة تحملهِ وتجلّده ، فهو رجلُ ألِفَ القوارع ، وجرّب الخطوب ، ولم يكن رده عليها إلا احتمالاً ، وتجلداً ، وصبراً ، يقول يزيد بن معاوية بن أبي سفيان [2] :

يأبى وجَدِّكَ أنْ ألينَ لِلَوْعَةٍ   عَقْلٌ أعيشُ بهِ وَقلبٌ قُلَّبُ

إن الصبر " أنجى للمحارب من الفشل " [3]، كما أن ثباته أمام أعدائه وتحمله لمقارعتهم ومنازلتهم ، وصموده أمامهم ، يفت في عضدهم ويضعف قواهم ، ولذا آمن الخوارج بأن الصبر لابد أن يقود صاحبه للظفر والفرج ، فلم يجبنوا ولم يستكينوا ، يقول مرداس بن أدية مفاخراً بصحبه [4] :

فضلْنا إذا جَمَّتْ جُموعُ عَدُوِّنـا   وجاءوا علينا مِثْلَ طامِيَةِ البحْـرِ [5]

نَكُفّ إذا جاشت إلينا بُحورُهُـمْ   ولا بمهاييبٍ نحيدُ عن البُثْـرِ

ولكننا نلقى القنا بنُحورنـا   وَبالهَامِ نلْقى كلَّ أبيَضَ ذي أثْـرِ

إذا جَشَأَتْ نَفْسُ الجبانِ وهَلّلَـت   صَبَرْنا ، ولو كانَ القيامُ على الجَمْـرِ

ويمتدح النعمان بن بشير الأنصاري مبلغ احتمال أحدهم وصبره ، فيقول [6] :

يبادِرُهُ كُلُّ مُسْتَبْسِـلٍ   كَحَدِّ السِّنانِ شُجاعٍ بَـطلْ [7]

صَبورٍ وقورٍ لما نابَـهُ   بكلِّ لَذيذٍ حُسامٍ قَـصِلْ [8]

وتتبدى صورة البطل الصبور في قول الأخطل مادحاً صلابة عبد الملك بن مروان وشدة احتماله للصعاب[9] :

---

1 . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (صبر) .
2 . يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (ت ٦٤ هـ) ، شعر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ط١ ، (جمعه وحققه صلاح الدين المنجد) ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، ١٩٨٢، ص٤٩ .
3 . البستاني ، بطرس (٢٠٠٠) ، الشعراء الفرسان، ط٣ ، دار نظير عبود ، بيروت ، ص ٢٤٠ .
4 . عباس ، شعر الخوارج ، ص ١١ .
5 . جمّت : غزرت وكثرت .
6 . الأنصاري ، النعمان بن بشير ، شعره ، ص ١١٠ .
7 . مستبسل : الذي يوطّن نفسه على الموت أو الضرب .
8 . حسام : سيف قاطع ، القصل : القطع .
9 . الأخطل ، ديوانه ، ص ٢٠٠ .

في نبعةٍ من قريشٍ ، يعصُبونَ بهـا   ما إن يوازى بأعْلى نبتِها الشَّجـرُ[1]
تعلو الهضابَ ، وحلُّوا في أرومتِهـا   أهلُ الرِّباءِ ، وأهلُ الفَخْرِ ، إن فَخَـروا
حُشْدٌ على الحقِّ ، عيّافو الخنا ، أُنُفٌ   إذا ألمَّتْ بِهِمْ مكروهةٌ صَبَـــروا
وإنْ تَدَجَّتْ على الآفاقِ مُظْلِمَـــةٌ   كانَ لهُمْ مخرَجُ منها ، ومُعْتَصَـرُ[2]

لقد عُدَّ الصبور بطلاً إذْ تحمّلَ ما لا يحتمله الآخرون ، وقاسى الشدائد متجلّداً في حين ضَعُفَ غيره واستسلم ، لذا حُقَّ له المجد ، وعُدَّ من الأخيار الأبطال ، ويؤكد ذلك قول الفرزدق [3] :

لَئِنْ صَبَرَتْ نفسي لقد أُمِرَتْ بِهِ   وخيرُ عباد الله مَن كان أصْبَر

كما يؤكده أيضاً قول أبي دهبل الجمحي ، مبيناً فضل الصبر في الحدث الجسيم ، فبالصبر لا تضيق النفس عند الشدائد ، ولا تضعف في الملمات ، ولا تجزع من النوائب فتفقدها القدرة على حسن التأتي [4] :

قل لابن قيسٍ أخي الرُّقياتِ   ما أحْسَنَ العُرْفَ في المصيباتِ [5]

وعدّ سراقة البارقي الصبور بطلاً متفوقاً له المجد والرفعة ، فقال [6] :

ليْتَ الزَّمان لَنا يعودُ بيـــُسْرِهِ   إنَّ اليَسيرَ بذا الزّمان عـــسيرُ
يا قَلْبُ هل لكَ في العَزاءِ فإنّـــهُ   قد عِيْلَ صَبرك والكريمُ صبـــورُ

ويرى كثيّر عزة أن من حق البطل الصبور أن يتميز عن غيره ، فله الفضل والتقدم لصبره وشدة بأسه ، يقول [7] :

بهاليلُ معروفٌ لكُم أن تَفَضَّلوا   وأن تحفظوا الأحسابَ في كلِّ موطنٍ[8]

بصبرٍ وإبقاءٍ علـى جُلِّ قومِكُمْ   على كلِّ حالٍ بالأُنا والتَّـــحَنُنِ [9]

إن الصبر على الأهوال أمر يتباهى به البطل الصبور ويفخر به ، إذ ليس بمقدور أيٍ كان أن يتصف بالصبر ويقوى عليه ، ولذا يفتخر الأخطل بصبر قومه وتجلّدهم في الحروب [1] :

---

1 . النبعة : ضرب من الشجر .
2 . معتصر : ملجأ .
3 . الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ٢٩٦ .
4 . الجمحي ، أبو دهبل ، ديوانه ، ص ٥٠ .
5 . العرف : الصبر .
6 . البارقي ، سراقة ، ديوانه ، ص ٤٩ .
7 . كثير عزة ، ديوانه ، ص ٢٥٢ .
8 . بهاليل : سادة اشراف .
9 . الأنا : جمع أناة ، وهي الرفق والتؤدة .

فنَحنُ أخٌ ، لم يُلْقَ في الناس مثلُنا أخاً، حينَ شابَ الدّهرُ وابيَضَّ حاجِبُه [٢]

وإنَّا لَصُبْرٌ في مواطِنِ قوْمِنــــا إذا ما القَنا الخَطِّيُّ عُلَّتْ مَــخاضِبُهْ [٣]

وإنَّا لَحَمَّالو العَدُوِّ ، إذا غَــدا على مَرْكَبٍ ، لا تُسْتَلَذُّ مراكِبُـــــهْ

إنّ الصبر صورة بطولية بارزة في العصر الأموي ، تميّز أبطالها عن غيرهم ، لأن الصبر " كريه الطعم مرٌّ المذاق ، فالاعتصام به ليس من الهيّنات " [٤]، ولذلك فإنه خصلة ثمينة ومزية كريمة يصعب على الإنسان العادي أن يتحلى بها ، إلا إذا كان له قوة كقوة البطل ، وثبات كثباته ، فيكون بالصبر " للنفس غلوباً ، وللأمور محتملاً ، وفي الضراء متجملاً ، ولنفسه عند الرأي والحفاظ مرتَبَطاً ، وللحزم مؤثِراً ، وللهوى تاركاً ، وللمشقة التي يرجو حسن عاقبتها مستخفّاً ، وعلى مجاهدة الأهواء والشهوات مواظباً " [٥]، فيصبح بطلاً يفاخر بصبره وقوة احتماله ، فهذا سراقة البارقي يفخر بصبره في ساحات الوغى ، فيقول [٦] :

مَتَى ما تَلْقَ بي خيْلاً تَداعــــى ودونَ فِراقِها وَجَعٌ وَمَــــــوْتُ

فلَسْتُ بكَارِهٍ لِلِقاءِ رَبِّـــــي وَلا فرِح الفُؤادِ إذا نَجَــــوْتُ

أقاتِلُ حِيْنَ أعْرَفُ وَسْطَ قوْمـــي وأسْتَحِي الكِرامَ إذا نَبَــــوْتُ

وأصْبِرُ في أمورٍ قدْ عَرَتْنـــــي فما جَزِعَ الفُؤادُ وما شَكَــــوْتُ

وكان صبر عروة بن أذينة مدعاة لفخره وتميزه ، حيث قال [٧] :

إنّي لأصْبِرُ في الحُقوق إذا اعْتَرَتْ وأميشُ قبْلَ سُؤالِهِ المَمياشــــــا

وإذا الهمومُ تَضَيَّفَتْني لم أكُــنْ حِلْساً لِطارقَةِ الهمومِ فراشــــا [٨]

وَقرَيْتُهُنَّ زَماعَ أمْرٍ صـــــارِمٍ والعِيسُ يحْرِمُها السُّرى الإنفاشــا [٩]

لقد صبر الخوارج في النوائب ، واحتملوا المصائب حتى ثبتوا أمام الموت ، فكانوا أبطالاً صابرين فخروا بثباتهم وانمازوا بشدة احتمالهم ، يقول أحدهم [١٠] :

---

1. الأخطل ، ديوانه ، ص ٢٨٦ .
2. شاب الدهر : اشتد وصعُب .
3. عُلّتْ : سقيت مرة بعد أخرى . المخاضب : جمع مخضب ، وهو عامل الرمح ، أي القسم الأعلى منه .
4. اليازجي ، في الشعر العربي القديم ، ٢ : ١١٢ .
5. ابن المقفع ، عبد الله (ت ١٤٢هـ)، الأدب الصغير والأدب الكبير، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠، ص١١٠ – ص١١١ .
6. البارقي ، سراقة ، ديوانه ، ص ٤٥ –ص٤٦ .
7. ابن أذينة ، عروة ، شعره ، ١٨٥ .
8. الحلس : الملازم للشيء ، والذي لا يبرح مكانه .
9. قريتهن : أطعمتهن على المجاز . الزماع : العزيمة والشجاعة والإقدام . العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة . الإنفاش : رعي الإبل ليلاً بلا راعٍ .
10. عباس ، شعر الخوارج ، ص ١١٧ .

وَمَنْ يَخْشَ أظْفارَ المَنايا فإنَّنــا … لَبِسْنا لَهُنَّ السّابِغاتِ منَ الصّبْــــرِ

وإنَّ كريهَ الموتِ عَذْبٌ مَذاقُــهُ … إذا ما مَزَجْناهُ بطِيْبٍ منَ الذّكْــــرِ

ويقاتل الجرّاح الحَكَميُّ جمع الخزر وهو يعلم أنه يخوض معركة غير متكافئة في العدد والعدة ، ولكنه يعلم بجانب ذلك أنه إنما يقاتل دفاعاً عن العقيدة والشرف ، وأن الصبر سلاح المؤمن الواثق بحسن العاقبة ، ولم يزل يقاتل حتى قتل وهو يرتجز [١] :

لمْ يَبْقَ إلا حسبي وديـنـــــي … وَصارمٌ ذو صَنْعَةٍ مَسْنُــــونُ

للهِ درُّ الصّبْرِ من قريـــــنِ … قرينِ صِدْقٍ غيرِ ما خَـــؤُونِ

إن أشد المواقف هولاً ، وأكثرها حاجة للصبر والتجلد ، موقف الحرب ، فمن يثبت فيها ويحتمل شدائدها يعدُّ بطلاً يستحق المدح والثناء ، ولذلك يمدح الأخطل الوليد بن عبد الملك بقوله [٢] :

قَتَلْتَ الرومَ ، حتّى شَدّ منهــــا … عَصَائِبُ ، ما تُحَوِّرُها القُصورُ [٣]

ولو كان الحروبُ حروبَ عـــادٍ … لَقامَ ، على مواطِنِها ، صَبــورُ

ويمدح الفرزدق سَلْمَ بن أحوَز المازني لصبره في الحرب وقوة احتماله فيها بقوله [٤] :

يا سَلْمُ كمْ مِن جبانٍ قد صَبَرْتَ بهِ … تحتَ السّيوفِ ولولا أنتَ ما صَبرا

مازلْتَ تَضْربُ والابطالُ كالِحَــةٌ … في الحربِ هامَةَ كَبْشِ القومِ إذ عكرَا

إن لسمة الصبر أهمية بالغة في العصر الأموي ، فقد كانت مدعاة لتفاخرهم بها ، وقد مدح الشعراء من اتصف بها وأثنوا عليه ، وتتعدد الشواهد الشعرية ـ التي لا مجال لإيرادها جميعاً في هذه الدراسة ـ على ذلك [٥] .

وتجلت صورة مدح البطل الصبور لدى شعراء العصر الأموي فقد شكل موته خسارة فادحة للمجتمع ، لما لشخصيته من أثر بارز فيه ، ولما اتصفت به من ثبات جأشٍ ، وطيب ذكر ، ومضاء عزم ، وقوة تحمل ، فكانت بخصالها هذه شخصية مؤثرة متميزة ، أثبتت وجودها وتركت

---

1 . الكوفي ، ابن أعثم ، كتاب الفتوح ، ٨ : ٤١ .

2 . الأخطل ، ديوانه ، ص ٢٧١ .

3 . تحوِّرها : تردها . القصور : الحصون .

4 . الفرزدق، ديوانه ، ١ : ٣١١ .

5 . انظر : الفرزدق ، ديوانه ، ج١، ص٣١٦، ص٣٣٢ ، ص٣٣٩ ، ص ٣٤٢، ص٤٠٩ . وانظر : كثير عزة ، ديوانه ، ص ٨٦، ص٢٥٢، ص٤٠٥ . وانظر : الأنصاري ، النعمان بن بشير، شعره ، ص ١٠٧ . وانظر : عباس ، شعر الخوارج ، ص٥ ، ص٣٣ ، ص٤٧ ، ص٨٥ .

أثراً طيباً لا يمحوه الموت ، ولذا سجل شعراء العصر أعذب الأشعار في رثاء ذلك البطل الصبور ، فهذا جرير يرثي عمر بن عبد العزيز ، فيقول [1]:

تَنْعى النُّعاةُ أميرَ المؤمنينَ لنــا ؛	يا خيْرَ من حَجَّ بيْتَ اللهِ واعْتَمَــرا
حُمِّلْتَ أمراً عَظيماً فاصْطَبَرْتَ لـهُ	وَقُمْتَ فيهِ بأمْرِ اللهِ ، يا عُمَــرَا
فالشّمسُ كاسِفَةٌ ليْسَتْ بطالِعَــةٍ	تبكِي عليكَ ، نجومُ الليلِ والقمــرا

ويرثي كثيّر عزة خالد بن عبد الله الأسدي ، فهو الذي يحتمل ما ينوء غيره بحملانه ، إنه بطل صبور في الشدة ، متجملٌ عند المصيبة ، لا تفتُّ الأهوال في عزيمته ، ولا تضعف المصائب شكيمته ، فيقول [2] :

على خالدٍ أصبحتُ أبكي لخالــدٍ	وأصْدُقُ نَفْساً قد أصيبَ خليلُهــا
تذكَّرتُ منهُ بعدَ أوّلِ هجْعَــةٍ	مساعِيَ لا أدري على من أحيلُهــا
وكنتَ إذْ نابَتْ قريْشاً مُلِمَّــة	وقالَ رجالٌ سادةٌ : مَن يزيلهــا
فأينَ لها لا معجَباً بنجاحِهــا	ولا يحملُ الأثقالَ إلا حَمولهــا
فاينَ الذي كانتْ معدٌّ تَنوبُــهُ	ويحتملُ الأعباءَ ثم يقولُهــا

كما يرثي سراقة البارقي أحدهم لثباته في ساحة القتال ، وصبره في النوازل ، ولفقده تظل النساء طوال وقتها نائحة لأنها فقدت بطلاً صابراً كان يحمي ذمار قومه ويذود عنهم ، يقــول[3] :

فأنتَ متى ما جِئتَنا في بيوتنــا	سَمِعْتَ عويلاً من عَوانٍ وعاتِــق [4]
يُبَكِّيْنَ محمودَ الضريبةِ ماجِــداً	صبوراً لدى الهيجاءِ عندَ الحقائِــق [5]

وكذلك ظلت بطولة الصبر صورة حية برزت قيمتها في العصر الأموي ، واتضحت معالمها في أبطاله ، الذين شكلوا نماذج بطولية في ثبات جأشهم وتجلُّدهم ، وشدّة احتمالهم للشّدائد والصّعاب ، فَعَلَوْا ونالوا المجد ، وفخروا ببطولتهم ، وامتدحهم شعراء العصر ، وأقر لهم المجتمع الأموي بالشرف والسيادة ، وتألم لفقدهم ، فرثاهم شعراؤه أجمل الرثاء .

---

1. جرير ، ديوانه ، ٢ : ٧٣٦ .
2. كثير عزة ، ديوانه ، ص ٢٧٢ .
3. البارقي ، سراقة ، ديوانه ، ص ٥٧ .
4. العوان : النصف من النساء . العاتق : الشابة المخدرة التي لم تتزوج .
5. الضريبة : الطبيعة والسجية . الحقائق : جمع حقيقة ، وهي ما يحق للإنسان حمايته .

بطولـة العِـفّـة :

إنّ ضبط النفس ، ولجمها عن الانسياق وراء الشهوات والنزوات أمرٌ عسير في ظل المجتمع الأموي الذي يعيش بعضه المدنية ، ويلج أبواب التمدن التي تنفتح على بهارجَ وأموالٍ وشهواتٍ عديدة متنوعة ، لذا فإن كبح جماح النفس التي تحب المال حباً جمّاً ، وتتوق نحو الممنوع في مجتمع ذاع في طبقة منه الترف ، واللهو ، والمجون ، أمرٌ يتطلب شخصية قوية حازمة صابرة

عفيفة ، لا تعير اهتماماً للشهوات ، ولا تكترث بالأطماع الدّنيئة ، وتلك الشخصية بصفاتها هذه تمتلك خصلة ليس باليسير امتلاكها ، ولذا فإنها تفوق غيرها وتتميز عن أقرانها .

إنّ العفة من البطولات الخُلقيّة في العصر الأموي ، وهي تعني " الكفّ عمّا لا يحلّ ويجمل ، والكفّ عن المحارم والأطماع الدنيّة " [١]، وهذا أمرٌ لا يتحصّلُ إلا للقادر على ضبط نفسه ، وتوجيه هواه الوجهة العَفّة ، لأن النفس تسيطر على طبيعة الإنسان وتأخذه بمجامع هواه ، لذلك قالت العرب : " الهوى إله معبود " [٢].

لقد اعتدّ المجتمع الأموي بالعفة ، وبرزت لديهم بوصفها قيمة بطولية لا يحوزها إلا البطل المقدام ، لذا حضّوا عليها ، وفخروا بالتحلي بها ، فهذا عبد الله بن معاوية يدعو لمصاحبة العفيف والاقتداء به ، فيقول [٣] :

أبْلُ الرّجالَ إذا أردْتَ إخاءَهُـمْ | **وتَوَسَّمَنَّ أمورَهُمْ ، وَتَفقَّـــدِ**
فإذا رأيتَ أخا العفافةِ والنّهـى | **فبهِ اليدينِ ـ قريرَ عيْنٍ ـ فاشْـدُدِ**

ويظهر عبد الله بن معاوية تعففاً سامياً في نفسه ، فهو لا ينساق خلف الشهوات ، ولا يطمع في كنز الأموال ، إنما هي ما وجدت إلا لخدمته وخدمة قومه وسد حاجاتهم ، فهو لا يمنعها عنهم لأنه بطل عفٌّ مفضال ، يقول [٤] :

أرى نفسي تتوقُ إلى أمـورٍ | **ويَقْصُرُ دونَ مبلغِهِنَّ مالـي**
فنفسي لا تطاوعني ببخـلٍ | **ومالي لا يُبَلِّغُني فَعَالـي**
فلا واللهِ ما أحْببتُ مـالاً | **لشيءٍ قطُّ إلا للنَّـوالِ**
أفيْدُ ويستفيدُ الناسُ منـي | **وما يبقى يصيرُ إلى الـزَّوالِ**

ويتبدى فخر مسكين الدارمي بعفته وزهد نفسه ، وقدرته على كبح هواها ليس في فقره وحسب ، بل في يسره أيضاً ، وهنا تتجلى قيمة العفة الحقّة في فقر صاحبها ، فالعفة عن فقر وفاقة أكثر مدعاة للإعجاب والفخر من العفة عن غنى وسعة ، يقول [٥] :

---
1 . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عفف) .
2 . ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦ هـ)، عيون الأخبار ، نسخة مصورة بالأوفست عن دار الكتب المصرية ، ٤م، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ١ : ٣٧ .
3 . عبد الله بن معاوية (ت١٣١ هـ) ، شعر عبد الله بن معاوية ، ط٢، (جمعه عبد الحميد الراضي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢، ص٤٣ – ص٤٤ .
4 . المصدر نفسه ، ص ٦٧ . وانظر : شواهد أخرى ، ص ٤٥ .
5 . مسكين الدارمي ، ديوانه ، ص ٤١ – ص ٤٢ .

ولستُ إذا ما سرّني الدّهرُ ضاحكـاً ... ولا خاشعاً ما عشتُ من حادثِ الدّهـرِ

ولا جاعِلاً عِرضي لمالي وقايــة ... ولكن أقي عِرضي فيحرزُهُ وَفْــري

أعِفُّ لدى عُسْري وأبْدي تجمُّـلاً ... ولا خيرَ فيمن لا يعفُّ لدى العُسْــرِ

وإنّي لأستحيي إذا كنتُ مُعْسِـراً ... صديقي ، وإخواني بأن يعلموا فقـري

وأقطعُ إخواني وما حالَ عهدهُـم ... حياءً وإعراضاً ، وما بي من كِبْــرِ

ويعفُّ البطل بحماية حليفه فلا يغدر به ، ويقضي على شح نفسه وطمعها ، وكثيراً ما فخر الأبطال بذلك ، يقول ابن ميادة [١] :

إنّي امرؤٌ أعتفي الحاجاتِ أطلُبها ... كما اعتفى سَنِقٌ يلقى لهُ العشْــبُ [٢]

ولا ألِحُّ على الخلانِ أسألُهُــمْ ... كما يُلِحُّ بعَظْمِ الغاربِ القتـــبُ [٣]

ولا أطاوعُ ندماني لاخدَعَـــهُ ... عن مالهِ حينَ يسْترخي به اللبـــبُ [٤]

ومن مظاهر عفة البطل الأموي حفظه للسانه ، وبعده عن النميمة والغيبة ، وانصرافه عن الدنايا ، وبذلك يفخر سراقة البارقي ، فيقول [٥] :

وإنْ أكُ مَفْجوعاً حزيناً مُــرَزّأً ... يؤرِّقني طيفُ الهمومِ الطـــوارق

فما أنا بالواني ولا عاجزُ القـوى ... ولا نَزِقٌ يَخْشى أذاتي مُرافِقــي

ولا لاطِمٌ وجه ابنِ عمي سفاهـةً ... ولا أنا بالعوراءِ يوماً بناطِـــق

ويجمع الأخطل في مدحته ليزيد بن معاوية جملة من القيم البطولية ينعته بها ، فهو المقدام الشجاع في الحرب ، ينحدر من أبٍ عفيف النفس ، يوفي بالعهد ، ويصبر عن الشدائد ، وقد ورث يزيد هذه الخصال عن أبيه ، يقول الأخطل [٦] :

تخَمَّطَ فَحْلَ الحربِ ، حتى تواضعتْ ... له ، واعتلاها ذا مشيبٍ ، وأمــرَدا [٧]

وما وجَدَتْ فيها قريشٌ لأمْرهــا ... أعفُّ ، وأوفى من أبيكَ ، وأمْجَـــدا

وأصْلَبَ عوداً حين ضاقت أمورُهـا ... وهَمَّتْ مَعَدٌّ أن تَخيمَ ، وتخْمُـــدا [٨]

---

1 . ابن ميادة ، شعره ، ص١٨ .
2 . السَّنِق : البعير الذي اكل حتى بشم .
3 . الغارب : ما بين السنام والعنق . القتب : الحبل .
4 . اللبب : البال ، وأصله ما يشد على صدر الدابة والناقة يمنع الرحل والسرج من الاسترخاء .
5 . البارقي ، سراقة ، ديوانه ، ص ٥٦ .
6 . الأخطل ، ديوانه ، ص ٢٠٨ .
7 . التخمط : هياج الفحل ، ونصب " فحلا " على الفعل ، كأنه قال تخمط كذا .
8 . تخيم : تنكص وتجبن .

إن طبيعة الحياة الصحراوية الواسعة المظلمة التي تسهّل على الفرد ممارسة شهواته متخفياً ، وطبيعة الحياة المدنية التي تزخر بألوان الشهوات ، وتحفل ببهارج المدنية وأموالها ومتعها جعلت العفة من القيم البطولية التي يكرّم صاحبها ، ويمدح على التحلي بها ، فهذا جرير يمدح عمر بن عبد العزيز واصفاً عفته وعصيانه لهواه ، فيقول [١] :

أنتَ المباركُ والمهديُّ سيرتُـهُ　　　تعصي الهوى وتقومُ الليلَ بالسُّـور

أصبحْتَ للمنبر المعمور مجلِسُهُ ،　　　زَيْنَاً وزَيْنَ قِبابِ المُلْكِ والحُجَـر

والبطل الأموي العفيف يسيطر على شهوة النفس بترك الغنائم والهبات وإن كانت مغرية ، وهكذا كان عمر بن عبد العزيز كما يصوره العرجي [٢] :

فلمّا أتاكَ الملكُ عفواً ولم يكـن　　　لِطالِبِ دنيا بعدهُ من تَكَلُّـم

تركْتَ الذي يفنى وإن كان مونِقاً　　　وآثَرْتَ ما يبقى برأيٍ مُصَمِّـمِ

وأضْرَرْتَ بالفاني وشَمَّرْت للـذي　　　أمامكَ في يومٍ من الشرِّ مظلِـم

ويمدح الفرزدق زياد بن الربيع ، فهو البطل العفيف ، ينزه نفسه عن ملذات الدنيا ومتعها [٣]:

أبَتْ ناقتي إلا زياداً ورغبَتـي　　　وما الجودُ من أخلاقِهِ ببديـع

فتىً غيرُ مِفْراحٍ بدنيا يُصيبُهـا　　　ومِن نكباتِ الدّهر غيرُ جَـزوع

ويرى البطل العفيف في العصر الأموي أن " حرم الجوار مقدّس لا يجوز خرقه وتدنيسه "[٤] ويتوجب عليه حمايته والذود عنه ، فيعف عن جاره ولا يؤذيه ، ولا ينتقصه حقه ، ولا ينال من عرضه ، وبهذا يمدح الراعي النميري بني عدي بن جندب ، فيقول فيهم [٥] :

إذا انسلخَ الشهرُ الحرام فودِّعـي　　　بلادَ تميمٍ وانصري أرض عامـر

واثني على الحيَّيْنِ عمروٍ ومالـكٍ　　　ثناءً يوافيهمْ بنجدٍ وغائـر

كرامٍ إذا تلقاهمُ عن جَنَابَـةٍ　　　أعِفّاءُ عن بيتِ الغريبِ المُـجاور [٦]

---

1 . جرير ، ديوانه ، ١ : ٤١٦ .
2 . العرجي ، ديوانه ، ص ٣٣٥ .
3 . الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ٣٩٥ .
4 . البستاني ، الشعراء الفرسان ، ص ١٠٣ .
5 . الراعي النميري ، ديوانه ، ص ٢١١ .
6 . عن جنابة : أي بعد غربة وبعد .

وقد تجلت بطولة العفة عند الخوارج الذين ابتغوا الدار الآخرة ، فأعرضوا عن متاع الدنيا وزخرفها ، وعقّوا عن مباهجها ومتعها ، يقول فيهم عمرو بن الحسن الأباضي الكوفي [١] :

في فتيةٍ شرطوا نفوسَهُـــمُ	**للمشرَفيّة والقنا السّمْـــــر**
متراحمينَ : ذوو يسارهـــمُ	**يتعطّفون على ذوي الفقـــــر**
وذوو خَصاصَتِهم كأنَّهـــمُ	**من صِدْق عفّتِهم ذوو وفْـــــر**
متجمّلينَ بطيبِ خيمِهِـــمُ	**لا يهلعونَ لنبوةِ الدهـــــر**
فكذاكَ مثريهم ومُقْتِرُهـــم	**أكْرِمْ بمقترهم وبالمُثْـــــري**

وفي رثاء عمرو بن الحصين لأبي حمزة بن عوف الأزدي ضمن قصيدته جملة من مظاهر بطولة العفة ، مثل حفظ اللسان ، والوفاء بالعهد ونبذ الغدر والخداع ، ونزاهة النفس والانتصار على هواها وغرائزها في عسرها ويسرها ، فقال [٢] :

أوفى بذمّتِهم إذا عقـــدوا	**وأعفُّ عند العسرِ واليُسْـــــر**
متأهّبون لكلِّ صالحـــــةٍ	**ناهونَ مَن لاقوا عن النُّكْـــــر**
صُمْتٌ إذا احتضروا مجالِسَهُـمْ	**وزنٌ لقولِ خطيبِهِمْ وقـــــر**
كم من أخٍ لكَ قد فُجِعْتَ بـــهِ	**قوَّامِ ليلته إلى الفجـــــر**
ظمآنُ وَقَدَةَ كلِّ هاجِـــرَةٍ	**ترّاكُ لذّتِهِ على قـــــدر**
ترّاكُ ما تهوى النفـــوسُ إذا	**رغبُ النفوسِ دعا إلى المـــزري**
ومبرّأ من كلِّ سيّئـــــةٍ	**عفّ الهوى ذا مِرّةٍ شَـــزْر**

وهكذا كانت بطولة العفة ظاهرة جلية في المجتمع الأموي ، انتصر صاحبها على شهوة نفسه ، وكبح جماح هواها ، وسيطر على غرائزها ، فحفظ لسانه من فحش القول ، وصان جواره ، وابتعد عن الدنايا والأطماع ، وأوفى بعهده ، وأبرأ ذمته ، فحُقَّ له بتلك الخصال النبيلة أن يتفاخر، ونال بها وسام البطولة ، وانطلقت لذلك ألسن الشعراء تلهج بمديحه ، وعدّه المجتمع بطلاً ساد على بقية أفراده وتميز عنهم .

---

[1] . عباس ، شعر الخوارج ، ص ٨٣ – ص ٨٤ .
[2] . المصدر نفسه ، ص ٨٥ – ص ٨٦ .

بطولة الوفاء :

يشير الوفاء إلى " الإتمام " [١]، ويعد من الفضائل التي يحمدها الإنسان ، لما له من آثار إيجابية ومنافع عديدة في حياة المجتمعات ، ولتأثيره البالغ في تماسك المجتمع وترابط أفراده ، وإشاعة الأمن والثقة فيما بينهم ، فالوفاء " ينمي الفضيلة بين أبناء المجتمع ، وهو انتصارُ للإنسان على نفسه ، بعد صراع مرير يتجاذب طرفيه عاملان هما الخير في الوفاء والشر في الخُلْفِ والغدر ، فمن استطاع أن يغلّب الجانب الأول فهو البطل الحريّ بالإكبار " [٢]، كما أن للوفاء شأناً كبيراً في توحيد المجتمعات وتوثيق الصلات بين أفرادها فتشيع بينهم المحبة والمودة ، فيغدو بذلك

[1] . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (وفي) .
[2] . زلط ، عبد الحليم محمود (١٩٨٤) ، البطولة النفسية والشمائل الإنسانية في الشعر الجاهلي ، مجلة الدارة ، العدد (٣) : ١٥٣ .

المجتمع قوياً متماسكاً تتصاغر أمامه الأعداء ، وتذل عنده الصعاب ، لأن قوة المجتمعات تعتمد على نبذ الرذائل والتمسك بالقيم السامية النبيلة ، أما نقيض الوفاء فهو الغدر الذي ينشر الكراهية والبغضاء فيقطع الأواصر ويفكك العرى ، ويهدم المجتمعات .

ولقد ربط العرب الحرية بالوفاء وإتمام الوعود ، والعرب تقول : " أنجز حرٌ ما وعد "[١] ، ولذلك اعتدّ أبطال العصر الأموي بالوفاء اعتداداً عظيماً ، لأنه من القيم المثالية في عصرهم ، حتى وإن كلّفهم ذلك مسؤوليات جسيمة وأعباء ثقيلة ، يقول عبد الله بن معاوية [٢] :

ولَسْتَ مستبقياً أخاً لـــكَ لا ... تصْفح عمّا يكون من زَلَلِـــهْ

ليس الفتى بالذي يحول عن الـ ... ـعهدِ ، ويؤتى الصديقُ من قِبَلِـــهْ

ويوفي عبد الله بن معاوية بعهده ، ويخلص في وده لصحبه ، حتى وإن ابتعدوا عنه ، إلا أنه صائنٌ لودهم ، وفيٌ لعهدهم ، يقول [٣] :

لسْتُ إنْ زاغَ ذو إخـــاءٍ وودٍّ ... عن طريقٍ بتابعٍ أثـــــرَهْ

بل أديمُ الثناءَ والودّ حتـــى ... يتبع الحقَّ بعْدُ أو يـــــذَرْهْ

ويقول أيضاً مبيناً مدى وفائه وصدق عهده ووده لغيره [٤] :

أصُدُّ صدودَ امرئٍ مجمِـــلٍ ... إذا حال ذو الودِّ عن حالـــهِ

ولستُ بمُسْتَعْتِبٍ صاحِبـــاً ... إذا جعلَ الهَجْرَ من بالِـــهِ

ولكنني صارمُ حبلـــهِ ... وذلكَ فعلي بامثالِـــهِ

ومهما أدلَّ بحقٍّ لـــهُ ... عرفتُ لهُ حقَّ إدلالِـــهِ

وإني على كلِّ حالٍ لـــهُ ... من إدبارِ ودٍّ وإقبالِـــهِ

لَراعٍ لأحسَنِ ما بيننـــا ... بحِفْظِ الإخاءِ وإجْلالِـــهِ

إن الوفاء سمة الأبطال ، وإنجاز العهد ، وصون المواعيد ، وحفظ الجوار ، من خصال المتميزين من أفراد المجتمع ، يُلجأ إليهم في الشدائد ، فيوفون بواجباتهم تجاه الآخرين ، يقول القطامي [٥] :

---

1 . ابن قتيبة الدينوري ، عيون الأخبار ، ٣ : ١٤٩ .

2 . عبد الله بن معاوية ، شعره ، ص ٢١ . وانظر شواهد أخرى : ص ٣٠ ، ص٧٧، ص٨٥ .

3 . المصدر نفسه ، ص٤٨ .

4 . المصدر نفسه ، ص ٧٢ .

5 . القطامي ، ديوانه ، ص ١١١ .

وإذا أصابكَ والحوادثُ جَمَّـــةٌ حَدَثٌ حَداكَ إلى أخيكَ الأوْثــــق
وهمُ الرّجالُ وكلُّ ذلكَ فيهـــمُ يُجَدونَ في رَحْبٍ وفي مُتَضَيَّـــق
إنَّ الرِّجالَ إذا طَلَبْتَ نوالَهُـــمْ منهمْ خليلُ مودّةٍ وتملُّـــــق
وأخو مكارَمَةٍ على علاّتِـــهِ فوَجَدْتَ خيرَهُمُ خليلُ المصـــدق

وقد اهتم العرب في العصر الأموي بالوفاء ، فدعوا إلى التحلي به بوصفه فضيلة أخلاقية سامية ، ترقى بالمجتمع وتزيد من قوته وتماسك أفراده ، يقول الفرزدق مستقبحاً الغدر ، فهو عنده أشد وقعاً من سفك دم البريء [١] :

فإنّا وجدْنا الغَدْرَ أعظَمَ سُبَّـــةٍ وأفضَحَ من قتلِ امرئٍ غير مذنِـــبِ

ويؤكد جرير عمق المفارقة بين الوفي والغادر ، فالأول يتحلى بفضيلة تعود بالنفع لمجتمعه ، أما الثاني فخص برذيلة تفتُّ في عضد مجتمعه وتهلكه ، قائلاً [٢] :

ليتَ الزُّبيرَ بنا تَلَبَّسَ حبْلُـــهُ ليسَ الوفيُّ لجارهِ كالغـــادِرِ

وتظهر منزلة الوفاء وإنجاز الوعد وإتمامه جلية لدى الراعي النميري ، فهي منزلة سامقة يقرُّ برفعتها الجميع ، ويطال نفعها الأمم كلها ، حيث يقول [٣] :

فلا يكوننَّ موعوداً وأيْتَ بـــهِ دَيْنَاً يعودُ إلى مطلٍ وليّـــانِ
واعلَم بأنّ نجاح الوعدِ منزلــةٌ جليلةُ القدْرِ عندَ الإنسِ والجـــانِ

ولقد حُقَّ للمتوكل الليثي الفخر والاعتزاز ، واستحق الشرف والمجد ، لأنه وفيٌّ بعهده ، فلا يغدر ولا يخون ، ولذلك يقول [٤] :

خليليَّ غُضَّا اللّومَ عني إننـــي على العهدِ لا مُخْنٍ ولا متـــوانِ[٥]
ستعلمُ قومي أنني كنتُ ســـورةً من العِزِّ إنْ داعي المنونِ دعانـــي

---

[1] . الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ٢١ .
[2] . جرير ، ديوانه ، ١ : ٣١٠ .
[3] . الراعي النميري ، شعره ، ص ٢٤٩ .
[4] . الليثي ، المتوكل ، شعره ، ص ١٩٤ .
[5] . مخنٍ : مفحش ومفسد .

ويفخر مسكين الدارمي بوفاء قومه ، وبعدهم عن الغدر والعار ، وهم على ذلك حتى يموتوا ، ولذلك فهم قومٌ أعزاءٌ ذوو مجد ورفعة ، أحرزوا بخصالهم النبيلة شرف البطولة ، يقول [١] :

في المجدِ غرَّتُنا مبيّنـــــةٌ	**للناظرينَ كانها البــــــدرُ**
لا يرهبُ الجيرانُ غَدْرَتَنـــا	**حتى يواري ذكرُها القبـــــرُ**

ولا تقتصر بطولة الوفاء على إتمام الوعود ، بل لها مظهر آخر يتمثل في حفظ الامانة وصونها ، فالبطل الوفي يتحمل الكثير من الصعاب من أجل الحفاظ عليها حتى أدائها لصاحبها ، ولما يلاقيه في ذلك من متاعب وعوائق كان يفتخر بحفظها،يقول المتوكل الليثي [٢] :

ابْلِغْ رُمَيْمَ على التّنائي أننـــي	**وصّالُ إخوانِ الصّفاءِ صَـــرومُ [٣]**
أرعى الأمانة للأمينِ بحقّهـــا	**فيَبينُ عَفّاً سِرُّهُ مكتــــــومُ**

ويقول العرجي في شأن الأمانة وثقلها ، حاضّاً على التحمّل والتصبّر في سبيل حفظها ، فمهما لاقى المؤتَمَنُ من صعاب وجب عليه الوفاء بها وصيانتها [٤] :

وما حُمِّلَ الإنسانُ مِثْلَ أمانـــةٍ	**أشقَّ عليهِ حينَ يحْمِلُها حَمْـــلا**
فإنْ أنتَ حُمِّلْتَ الأمانة فاصطبِـرْ	**عليها ، فقد حُمِّلْتَ من أمرها ثِقْــلا**
ولا تقْبَلَنَّ فيمَن رضيتَ نميمـــة	**وقل للذي يأتيكَ يحمِلُها : مَهْـــلا**

وتتبدى بطولة الوفاء في حماية المستجير ، لأن المجير يقطع على نفسه وعداً بتوفير الحماية لمن أجار ، ولابد أن يتم وعده ، ولذا " كان العرب يحرصون على جارهم حرصهم على شرفهم " [٥] ، مما جعل الأبطال يتسابقون لإجارة من يأوي أليهم من الضعفاء والفقراء ، فيكرمونهم ، ويمدون لهم أيدي العون ، ويقدمون لهم كل سبل الراحة ، ويبذلون كل ما في وسعهم لحمايتهم ، يقول عروة بن أذينة [٦] :

وجارٍ منعناهُ فقرَّ جَنَابُـــهُ	**ونامَ وما جارُ الذليل بنائِــــم**
وكنّا له تُرْساً من الخوفِ يَتَّقــي	**بنا شوكة الأعداءِ أهلِ النَّقائِـــمِ [٧]**

---

1. مسكين الدارمي ، ديوانه ، ص ٤٤ .
2. الليثي ، المتوكل ، شعره ، ص ٧٨ .
3. رميم : مرخم رميمة ، علم إمرأة .
4. العرجي ، ديوانه ، ص ٢٩٢ .
5. الجبوري ، الجاهلية مقدمة في الحياة العربية لدراسة الأدب الجاهلي ، ص ٦٧ .
6. ابن أذينة ، عروة ، شعره ، ص ١١٦ .
7. النقائم : الكافأة في العقوبة .

مثّل الوفاء قيمة بطولية في العصر الأموي ، ولذلك امتاز بطلها عن غيره ، ونال بالاتصاف بها أقاصي المجد ، وارتقى إلى أعالي درجات البطولة ، فوجب له الثناء والمدح ، حتى انبرى شعراء العصر الأموي يمدحون أبطال الوفاء ، لإنجازهم العهود والمواثيق ، وكتمانهم الأسرار ، وصونهم الأمانات ، وحسن إجارتهم للمستجير ، فهذا ابن قيس الرقيات يمدح عبد الملك بن مروان ، لصونه للعهود ، ووفائه بالحقوق ، وحمايته للمستجير [1] :

أحَلَّكَ اللهُ والخليفةُ ، بالـــــ ـغوْطةِ ، داراً بها بنو الحَكَـــــم

المانِعو الجارَ أن يُضامَ ، فمـــا جارٌ دعا فيهم بمُهْتَضَـــــمِ

والوارثو منبرَ الخلافةِ ، والـــ ـموفونَ ، عند العهدِ ، بالذّمـــمِ

والجابرو كَسْرَ من أرادوا ،وما الـ ـكَسْرُ الذي أوْهَنُوا بمُلْتَئِـــــم

وتنطوي بطولة الوفاء على صون عرض الجار ، وحسن الجوار ، وصدق الصداقة مع الصديق ، وفي ذلك يقول الأحوص الأنصاري [2] :

ثنْتانِ لا أدْنو لوصْلِهمـــــا عِرسُ الخليلِ وجارةُ الجُنُـــــبِ

أما الخليلُ فلَسْتُ فاجِعــــهُ والجارُ أوصاني بهِ ربّـــــي

ويقول جرير مادحاً وفاء بني رفاعة لحق مستجيرهم ، وإكرامهم له أفضل الكرم ، وحمايتهم له ، حتى غدوا بذلك الفعل الطيب سادة يشار لهم بالبنان [3] :

وإنَّ بني رفاعة مِنْ تميــــمٍ هُمُ اللَّجَأُ المُؤَمَّلُ والنَّصيـــــرُ

هُمُ الأخيارُ مَنْسَكَةً وَهَدْيَـــاً وفي الهيْجا كأنهمُ الصّقــــورُ

مرائيبُ الثأى حُشُدُ المَقـــاري وُفَاةٌ حينَ لا يُوفِي خَفيــــرُ [4]

ويثني الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ، لوفائه لمستجيريه من آل المهلب الذين فرّوا من اضطهاد الحجاج ، فسليمان أوفى مجير ، وخير وافٍ لمن يستجير به ، وقد فاق غيره بهذه المزية [5] :

لعمري لقد أوفى وزاد وفـــاؤُهُ على كلِّ جارٍ ، جارُ آلِ المهلّـــبِ

أمرَّ لهُمْ حبلاً ، فلمّا ارْتَقوا بـــهِ أتى دونَهُ مِنهُمْ بدَرْءٍ ومَنْكَـــبِ [6]

1 . الرقيات ، ابن قيس ، شعره ، ص ١٨٨ .
2 . الأحوص الأنصاري ، شعره ، ص٢٩ .
3 . جرير ، ديوانه ، ١ : ٤٦٢ .
4 . مرائيب : من رأب الثأي : أصلح الفساد . الثأي : الإفساد والجراح والقتل ونحوه . المقاري : جمع مقراة ، وهي القصعة يقدم الأكل فيها للضيف . الخفير : المجير .
5 . الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ١٩ .
6 . أمرّ لهم حبلاً : فتله فتلاً محكماً ، وأراد بالحبل الذمة . الدرء : الإعانة . المنكب : العون .

وقالَ لهم : حُلُّوا الرِّحالَ ، فإنَّكُــمْ   **هَرَبْتُمْ ، فألقوها إلى خير مَهْـــرَبِ**

أتَوْهُ ولم يُرْسِلْ إليهم ، وما ألَــوْا   **عن الأمنَع الأوْفى الجِوار المُـــهَذَّبِ [1]**

فكانَ كما ظنّوا بهِ ، والذي رَجَـوْا   **لهُم حينَ ألْقوْا عن حراجيج لُغَّـــبِ [2]**

إلى خير بيتٍ فيهِ أوْفى مُجـاوِرٍ   **جِواراً إلى أطنابهِ خيرَ مذْهَـــــبِ**

ويصف عمرو بن الحصين وفاء صحبه من الخوارج بعهودهم ، وإنفاذهم لمواثيقهم ، فهم أوفياء للمذهب ، متمون لمطلب العقيدة ، وذلك ببذل النفس والتضحية بها طلباً لرضوان الله ، وابتغاءً لعظيم ثوابه ، فيقول [3] :

وهُمُ مساعِرُ في الوغى رجــحٌ   **وخيارُ من يمشي على العفـــر[4]**

حتى وفوا للهِ حيث لقـــوا   **بعهودِ لا كذبٍ ولا غــــدْرِ**

فتَخالَسوا مُهجاتِ أنفُسِهِـــم   **وعداتهم بقواضِبٍ بُتْـــــرِ [5]**

والوفاء للمرأة قيمة بطولية اعتدّ بها الشاعر الأموي ، يقول طهمان بن عمرو الكلابي[6] :

وإني لليلى بعدَ شيبِ مفارقــي   **وبعدَ تحنّي أعْظُمي لصديــــقُ**

وإني إن يلقني القومُ بينَهـــم   **أحاديثُ أجنيها ، عليكِ شفيـــقُ**

ويمدح الكميت بن زيد الأسدي وفاء خالد القسري ، وإتمامه لمواعيده ، فيقول [7] :

لا تخلِفُ الوَعْدَ إنْ وعَــدْتَ ولا   **خلفكَ للراغبين منقلـــــبُ**

وابن ميادة وفيٌ لأم مالك وإن طال به العهد ، واعتلج في قلبه الشوق [8] :

وإنّي لمَا استوْدَعْتِ يا أمَّ مالــكٍ   **على قِدَمٍ من عهْدِهِ لكتــــومُ**

وإني على الشوق الذي أنا داخلٌ   **إذا باحَ أصحابُ الهوى لكتـــومُ**

---

1 . ألوا : أبطأوا .

2 . الحراجيج : جمع حرجوج ، وهي الناقة الشديدة الضامرة . اللغب : العطاش .

3 . عباس ، شعر الخوارج ، ص ٨٧ .

4 . العفر : التراب .

5 . القواضب : جمع قاضب ، وهو السيف . البتر : القطع .

6 . الكلابي ، طهمان بن عمرو (ت ٨٠هـ)، ديوان طهمان بن عمرو الكلابي ، (تحقيق محمد جبار المعيبد)، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٨ ، ص ٢٣ .

7 . الأسدي ، الكميت بن زيد (ت١٢٦هـ)، شعر الكميت بن زيد الأسدي ، ٣ أجزاء، (جمع وتقديم داود سلوم)، مكتبة الأندلس ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ١ : ٨٤ .

8 . ابن ميادة ، شعره ، ص٩٧ .

وتكثر الشواهد الشعرية في دواوين العصر الأموي التي قيل بعضها فخراً ببطولة الوفاء ، والاعتداد بها ، والدعوة إليها بوصفها قيمة أخلاقية فضلى ، وجاء بعضها الآخر مدحاً للبطل الوفي وثناءً عليه ، كونه شخصية بطولية ذات خصال لا يحوزها غيره ، وقيل غيرها في رثاء البطل الوفي ، وأشار غيرها إلى ذم الخائن الغادر ، والتبرئ منه ومن فعلته [١] .

الفصل الثاني

" بواعث البطولة في الشعر الأموي "

يعدونَ بالأبطالِ نحوَ الوَغــى　　　وهَمُّهُنَّ الشَّرَفُ القابــــلُ

[1] . انظر : جرير ، ديوانه ، ١ : ٢٥٨ ، ٢ : ٨٥٨ ، ٢ : ٦٢٤ ، ١ : ٤٤٣ ، ١ : ٢١٢. وانظر : الفرزدق ، ديوانه ، ج١ ، ص١٩، ص٢١، ص٢٦٧ . وانظر : الرقيات، ابن قيس ، شعره ، ص ١٩٢، ص٢٧٣ . وانظر : الأخطل ، ديوانه ، ص ٢٧٥ . وانظر : كثير عزة ، ديوانه ، ص١١٢، ص١٢٢، ص١٢٩، ص١٧٧، ص١٩٧، ص٢١٦، ص٢٤٣، ص٤٠٦، ص٤٣٠. وانظر : مسكين الدارمي ، ديوانه ، ص٢٨، ص٥٢ . وانظر : عباس ، شعر الخوارج ، ص٢٦ ، ص٢٩، ص٣٨، ص٨٥ . وانظر : الكناني ، نصر بن سيار ، ديوانه ، ص ٤٢ . وانظر : المخزومي، الحارث بن خالد (ت ٨٥هـ)، شعر الحارث بن خالد المخزومي ، ط١، (تحقيق يحيى الجبوري) ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ١٩٧٢ ، ص٥٢ .

المتوكل الليثي

لو رأتني ابنةُ الثُّويْعِمِ ليلـــى   إذْ نلفُّ الأبطالَ بالأبطــــــالِ

ابن قيس الرقيات

وسائلةٍ بالغَيْبِ عنّي ولـــو دَرَتْ   مقارَعَتي الأبطالَ طالَ نحيبُهـــا

أحد الخوارج

أولاً : الـبـواعـث الـعـربـيـة :

يهدف هذا الفصل إلى كشف العوامل التي أسهمت أو كان لها دور بارز في بطولات الأبطال في العصر الأموي ، متناولاً كل باعث من تلك البواعث بالتفصيل ، وتوضيح مدى تأثيره في حياة البطل الأموي ، ومن هذه البواعث العربية :

الـبـيـئـة :

تعد البيئة من أبرز العوامل المؤثرة في الأدب منذ القدم ، فتطبعه بطابعها ، وتشكله بموجوداتها ، فيصبح تعبيراً عنها وصورةً حية لها .

وتمثل البيئة أيضاً باعثاً مهماً يتحكم بالبطل ومسؤولياته ، ويحدد أهدافه وغاياته ، فلكل بطل ارتباطه الخاص ببيئته الخاصة ذات الظروف التاريخية والسياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية المعينة ، فالبيئة التي عاش فيها جرير مثلاً تختلف عن البيئة التي عاش فيها صلاح

الدين الأيوبي ، فلكل منهما مجاله وظروفه الخاصة ، وهذا يجعل لكل بطل خصوصيته النابعة من بيئته ، ومن المجال الذي يتحرك فيه ، والهدف الذي يتجه نحوه .

إن ظاهرة البطولة متبدلة بتبدل المجتمعات ، مختلفة من زمان لآخر ، فلكل مجتمع أو زمان ما معاييره الخاصة التي يقرر على ضوئها من هم أبطاله ، فالواقع الاجتماعي هو المنشئ لتلك المعايير وهو مقرّرها ، لأن البطل هو المعبر عن طموح الأمة والراسم لآمالها ، تتمثل فيه قيم أبنائها ، وتتفق شخصيته مع ميولهم وعاداتهم وأخلاقهم ،وترنو لتحقيق أهدافهم وإنفاذ مصالحهم .

لقد كان لطبيعة البيئة البدوية في العصر الأموي أثر في ترسيخ البطولة وإبرازها ، فهي بيئة صحراوية يشتد بردها شتاءً وحرّها صيفاً ، يرعى إنسانها الأغنام والأنعام ، يطلبون مساقط الغيث ، وينتجعون الكلأ والماء ، إنها بيئة " تمسّكت بالحياة الرعوية ، وحافظت على تقاليدها ومُثُلِها " [١]، وظل أناسها في ارتحالٍ دائم ، يقاسون عناء السفر وثقله ، ويواجهون أهوال الصحراء ومخاوفها ، ولذا برزت بطولة الكرم التي تمثلت في شخصية البطل الكريم الذي يمد لهم يد العون في سفرهم ، فيسكنهم ويطعمهم ليواصلوا بعد ذلك رحلتهم ، وبدت البطولة الحربية والقتالية التي يصورها البطل الذي يقاتل في سبيل العيش ، كما ظهرت في تلك البيئة قيم بطولية مثل الصبر على تحمل مشاق الصحراء ، والوفاء للمستجير وحمايته ، وصون عرضه ، وغيرها من المثل التي فرضتها طبيعة البيئة البدوية .

ومن جانب آخر رسّخت طبيعة البيئة الحضرية ، وما فيها من مظاهر الترف والغنى بطولة العفة ، التي يتحلى بها بطل يعف عن المغانم والأطماع ، ويتنزه عن المكاسب والشهوات ، كما هو حال النعمان الأنصاري ، إذ يقول [٢] :

فلو أنَّ نفسي طاوعتْني لأصبَحَتْ ... لها حفدٌ مما يُعَدُّ كثيـــــرُ [٣]

ولكنَّها نفسُ عليَّ كريمـــــةٌ ... عَيوفٌ لأصهار اللئامِ قـــــذورُ [٤]

---

[1] . عطوان ، حسين (١٩٧٠)، الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، دار المعارف ، مصر، ص٤٨ .
[2] . الأنصاري ، النعمان بن بشير، شعره ، ص ١٠٢ .
[3] . الحفد : الخدم والأعوان .
[4] . عيوف : كاره مبغض . القذور : المتنحي والمتنزه عن الناس ، الذي لا يخالطهم .

وأسهمت البيئة الحضرية في إظهار بطولة الإباء في صورة بطل لا يرتضي الضيم ، ولا يقبل الهوان ، عزيز النفس ، شامخٌ ، لا ينحدر إلى الفحش والرذيلة ، وهذا ما كان عليه بنو بخذج ، حيث يصفهم جرير بقوله [١] :

إذا كُنْتَ مُرْتادَ السَّماحَةَ والنَّدى ... فَعِنْدَ الطِّوالِ الشُّمِّ من آلِ بخـــذَجِ

وتبدّت في البيئة الحضرية صورة البطل الكريم ، الذي ينفق ماله ولا يبخل به على كل ذي حاجة ، طالباً بذلك الذكر وحسن الأحدوثة ، هادفاً إلى المجد والرفعة ، وذلك ما كان عليه ابن برثن [٢] ، فامتدحه الفرزدق بقوله [٣] :

ألا إنَّ خيرَ المالِ مالُ ابنِ بُرْثُـنٍ ... وأزكى الذي تُرْجى لِغِبٍّ عواقِبُـــهْ

وما زال يَشْرِي الحَمْدَ بالمالِ والتُّقى ... وذلكَ مما أرْبَحَ البَيْعَ صاحِبُـــهْ

ولا شك في أن ظروف البيئة الاجتماعية أسهمت في إبراز صور لبطولات أخرى ، مثل بطولة الحلم والحزم والوفاء والصبر ، تميّز أبطالها في بيئتهم وبين أقوامهم .

أما البيئة السياسية في العصر الأموي ـ وما اكتنفها من صدوع وانقسامات ألمت بحياة الجماعة الإسلامية ، وما ظهر فيها من أحزاب تنافرت فيما ـ كان لها الأثر البالغ في إبراز البطولة الحربية ، إذ انبرى شعراء كل حزب يمتدحون فرسانهم وأبطالهم الذين استبسلوا في ساحات الوغى دفاعاً عن فكرهم ومبدئهم ، فهذا ابن قيس الرقيات يعرض لشجاعة الزبيريين وبأسهم ، فهم فرسان شجعان مدججون بالسلاح [٤] :

حَلَقٌ من بني كِنانة حولـــي ... بفلسطين يُسرعونَ الرُّكوبـــا

من رجالٍ تُغْني الرِّجال وخيـلٍ ... رُجُمٍ بالقنا تَسُدُّ الغيوبــــا

لا يُبالونَ من أقامَ إذا مـــا ... كَشَفوا بالسّيوفِ يوماً عصيبـــا

إنّ قومَ الفتى هُمُ الكنْزُ في دُنْـ ... ـياهُ والحالُ تسرعُ التّقليبـــا

وينتصر عمرو القنا بن عميرة العنبري للخوارج ، فهم الكرام الأبطال ، لا يجبنون في القتال ، ولا يهابون الرّدى ، يقول [٥] :

---

[1] . جرير ، ديوانه ، ٢ : ٧١٢.
[2] . هو الحصين بن برثن من بني عبد شمس بن سعد . (انظر : الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ٦٣) .
[3] . الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ٦٣ .
[4] . الرقيات ، ابن قيس ، شعره ، ص ١٠٩ ـ ص ١١٠ .
[5] . عباس ، شعر الخوارج ، ص ٣٩ .

القائلينَ إذا همْ بالقنا خرجــوا   من غمرة الموت : في حوماتها عودوا
عادوا فعادوا كراماً لا تنابلَـــةً   عندَ اللّقاء ولا رُعْشٌ رعاديـــدُ
لا قومَ أكرمُ منهم يومَ قالَ لهــم   مُحرّضُ الموتِ : عن أحسابكُـمْ ذودوا

وخلاصة ما سبق يفيد أن الاختلاف السياسي ببن الجماعات المعارضة والهيئة الحاكمة كان سبباً في نشاط شعر البطولة ، إذ نهض شعراء كل جماعة إلى الدفاع عن رأيها وموقفها في السلم والحرب ، مما أدى إلى تعميق البطولة الحربية وغير الحربية .

ومن تمام الحديث عن البيئة بوصفها باعثاً هاماً من بواعث البطولة في العصر الأموي ، يمكن القول إن طبيعة البيئة الجغرافية في العصر الأموي وما شهدته تلك البيئة من تغيرات سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية ، كان لها أثرها البين في إبراز صور البطولة وترسيخها في المجتمع الأموي ، فقد كانت بيئة العصر الأموي بكل حيثياتها ومعطياتها بيئة ملائمة لظهور الأبطال ، الذين لبُّوا نداءها ، وتشكلوا بشكلها ، وداروا مع دورانها ، واستجابوا لقيمها وأعرافها ، فغدوا بذلك أشخاصاً متميزين في أفعالهم وأخلاقهم ، فرَنَت إليهم جماعاتهم واسترشدت بهم .

النّسب :

إنّ تغني الشعراء بشرف أنسابهم ورفعة أحسابهم ، ومنعة قبائلهم وسماتها النبيلة أمرٌ عرفه الشعر العربي منذ العصر الجاهلي ، وكان نسب المرء ذا أهمية بالغة في حياته ، فبنسبه تتحدد مكانته ووظيفته وطبقته الاجتماعية ، " فشرف الأصل من أهم خصائص الشخص الكامل ، أما من كان خسيس النسب فلا يصل إلى مرتبة الكمال " [1]، وظل عامل النسب يحتل الأهمية ذاتها في العصر الأموي ، فبرفعته يتفاخر الشعراء ، وبخسّته يتهاجون ، حتى كثر الشعر الأموي الذي قيل في التفاخر بشرف الدم ، وأصالة العرق ، وصفاء النسب .

ولقد كان لأصحاب النسب الأصيل مرتبة عليا في المجتمع الأموي ، يصلون عبرها إلى السيادة والملك ، ويتبوأون مقعد أهل المشورة والحكم ، فهم الأبطال القادة ، يأتمر الناس بهم في حربهم وسلمهم ، ويظعنون ويقيمون بأمرهم ، ويحتكمون بحكمهم .

[1] . الجندي ، علي (١٩٨٩)، شعر الحرب في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص٩١ .

إن البطل يُعزو بطولته الحربية وغير الحربية لعلاء نسبه ، ورفعة أصله ، فهو وارث الأمجاد ، وليس غريباً على صاحب النسب الشريف أن يكون بطلاً متفرّداً في أخلاقه وفعاله ، وفي ذلك يقول يزيد بن معاوية الذي حُقّ له المجد لرفعة نسبه ، وتفرّد عن غيره بصفاء حسبه ، وكان بذلك كفءٌ لكل بطولة [١] :

وأنا ابن زمْزَمَ والحَطيمِ ومولـدي ... بَطحاءُ مكة والمَحَلَّةُ يثـــــربُ

وإلى أبي سفيانَ يُعْزى مولــدي ... فمَنِ المُشاكِلُ لي إذا ما أنْسَـــــبُ

ولوْ أنَّ حَيّاً لارتفاعِ قبيلـــــةٍ ... ولَجَ السماءَ ولَجْتُها لا أحْجَـــــبُ

ويعلو صوت الوليد بن يزيد مفاخراً بنسبه ، فهو من بني أمية أهل المفاخر والفضائل الكريمة ، ولذلك فهو المتفرد المتميز عن غيره ، يقول [٢] :

في فتيةٍ من بني أمية أهْـــ ... ـلِ المجدِ والمأثراتِ والحـــــسبِ

ما في الورى مثلُهُم ولا فيهــمُ ... مِثلِي ولا مُنْتَمٍ لِمِثْلِ أبــــــي

ويعد النسب من البواعث الرئيسية التي تقف وراء ظهور بطولة البطل ، فهو يُقبِلُ على الأفعال الحميدة ، ويتميز بالخصال الكريمة ، حفاظاً على مجد آبائه وأجداده ، ودرءاً لذمهم ، ودفعاً للانتقاص من شأنهم ، يقول أبو دهبل الجمحي [٣] :

أنا أبو دَهبلٍ وهبُ لوهَــــبْ

من جُمَحٍ في العِزِّ منها والنَّسَــبْ

والأسرةِ الخضراءِ والعَيْصِ الأشَبْ [٤]

ومِن هذيلٍ والدي عالي النَّسَـــبْ

أوْرَثني المجدَ أبٌ من بعـــدِ أبْ

رُمْحي رُدَيْنِيٌّ وسيفي المُسْتَلَـــبْ

إن رفعة نسب البطل تأبى له إلا أن يتصف بالقيم البطولية ويتحلى بالصفات الحميدة التي يرتضيها قومه وأهله ، وفي ذلك يقول النعمان الأنصاري [٥] :

ومجْدٍ تليدٍ قدَّمَتْهُ أوائِلـــــي ... أبى لي إلا عفّةً وتكرّمــــــا

---

1 . يزيد بن معاوية ، شعره ، ص ٤٩ .
2 . الوليد بن يزيد ، ديوانه ، ص١٧ ، وانظر شواهد أخرى : ص٦١ ، ص٦٢، ص٨٧، ص٩٢، ص١١١،ص١١٦، ص١٤٩ .
3 . الجمحي ، أبو دهبل ، ديوانه ، ص٤٧ . وانظر شواهد أخرى : ص ٢٥ ، ص٩٦، ص٩٧ .
4 . العيص : الأصل . الأشب : الملتف .
5 . الأنصاري ، النعمان بن بشير ، شعره ، ص ١٢١ .

ويرى النعمان الأنصاري أيضاً أن نسبه الرفيع يأبى له الضيم والهوان ، فهو بطلٌ أبيٌ ، مقدامٌ أشم [١] :

يأبى لنا الضيمَ فلا يُعْتَلَـــى	**عِزٌّ منيعٌ وعديدٌ كثيـــــرُ**
وعنصُرٌ في عزٍّ جُرْثومَـــةٍ	**عاديّةٍ تنفلُّ عنها الصخـــورُ [٢]**

ويفخر القتال الكلابي بنسبه ، فهو كريم الأصل من جهة أخواله أيضاً ، ورفعة نسبه تدفعه إلى البطولة بكل ألوانها وصورها [٣] :

أنا ابنُ الأكْرَمينَ بني قُشَيْـــرٍ	**وأخوالي الكِرامُ بَنُو كِـــلابِ [٤]**
نُعَرِّضُ للطِّعانِ إذا الْتَقينـــا	**وجوهاً لا تُعَرَّضُ للسِّبـــــابِ**

إن البطل ذو النسب الرفيع لا يرتضي الجبن والغدر ، ولا يقبل الهوان والضعف ، كيف له ذلك وهو سليل الحسب المجيد ، والعز التليد ، يقول جرير [٥] :

إنَّ الذين اجْتَنَوا مَجْداً ومكرُمــةً	**تِلْكُم قُرَيْشِي والأنْصارُ أنصـــاري**
والحيُّ قيسٌ بأعلى المجدِ منزلــةً	**فاستَكْرَموا من فُروع زَنْدُهـــا واري**
قومي فأصْلُهُمُ أصْلي ، وفرعُهُــمُ	**فرْعِي وعَقْدُهُمُ عَقْدي وإمْـــراري[٦]**
إنّي امرؤٌ مضريٌ في أرُومَتِهِـمْ	**لن تستطيعَ مُساماتي وأخطـــاري**
مِنّا فوارسُ ذي بهدى وذي نَجَبٍ	**والمُعْلِمونَ صَباحاً يوْمَ ذي قـــارِ**

ويرى الفرزدق أن لا خير في المرء إن جرّ الخزي والعار لأهله ونسبه ، فهو امتدادٌ لهم ، يعلو بعلوّهم ويخفض بخفضهم ، يقول [٧] :

فما المرءُ منفوعاً بتجريبِ واعِظٍ	**إذا لم تَعِظْهُ نفسُهُ وتجاربُـــــهْ**
ولا خيرَ ما لم ينفع الغُصْنُ أصلَـهُ	**وإنْ ماتَ لم تحزَنْ عليهِ أقاربُـــهْ**

---

1 . المصدر نفسه ، ص ١٤٦ .
2 . العنصر : الأصل والحسب . الجرثومة : الأصل والنسب . عادية : قديمة . تنفلُّ : تنكسر .
3 . القتال الكلابي ، ديوانه ، ص٣٧. وانظر شواهد أخرى : ص٥١، ص٥٥، ص ٦٩ ، ص٩٨ .
4 . بنو قشير : من بني عامر بن صعصعة . (انظر : القتال الكلابي ، ديوانه ، ص ٣٧) .
5 . جرير ، ديوانه ، ١ : ٢٣٥ . وانظر شواهد أخرى : ٢ : ٥٣٩ ـ ٥٤٠ ، ٢ : ١٠٠٣ .
6 . الإمرار : الإحكام .
7 . الفرزدق ، ديوانه، ١: ٤٩ . و انظر شواهد أخرى : ج١، ص ٣٩، ص٩٩، ص٢٢٢، ص٢٩٧، ص٣٠٢،ص٣٦٠ ،ص ٤١٨ .

وكثيراً ما لهجت ألسن شعراء العصر الأموي بمدح أنساب أبطالهم ، فلا غرابة أن يكون الممدوح بطلاً وهو ينحدر من نسبٍ عريق ، وريث لمجد آبائه ورفعة قومه وعزهم ، يقول القطامي مادحاً نسب أسماء بن خارجة الذي حدا به ليكون بطلاً كريماً حازماً [١] :

مُفَدّاةُ بنتُ الحصنِ أمُّكَ فانتَسِبْ — إلى النّسبِ الرابي الرّفيع الدَّعائِمِ

وأمَّ بني بَدْر فلا تَنْسَيَنَّها — وبَدْراً أبا تلك النجومِ الخضارِمِ [٢]

تَظَل سَرَاةُ الحيِّ قيسٌ تعودُهُ — وتغلِبُ من معطي الخزامِ ووائِمِ [٣]

لَعَمْري لقد سادَ ابن بدْرٍ بفَضْلِهِ — على وُدِّ مسرورٍ بذاكَ وراغِمِ

إن البطل لا يرتضي لنسبه الرفيع أن ينحدر ، ولا يقبل أن يثلب بالدنية والمذلة مجد أصله وسمو حسبه ، إنه يحرص على الابتعاد عمّا من شأنه أن يلحق بنسبه العار ، ويبذل قصارى جهده للتحلي بكل فضيلة ، ويقوم بكل جليلة ، ليحافظ على المجد الذي ورثه بنسبه الشامخ وحسبه الأصيل ، يقول عروة بن أذينة في ذلك [٤] :

إنّي امرُؤٌ من عشيرةٍ صُدُقٍ — أصونُ أعراضَها وأكرمُها

أحمي حماها ولن تُصادِقَني — ـ في يومِ كربٍ ألمَّ ـ أسْلِمُها

قدْ عَلِمَتْ أنني أخو ثقةٍ — أهينُ أعداءَها وأكْرِمُها

وأنني قرْمُها تُقدِّمُني — في العِزِّ والمكرُماتِ أكْرمُها

وأتّقي سُخْطَها وأمْنَعُها — مِمّنْ يُزَنِّي بها ويشتُمُها [٥]

لنا من العِزّ القديمِ ومن — سِرِّ بيوتِ الكرامِ أجْسَمُها [٦]

والبطل يقدم على الأفعال البطولية ، ويحرص على التمسك بالقيم المثلى ، ليجلب أنظار قبيلته إليه ، ويوجه الأبصار نحوه ، فيصبح محط اهتمام قومه ، ومدار حديثهم ، فلا يكون لهم غنى عنه ، وهو بذلك يبني لهم المجد والعزة ، ويسمو بهم إلى مرتبة الأسياد الأشراف ، حتى لا يدانيهم أحد ، ولا يجاري نسبهم مجارٍ ، يقول مسكين الدارمي [٧] :

وإنَّ لنا ربعيّة المجدِ كلها — موارثُ آباءٍ كرامٍ ورِثْتُها

---

1 . القطامي ، ديوانه ، ص٧١ . وانظر شواهد أخرى : ص٥٤، ص١١٦، ص١٤٦ .

2 . الخضارم : جمع خضرم ، وهو الكثير من الشيء ، والجواد الكثير العطايا .

3 . الخزام : حلقة يشد فيها الزمام .

4 . ابن أذينة ، عروة ، شعره ، ص٨٥. وانظر شواهد أخرى : ص٨٨، ص٩٢، ص٩٩، ص٢٠٦، ص٢٢٥، ص٢٣٨، ص٢٤٤، ص٢٧٧ .

5 . يزنّي بها : أي يرميها بالزني .

6 . أجسمها : أعظمها .

7 . مسكين الدارمي ، ديوانه ، ص٢٦- ص٢٧. وانظر شواهد أخرى : ص٣١، ص٤٤، ص٦٠، ص٦٣ .

إذا قصَّرَتْ أيدي الرّجال عن العُلى مددتُ يدي باعاً عليهم فنِلْتُهـــا
وداع دعاني للعُلى فأجَبْتُـــهُ ودعوةِ داع في الصديق خَذَلْتُهـــا
ومكرمة كانت رعايةُ والـــدي فعلّمَنيها والدي ففعَلْتُهـــا

وكذلك كان المتوكل الليثي في قومه بطلاً يذود عن حماهم ، ويحمي نسبهم من أن يُضام أو يُرام ، وقد ورث صفاته الطيبة من آبائه وأجداده [1] :

إنّي امروٌ أعرف المعروفَ ذو حسبٍ سَمْحٌ إذا حارَدَ الكومُ المرافيـــدُ [2]
أجري على سُنَّةٍ من والدي سَبَقَتْ وفي أرومَتِهِ ما يُنْبتُ العــــودُ
مُطَلَّبٌ بتِراتٍ غير مُدْرَكَـــةٍ مُحَسَّدٌ والفتى ذو اللبِّ محســـودُ [3]
عندي لصالِحِ قومي ما بقيتُ لهـمْ حمدٌ وذمٌ لأهلِ الذمِّ معــــدودُ
أعْيَتْ صَفَاتي على مَن يبتغي عَنَتـي فما يُوَهِّنُ مَتْنَيْهَا الجلاميـــدُ [4]

ويعتز البطل الأموي بنسبه ويستميت في الدفاع عنه ، ويتحلى بالقيم البطولية للحفاظ على إرثه من المجد والرفعة ، يقول نصر بن سيار [5] :

وبيتُ خليفةِ الرحمنِ فينـــا وبيْتاهُ المقدَّسُ والحـــــرامُ
ونحنُ الأكْرَمونَ إذا نُسِبْنـــا وعِرْنينُ البَرِيَّةِ والسَّنـــــامُ [6]
فأمْسيْنا لنا من كلِّ حَـــيٍّ خراطيمُ البريَّةِ والزِّمـــــامُ [7]

ويعزو ابن ميادة بطولته إلى علو نسبه ، فيقول [8] :

وإنّي من قيسٍ وقيس همُ الـذُّرى إذا ركِبتْ فُرْسانُها في السّنـــور [9]

إن النسب كان باعثاً قوياً وقف وراء بطولة الأبطال وتميزهم ، فهم يذكرون القبيلة دائماً بأنهم أبطالها ، ويقبلون على الأفعال البطولية ، ويتحملون المسؤوليات الجسام ، في سبيل المحافظة على مجد أحسابهم ، وتأبى لهم رفعة نسبهم ، وشموخ حسبهم ، ومجد آبائهم ، أن ينحدروا وراء

1. الليثي، المتوكل، شعره، ص٢١٤- ص٢١٥. وانظر شواهد أخرى : ص ٢٦٧، ص٢٧٦ .
2. حاردت الإبل : إذا قلت لبانها . الكوم : جمع كوماء ، وهي الناقة العظيمة السنام .
3. الترات : جمع ترة ، وهي الثأر . الموتور : الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه .
4. الصَّفاة : الصخرة الملساء ، والصفاة هنا كناية عن القوة . العنت : الوقوع في أمر شاق .
5. الكناني ، نصر بن سيار ، ديوانه ، ص٤٣ . وانظر شواهد أخرى : ص٤٥ .
6. العرنين : الأنف كله ، أو ما صلب من عظمه .
7. الخرطوم : الأنف أو مقدمه .
8. ابن ميادة ، شعره ، ص٦٣ . وانظر شواهد أخرى : ص ٢٥ ، ص٨٨ ، ص٩٠ ، ص٩٨ .
9. السنور : لبوس يلبس في الحرب كالدرع ، أو هو جملة السلاح .

السفاسف والرذائل ، فسموا بسمو أحسابهم ، وارتقوا برقي أنسابهم ، فحافظوا عليها وصانوا شرفها وعزّتها ببطولاتهم ، كما أن أصالة النسب ونقاء الأصل فرضا على البطل نمطاً خاصاً من الحياة ألزمه اعتناق الفضائل ، وأوجب عليه البعد عن توافه الأمور وصغائرها ، واستجلب له مدح الشعراء وثناءهم .

المـرأة :

إن المرأة دافع مؤثر في حياة البطل ، فالبطل إنسانٌ كسائر البشر ، له قلب ومشاعر ، يحب ويكره، يستوقفه الجمال وتحرّكه الأحاسيس ، وتستوطن نفسه غرائز يسعى لإشباعها ، ومن أهم تلك الغرائز المرأة ، فهي المحرّك الرئيسي لقوى البطل وطاقاته ، وتمثل باعثاً له دوره في اندفاع مشاعره ، وتوهج أحاسيسه ، وتفرده ببطولات لا يستطيعها غيره .

والمرأة تشغل حيزاً واسعاً في حياة الإنسان العربي منذ القدم ، ويؤكد ذلك قول الدكتور ناصر الدين الأسد : " إن لذاذات الشاعر العربي تقوم على ثلاث دعامات : المرأة ، والخمر ، والغناء " [(١)]. أما الدكتور جابر عصفور فيحصر هذه اللّذات ما بين " المرأة ، والخمر ، والصيد " [(٢)]. ويتفق كلاهما على أن المرأة أولى ملذات الإنسان التي يبحث عنها دائماً ، وتكاد تكون محور اهتماماته النفسية وثباته العاطفية ، لأن حبه لها هو وحي موهبته ، وحرمانه منها وقود متجدد لطاقاته .

لقد كان البطل حريصاً دائماً على إرضاء المرأة ، وتمتين علاقته معها ليتمكن من إشباع غريزته ، لذلك فإنه أقبل على فعل البطولات ليتفاخر أمامها فيشدّ انتباهها إليه ، ويأسر قلبها ،

---

[1] . الأسد ، ناصر الدين (١٩٨٨) ، القيان والغناء في العصر الجاهلي ، ط٣ ، دار الجيل ، بيروت ، ص ١٦٥ .
[2] . عصفور ، جابر (١٩٩٥) ، حكمة اللذة ، مجلة العربي ، العدد (٤٤٣) ، ص ١٦٥ .

ويحوز إعجابها ببطولته وتميزه ، فهو المتفرد عن غيره الذي يستحق حبها وإعجابها ، فالبطل الشجاع هو الذي يحميها ويجبر ضعفها ، ويذود عنها ، ولهذا تمنت المرأة أن تتمثل في زوجها أو حبيبها القيم البطولية ، فيتحلى بالفضائل التي تعارفت عليها العرب ، ويتسم بالقيم المثلى مثل الكرم ، والشجاعة ، والأنفة ، وغيرها ، فهي تفضل أن يكون شجاعاً تنعم بالأمان معه ، وتسعد بكرمه الذي يحقق لها رغد العيش وسعته ، وبأفعاله البطولية ، وخصائصه المميزة ، تتباهى أمام أقرانها وصويحباتها من النساء ، وتلد منه الأبناء الأبطال .

لقد كانت المرأة ماثلة خلف البطل ، تدفعه للقيام بالأعمال البطولية ، وتوجهه نحو المواقف المتميزة ، وتحثه على التحلي بالخصال الكريمة ، بوصفها باعثاً هاماً من البواعث التي أبرزت بطولته ، وكان البطل حريصاً أن تظهر بطولاته أمام المرأة ، طلباً لرضاها ، واستحواذاً على إعجابها ، ونيلاً لوصالها ، فهذا الراعي النميري يفاخر المرأة ببطولة قومه الحربية وتجلدهم لحادث الموت [١] :

أَلَسْنا أشدَّ الناسِ يا أمَّ سالِـــمٍ ... لدى الموتِ عند الحربِ قِدْمَاً تآسيـَا

فلم يبق منّا القتلُ إلا بقيّـــةً ... ولم يبْق من حَيَّيْ ربيعة باقيـــا

ويعف النعمان الأنصاري عن الخَنا ، ويتجنّب الدنايا ، فهو أبيٌّ كريمٌ صبور ، يتحمل الشدائد والإحن لأجل محبوبته ، يقول [٢] :

لتعلمَ إنْ سألَتْ جميلةُ أننـــي ... عزيزٌ عليَّ أنْ ألامَ وأشْتَمـــا

وأني بحمدِ اللهِ تمسيَ ليلـــةً ... من الدّهْر ألْقى عارياً مُتَقسَّمـــا

ولكن رفيقٌ بالوصال وَمِزْحَـــلٌ ... عَزوفٌ إذا كانَ التّجَنُّبُ أحْزَمَـــا

فصَبْراً على شَحْطِ النَّوى ولعلّهـا ... من الدّهرِ يوماً أن تفيقَ وتندَمـــا

وهذا ابن قيس الرقيات يتمنى لو رأت ابنة عمه مدى شجاعته وشدة بأسه وتنكيله بعدوّه ، وما فعل ذلك إلا شفاء لثورة نفسها ، وإخماداً لغضبها ، وطلباً لرضاها [٣] :

لو رأتْني ابنةُ النُّويْعِمِ ، ليلـــى ... إذْ نَلُفُّ الأبطالَ بالأبطـــالِ

لشَفى نفْسَكِ ، انتقامُ بني عَمِّـــ ... ـكِ حينَ الدّماءُ كالجِريـــالِ

---

[1] . الراعي النميري ، شعره ، ص١١٧ .
[2] . الأنصاري ، النعمان بن بشير ، شعره ، ص ١٢٥ .
[3] . الرقيات ، ابن قيس ، شعره ، ص ٢٧١ .

وبني مالكِ بن حِسْلٍ ثأرَنـــــا غيْرَ فخرٍ بنا ، وغيْرَ انتِحـــــالِ

وأصبْنا بَعْدَ الرّجالِ رجـــــالاً وَحَوَيْنا الأموالَ بالأمـــــوالِ

خلف المقاتلين تقف النساء اللواتي يشجعنهم ، ويشددن من عزائمهم ، ولعل وجود النساء جعل الأبطال يدركون أنهم إن استكانوا لعدوهم ستسبى نساؤهم ، وتنتهك أعراضهم وحرماتهم ، ولذا فهم يستمدون عزمهم من النساء اللواتي من حقهن على الأبطال حمايتهن وصون أعراضهن وكرامتهن ، وقد عُدَّ السّبي سُبّة ما بعدها سُبَّة ، وعدت حماية النساء مجلب فخر وعز ، يقول الأخطل مفتخراً بسبي نساء العدو [١] :

نَسْبي النساءَ فما تَنْفكُّ مردِفــةً قد أنْهَجَتْ عن معاريها السرابيــلُ [٢]

وعندما هجا جرير الأخطل ، عد تخلي الفوارس عن حماية نسائهم خزياً ومنقصة [٣]:

كذب الأخيطلُ ما لنِسْوةِ تغلــبٍ حامي الذّمار وما يغار خليــــلُ

ترَكَ الفوارسُ من سُليمٍ نســوةً عُجُلاً لَهُنَّ على الرَّحُوبِ عويـــلُ

إذ ظلَّ يحسبُ كل شخصٍ فارساً ويرى نعامةَ شخْصِهِ فَيَجـــولُ

رَقَصَتْ بعاجِنَةِ الرَّحُوبِ نساؤُكُــمْ رَقْصَ الرِّئالِ وما لَهُنَّ ذُيــولُ [٤]

أينَ الأراقم إذ تُجَرُّ نساءَهُــم يوْمَ الرَّحُوبِ مُحارِبٌ وسَلــولُ [٥]

وتكررت مثل هذه الصورة التي يهجو فيها جرير مَن تُسْبى نساؤهم ولا يستطيعون حمايتها ، وصون شرفها وكرامتها ، فقد هجا بني نمير[٦] وهجا بني تغلب [٧]وهجا بني ربيعة[٨] ، وغيرهم .

إن الدفاع عن المرأة وحمايتها من السبي هو واجب البطل ، ومبعث فخره واعتزازه أيضاً ، ولذا فإن البطل يمنع وقوع النساء في حوزة الخصوم ، يفتخر جرير قائلاً [٩] :

ونحنُ تدارَكْنا بَحيراً ورَهْطَــهُ ونحنُ منعْنا السَّبيَ يومَ الأراقِـــمِ

---

1. الأخطل ، ديوانه ، طبعة دار الآفاق ، ١ : ٦٣ .
2. أنهج : بلي وتمزق . المعاري : جمع معرى ، وهو ما لا يجوز إظهاره كالعورة . السرابيل : جمع سربال ، وهي الثياب .
3. جرير ، ديوانه ، ١ : ٩٧ ـ ١٠٢ .
4. يريد أنهن خرجن جافلات كالنعام ، هوارب لا يوارين سوقهن .
5. الأراقم : بنو بكر بن حبيب . ومحارب بن خصفة بن قيس بن عيلان ، وسلول : بنو مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان ، وسلول أمهم غلبت عليهم . (انظر : كحالة ، عمر رضا (١٩٤٩) ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ٣ أجزاء ، المكتبة الهاشمية ، دمشق ، ٢ : ٥٣٩ ـ ٥٤٠) .
6. جرير ، ديوانه ، ٢ : ٨١٣ .
7. المصدر نفسه ، ١ : ٤٧.
8. المصدر نفسه ، ٢ : ٧٧١ .
9. المصدر نفسه ، ٢ : ٩٩٦ .

كما افتخر الأخطل بأبطال قومه عندما ردّوا السبايا ببطحاء ذي قار ، فقال [١] :

وردّ عليكم مردِفات نسائكـــم ببطحاء ذي قار صلادِمُ قُـــرَّحُ [٢]

فأنْقذْهُنَّ الضربُ والطّعنُ بالقنــا وأيدٍ بأبطال الكتيبةِ تجْــــرَحُ

إنّ الأبطال يضطلعون بحماية النساء ، يذودون عنهن المخاطر ، ويحمونهن من السبي ، يقول الفرزدق في هذا [٣] :

همُ الفوارسُ يحمونَ النســاءَ إذا خَرَجْنَ يَسْعَيْنَ يوْمَ الرَّوْعِ خُفَّانـــا

إن المرأة لا تعيش بمعزلٍ عن حياة الأبطـال ، فهي تعيش معهم في حربهم وسلمهم ، وفي الحروب تشارك المرأة في تحميس الرجال ، وتحميسها يصادف هوىً في نفوس الثائرين ، لأنه يحثهم على الشجاعة ، ولا شك أن الأبطال تواقون للاستجابة لندائها وتحريضها ، حتى يحققوا أملها في شجاعتهم ، والمرأة تشارك الأبطال في الحروب التي تنشب بين الجماعات والأحزاب المعارضة كما فعلت غزالة السكونية وأم حكيم اللتان اشتهرتا بالشجاعة والإقدام .

وكان للمرأة في العصر الأموي أثرٌ بالغٌ في تحميس الأبطال ، وشحذ هممهم ، وتقوية عزائمهم ، وبخاصـة أولئك الأبطـال الذين يبذلون أقصى درجات الشجاعة بحضور النساء ، ولذا فإن حضورهن يعلي هممهم في المعارك ، ويلهب مشاعرهم ، ويهيّج مكامن بطولتهم ، فهذه أم حكيم تشد من عزائم أبطال الخوارج ، فتقول [٤] :

أحمِلُ رأساً قد سَئِمتُ حمْلَـــه وقدْ سَئِمْتُ دهْنَهُ وغسلـــــهْ

ألا فتـىً يـحـمـلُ عنـي ثـقْـلَـهْ

وهذه أخرى تسمى مريم ، وهي امرأة المختار بن عوف بن حمزة ترتجز في ساحة القتال لتحمس الأبطال ، وتشد من بأسهم ، وتعلي من هممهم ، فتقول [٥] :

أنا ابنةُ الشيخ الكريمِ الأعْلَـمْ مَن سألَ عن اسمي فاسمي مريـــمْ

بـعْـتُ سِواريَّ بسَيفٍ مِخْـدَمْ

---

1 . الأخطل ، ديوانه ، ٢ : ٧٥٤ .
2 . الصلادم : جمع صلدم ، وهو الفارس الشديد . القرّح : جمع قارح ، وهو الأسد ، شبه الفارس به .
3 . الفرزدق ، ديوانه ، ٢ : ٦٠٠ .
4 . عباس ، شعر الخوارج ، ص ٤١ .
5 . المصدر نفسه ، ص ٢٧٩ .

فإن كانت تلك هي شجاعة المرأة ، وذاك قولها في ساحة المعركة ، فكيف يكون وقع ذلك على الأبطال ؟ لا شك أنه سيستفز قواهم ، ويقوي عزائمهم .

والأبطال بشجاعتهم وإقبالهم على الأعمال البطولية والقيم المثلى يستجلبون فخر المرأة بهم ومديحها لهم ، فهذه ليلى الأخيلية تفتخر بقوة قومها وشجاعة أبطالهم ، فتقول [١] :

نحنُ الأخايلُ ما يزالُ غلامُنـــا ... حتى يَدِبَّ على العصا مذكـــورا

تبكي الرّماحُ إذا فقدْنَ أكُفَّنـــا ... جَزَعَاً ، وتعلمُنا الرِّفاقُ بحـــورا

والسيفُ يعلمُ أننا إخوانُـــهُ ... حرانَ إذْ يلْقَ العِظامَ بتـــورا

ولَنَحْنُ أوْثقُ في صدور نسائِكُـم ... منكم إذا بكر الصراخُ بكـــورا

وإن تحلي البطل بالصفات الكريمة ، وإقباله على الأفعال التي لا يستطيعها الآخرون ، مدعاة لحب المرأة له ، وإعجابها به ، وبها ينال الحظوة لديها ، يقول المتوكل الليثي [٢] :

صِليني واعلمي أني كريـــمٌ ... وأن حلاوتي خُلِطــتْ عُرامـــا

وأني ذو مُدافَعَةٍ صليـــبٌ ... خُلِقْتُ لمن يُضارسُني لِجامـــا [٣]

ويؤكد تحليه بالخصال الحميدة التي تجعله موضع إعجاب المرأة ومحطّ نظرها بقوله[٤] :

أمَّ الصَّبَيَّيْنِ دومي إنني رجـــلُ ... حَبْلي لأهلِ النّدى والوصْلِ ممـــدودُ

لا تسْألي القوم عن مالي وكثرَتِــهِ ... وقدْ يُقتِّرُ المرءُ يوماً وهو محمـــودُ

وسائلي عن جِدِّ الأمر ما حَسَبــي ... إذا الكُماةُ اتَّقى فرْسانُها الصّيْــدُ [٥]

وقدْ أرُوعُ سَوَامَ الحيِّ تَحْمِلُنــي ... شَقَّاءُ مثلَ عُقابِ الدَّجْنِ قيـــدودُ [٦]

وقد تحمّل العرجي الصعاب لأجل محبوبته ، وغدا متنقلاً يقطع الفيافي المقفرة لا يردعه خوف ، ولا يبطئه جبن ، يقول [٧] :

كم قدْ عَصَيْتُ إليكِ من مُتَنَصِّــح ... داني القرابة أو وعيدِ أعـــادي

---

[1] . الأخيلية ، ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد (ت٨٠هـ)، ديوان ليلى الأخيلية ، (جمع وتحقيق خليل إبراهيم العطية)، دار الجمهورية ، بغداد، ١٩٦٧ ، ص٦٩ .

[2] . الليثي ، المتوكل ، شعره ، ص١٢٢ .

[3] . صليب : شديد . المدافعة : المماطلة والمخاصمة . المضارسة : المخاصمة .

[4] . المصدر نفسه ، ص٢١٨ . وانظر شواهد أخرى : ص٢١٢ ، ص ٢٤١ – ص٢٤٢ .

[5] . الكماة : جمع كُمي ، وهو الشجاع المتكمي في سلاحه ، أي المستتر بالحديد وعدد القتال كالدرع . الصيد : جمع أصيد ، وهو الشامخ الذي يرفع راسه كبراً .

[6] . سوام الحي : ماشيتهم . شقاء : فرس طويلة ، المذكر منها أشق والأنثى شقاء . الدّجن : المظلم . قيدود : طويلة الظهر .

[7] . العرجي، ديوانه ، ص٢١٦ – ص٢١٧ . وانظر شواهد أخرى : ص٢١٢، ص٢١٩، ص٢٣١، ص٢٤٩، ص٣٠٨، ص٣٢٢.

وتَنُوفةٍ أرمي بنفسي عَرْضَهـــا — **شوقاً إليكِ بلا هدايةِ هـــادي** [١]

بمُعَرَّسٍ فيهِ إذا ما مَسَّـــــهُ — **جنبي ، حُزُونَةُ مَضجعٍ وتـَعادي** [٢]

ما إنْ بها لي غيرُ سيفي صاحـبٌ — **وذراعُ حَرْفٍ كالهلال وســـــادي**

ويصرّح كثير عزة أنه يطمح للمجد ويتحلى بالخصال الخيّرة حتى يحمد ذكره عند محبوبته ، فهو وفيّ يحفظ السر ويكتمه ، كريم جواد ، عفّ النفس أبيّها ، يقول [٣] :

كريمٌ يميتُ السرَّ حتى كأنّـــهُ — **إذا استبحثوه عن حديثِكِ جاهِلُـــهْ**

يودُّ بأن يُمسي سقيماً لعلّهـــا — **إذا سمِعَتْ عنهُ بشكوى تُراسِلُـــهْ**

ويرتاحُ للمعروفِ في طلبِ العـلى — **لتُحْمَدَ يوماً عندَ ليلى شمائِلُـــهْ**

وعى سرّكم في مضمرِ القلب والحشا — **شفيقٌ عليكم لا تُخافُ غوائِلُـــهْ**

وأكتُمُ نفسي بعض سِرّي تكرّمـاً — **إذا ما أضاعَ السرَّ في الناس حامِلُـهْ**

إن الحب مظهر للبطولة ، يتحمل البطل لأجله الأهوال ويلاقيها بنفسٍ رصينة ، ويقبل بفعل نشوته على الأعمال البطولية ليظفر بثناء المحبوبة ووصالها ، يقول الأحوص الأنصاري [٤] :

ما عالجَ الناسُ مثلَ الحبِّ من سقمٍ — **ولا ترى مثلهُ عظماً ولا جســـدا**

ما يلبَثُ الحبُّ أن تبدو شواهِـدهُ — **من المُحبِّ وإن لم تبْدِهِ أبـــدا**

ويرى العرجي أن المحب يظهرُ تجلداً وصبراً في الشدائد لأجل هواه [٥] :

فجِئتُ أمشي على هَوْلٍ أجَشَّمُـهُ — **تجشُّمُ المرءِ هولاً في الهوى كـرمُ**

إذا تخوّفتُ من شيءٍ أقولُ لـــهُ — **قد جَفَّ فامضِ بما قدْ قُدِّرَ القلَـمُ**

ويقول أيضاً مؤكداً المعنى ذاته ، فهو شجاع مقدام بطل ، يبتغي رضى المحبوبة ، ويكابد في حبه لها كل الصعاب والمشاق [٦] :

أحمِلُ السيفَ فوقَ أقـرَحَ وَرْدٍ — **ذي حجول كأنه سِيْدُ غـــابِ** [١]

---

[1] . التنوفة : الصحراء الخالية .

[2] . المعرّس : مكان نزول المسافرين ليلاً للراحة . الحزونة : من الحزن ، وهو ما غلظ من الأرض . التعادي : أراد به الخشونة والتفاوت في سطح الأرض .

[3] . كثير عزة ، ديوانه ، ص٤٠٥ . وانظر شواهد أخرى : ص١٦٥ ، ص٤٢٠ .

[4] . الأحوص الأنصاري ، شعره ، ص ٦٩ .

[5] . العرجي ، ديوانه ، ص ٣ .

[6] . المصدر نفسه ، ص١١٥ .

أُجْشَمُ الهولَ في الكِعاب وقِدْمـــاً　　　　جَشَمَ الهولَ ذو الهوى في الكِـــعابِ

يخلص ما سبق إلى أن المرأة كانت محرّكاً قوياً للبطولة في حياة الأبطال الأمويين ، فقد اهتموا بها ، وعنوا بكسب إعجابها ، وحرصوا على ضمان ثقتها ، ونول رضاها وحبها ، بإقبالهم على الأفعال البطولية ، وتحليهم بالصفات الحميدة ، كما أدت المرأة دوراً فاعلاً في المعارك ، فوجودها يعين على النصر ، وصوتها يحرّض الأبطال ، ويشحذ هممهم ، ويبث في نفوسهم العزم والقوة ، ولا شك أن البطل هو وليد تلك المرأة التي غرست في نفسه منذ نعومة أظفاره قيم البطولة ومعانيها السامية ، ولقنته المأثور من مفاخر القبيلة وتعاليمها ، حتى إذا نشأ واشتد عوده حمى ذمارها وذاد عنها ، واستبسل في ذلك طلباً لعطفها ومحبتها وفخرها أماً ومحبوبة .

[1] . أقرح : الفرس الذي شُقّ نابه . ورد : الأحمر الضارب إلى صفرة .

ثانياً : البـواعث الإسلامـيـة :

لقد جاء الإسلام فأضاء قلب الإنسان المسلم بمثالية روحية كريمة ، وحثه على التعلّق بالحياة الصالحة المستقيمة ، التي تحتم على الإنسان الإيمان بقضاء الله وقدره ، وتدعوه إلى رفض عَرَض الدنيا ، وطلب الأجر والثواب في الآخرة ، وتقود طريقه إلى غاية مثلى ، يهدف إليها في أي عملٍ يأتي به ، وهي نيل رضى الله وثوابه .

الشّـهـادة وطـلـب الـثـواب :

لقد أقدم البطل على القيم البطولية حرصاً منه على رضى الله ، وطمعاً في ثوابه وأجره الكبير ، لذا فإن النعيم الذي يطمح إليه البطل في الآخرة ، والأجر الذي سيحصده فيها كانا باعثين هامين من بواعث بطولة البطل وتميزه .

إن البطل في صنيعه الحسن ، وتحليه بالصفات المتميزة ، يحدوه إيمان منقطع النظير بأنه سيحرز نعيماً لا فناء له ، وسينال أجراً لا حصر له باستشهاده في سبيل الله ، وبذله لنفسه تقرّباً لله ، لا يعتوره في ذلك حزن ولا أسف ، ولا يسلم إلى يأس ، بل يؤازره صبر لا مثيل له ، لأن جزاءه على أعماله ثوابٌ من الله وليس من العبد ، وأيُّ ثوابٍ يعادل ثواب الله ، يقول النعمان الأنصاري [1] :

يومَ نُدعى إلى الحِسابِ ومعنـــا ... يومَ نأتيكَ سائقٌ وشهيـــــدُ

خيرُ ذُخْرٍ مع اليقين لعبْـــدٍ ... عملٌ صالحٌ وقولٌ سديـــــدُ

إن شجاعة البطل ، واستبساله في ساحات الوغى ، وبذله النفس وتضحيته بها ، كان يقف وراءه أملٌ كبير بحُسْنِ جزاء الله ، وعظيم أجره ، وجميل ثوابه ، وحسن العاقبة الذي رسّخه الإسلام في عقل البطل وقلبه قاده إلى أن يكون شجاعاً لا يهاب الموت ولا يرهبه ، ولا يفر من ساحة المعركة

[1] . الأنصاري ، النعمان بن بشير ، شعره ، ص ٩٣ .

، ولا يجبن أمام العدو ، ففي ذلك مخزاة في الدنيا ، وضياعٌ للأجر والنعيم في الآخرة ، يقول الفرزدق (١) :

وَملحَمَةٍ شهدتِ ليومِ بـــــأسٍ	**تزيدُ المرءَ للأجلِ اقترابــــــا**
ترى القَلَعِيَّ والماذيَّ فيهـــــا	**على الأبطالِ يلتَهِبُ التهابــــا (٢)**
شَدَخْتَ رؤوسَ فتيتها فداخَـــتْ	**وأبصرَ مَن تربَّصَها فتابــــا (٣)**
رأيْتُكَ حينَ تعتَركُ المنايــــا	**إذا المرعوب للغمَراتِ هابــــا**
وأذلَقهُ النِّفاقُ وكادَ منــــهُ	**وجيبُ القلبِ يَنْتَزِعُ الحِجابــــا (٤)**
تهونُ عليكَ نفْسُكَ وهو أدْنــى	**لنفسِكَ ، عندَ خالِقِها ثوابــــا**
فمَن يَمْنُنْ عليكَ النّصْرَ يكـــذِبْ	**سوى الله الذي رفع السّحابــــا**

ولقد عفّ البطل الأموي في دنياه وزهد فيها ، وترك متاعها وزخرفها ، بانتظار النعيم الدائم ، والمتاع الخالد في الآخرة ، فالأعمال البطولية ، والمواقف الحسنة الجليلة هي التي ستوصله إلى ذاك النعيم المنتظر ، ويظهر هذا المراد جلياً في مدح الفرزدق للحكم بن أيوب بن أبي عقيل (٥) :

وَيَوْمٍ تُرَى فيهِ النجومُ شَهدْتَـــهُ	**تَعَاوَرَ خَيْلاهُ الأسِنَّة والنَّبْـــلا (٦)**
كأنَّ ذُكُورَ الخيْلِ في غمَرَاتِـــهِ	**يَخُضْنَ ، إذا أكْرِهْنَ فيهِ ، بهِ الوَحْــلا**
صَبَرْتَ بهِ نَفْساً عليْكَ كريمـــة	**وقد عَلِموا ألاّ تَضِنَّ بها بُخْـــلا**
تجودُ بها للهِ ترجو ثوابَـــهُ	**وليْسَ بِمُعْطٍ مِثْلَهَا أحَدٌ بَــــذْلا**

وخير ما يدّخره المرء العمل الصالح ، الذي ينال جزاءه في الآخرة نعيماً دائماً ، ومتاعاً لا يزول ، وتلك هي غاية البطل ومبتغاه ، يقول الأخطل (٧) :

وإذا افتَقَرْتَ إلى الذّخائرِ لم تَجِـدْ	**ذُخْراً ، يكونُ كصالح الأعمـــالِ**

وكما يرتجي البطل في أعماله الحسنة ثواب الله ، ووافر أجره ، فهو يقوم بالأعمال البطولية ويتحلى بمكارم الأخلاق الإسلامية من عفة وكرمٍ ووفاء وغيرها ، طلباً لحسن الذكر عند الناس ، لا رياءً ونفاقاً ، وإنما إثباتاً للذكر الحسن الذي يخلّده بعد مماته ، فيدعو له الناس بالمغفرة ،

---

1. الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ٨٢ ـ ٨٣ .
2. القلعي : أراد الدم الأحمر . الماذي : الدرع اللينة .
3. داخت : ذلت . تربصها : انتظرها .
4. أذلقه : أضعفه . الحجاب : أراد به حجاب القلب .
5. الفرزدق ، ديوانه ، ٢ : ١٢٨ .
6. ترى فيه النجوم : أراد أن تكاثف الغبار حجب نور الشمس فظهرت النجوم في النهار .
7. الأخطل ، ديوانه ، ص١٤٠ .

ويستوجب رحمة الله ومغفرته ، فيحق له الأجر الكبير والثواب الجزيل من الله ، يقول حارثة بن بدر [١] :

ردّت صنائِعُهُ إليهِ حياتَـــهُ   فكأنهُ من نَشْرِها منشــــورُ

ولهذا فإن ابن الدمينة حريص على اكتساب مكارم الأخلاق ومحامدها ، إثباتاً للذكر الحسن بعد موته [٢] :

أبيتُ خَميْصَ البطنِ غرثانَ جائِعـاً   وأوثِرُ بالزادِ الرّفيق على نفســـي

وأفرشه فرشي وأفترشُ الثــرى   وأجعلُ مسَّ الأرضِ من دونِهِ لبســي

حذار أحاديثِ المحافِلِ في غـــدِ   إذا ضمَّني يوماً إلى صدرهِ رِمْســي

إن البطل المؤمن يواجه الآلام والصعوبات في سبيل الوصول إلى الحياة الدائمة ، والنعيم المتصل ، ولذا فإن تضحيته بنفسه وبذله لها ، ليس فراراً من الحياة ، بل وصولاً إليها ، فهو يقدم على الموت ويستعذبه مستشهداً في سبيل الله ارتجاءً لثوابٍ لا يحدُّه حد ، وجنة عرضها السموات والأرض ، وفي ذلك يقول جروة بن يزيد الطائي [٣] :

يرَوْنَ عليهِمُ للهِ حقـــــاً   مُقارعَةَ الطَّماطِمةِ الطَّغـــام [٤]

يريدونَ المثوبة من إلـــهٍ   بصيرٍ تحتَ قِسطالِ القتَـــام [٥]

وكلُّهمُ يُرادي التركَ قِدْمـــاً   ويحوي مَنْفَساً في كلِّ عـــام [٦]

ويرجو اللهَ لا يرجو سِـــواهُ   وراجي اللهَ يرجعُ بالسّـــلامِ

وخير ما يظهر حب الشهادة - بوصفه باعثاً لبطولة الأبطال ، ودافعاً لشجاعتهم وتحليهم بالأخلاق الكريمة - عند الخوارج ، الذين " تكاد رغبتهم في الموت في سبيل عقيدتهم تغلب رغبتهم في تحقيق أهدافهم التي خرجوا انتصاراً لها ، وحتى ليصبح رفض الحياة وطلب الموت لديهم هدفاً يطلب لذاته ... حتى لنشعر أن الموت عندهم على هذه الصورة لون من ألوان الأمل

---

1 . القيسي ، نوري ، شعراء أمويون ، ٢ : ٣٤٧ .
2 . ابن الدمينة ، أبو السري عبد الله بن عبيد الله (ت نحو ١٣٠ هـ) ، ديوان ابن الدمينة ، صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب ، (تحقيق أحمد راتب النفاخ) ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ١١٨ .
3 . السجستاني ، كتاب المعمرين والوصايا ، ص ٦٩ .
4 . الطماطمة : الأعاجم . الطغام : الأوغاد .
5 . القسطال والقتام : الغبار في المعركة .
6 . يراديهم : يطلب روادهم . المنفس : نفيس المال وخياره .

وضرب من ضروب الأماني ... " [1] ، وقد يتمنى الواحد منهم أن يقتل ، وأن تقطّع أوصاله كما يقول العيزار بن الأخنس الطائي [2] :

ألا ليتني في يومِ صفين لـم أؤب … وغودِرْتُ في القتلى بصفين ثاويـــا

وقطّعتُ إرَباً ثمّ أُلْقيتُ جثـــةً … وأصبحْتُ ميتاً لا أجيبُ المُنادِيـــا

إن البطل الخارجي باع نفسه لله واشترى بها الجنة ، وهو واثقٌ أنه الرّابح في هذا البيع ، لذلك فهو يستعجل الموت ، ويتساءل حين يتأخر عنه ، كما يقول قطري [3] :

حتى متى تخطئني الشّهادة ؟

وهو لذلك أيضاً يحاور نفسه مبدياً رغبته في أن يموت ميتة الخير والراحة ، فتلك هي البطولة التي يكون طريقها زهداً في الحياة ومتاعها الزائل ، ويكون جزاؤها نعيماً غير منقطع ، ومتاعاً مستمراً ، يقول أبو بلال مرداس بن أدية [4] :

إني وزنتُ الذي يبقى بعاجلـــةٍ … تفْنى وشيكاً فلا واللهِ ما اتّزَنـــا

تقوى الإلهِ وخوف النار أخرَجَنــي … وبيعُ نفسي بما ليْسَتْ لهُ ثمَنـــا

إن الأبطال الذين باعوا الله أنفسهم خواضون غمار الموت في المعارك والحروب ، لا يرهبونه أبداً ، وما بطولتهم تلك إلا طمعاً في شهادةٍ تكسبهم غُنْماً كبيراً في دار القرار ، يقول قطري [5] :

تُبْ توبةً تهدي إليكَ شهـــادةً … فإنّكَ ذو ذنبٍ ولسْتَ بكافِـــرِ

وسِر نحْوَنا تَلْقَ الجهادَ غنيمـــةً … تُفِدْكَ ابتياعاً رابحاً غير خاسِـــرِ

هي الغاية القصوى الرغيبُ ثوابها … إذا نالَ في الدنيا الغنى كلُّ تاجِـــرِ

إن في استشهاد البطل تضحية منه بحياة واقعية زائلة ، وإيثاراً منه لحياةٍ خالدة ، كلها سرور وبهجة ، وتطلّعٌ منه إلى حياة أبدية ينعم فيها بالرضى والسعادة ، وهذا ما يراه عمران بن حطان السدوسي [6] :

يا ضربةً من تقيٍّ ما أراد بهـــا … إلا ليبْلُغَ من ذي العيش رضوانـــا

---

1. القاضي ، النعمان (١٩٧٠) ، الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ، دار المعارف ، مصر ، ص ٤٣٧ .
2. عباس ، شعر الخوارج ، ص ٣٢ .
3. المصدر نفسه ، ص١١٥ .
4. المصدر نفسه ، ص ١١ .
5. المصدر نفسه ، ص ٤٨ .
6. المصدر نفسه ، ص٢٦ .

إني لأذكُرُهُ حيناً فأحْسَبُـــــهُ   أوفى البَرِيَّةِ عندَ اللهِ ميزانـــــا

والبطل المؤمن يرجو الجنان وما فيها من نعيم مقيم ، تلك هي غايته وذاك هو دافعه ليكون بطلاً متميزاً بأفعاله وأخلاقه ، يقول قطري [١] :

فلو شَهِدَتْنا يومَ ذاكَ وخيْلُنـــا   تُبيحُ من الكفّار كلَّ حريــــــم

رأتْ فتيةً باعوا الإله نفوسَهُـــم   بجنّاتِ عَدْنٍ عندهُ ونعيـــــــم

ويؤكد زياد الأعسم تلك الغاية التي يرنو نحوها البطل المؤمن ، بقوله [٢] :

وقد كان ذا أهلٍ ومالٍ وغبطـــةٍ   وكان لما يَفنى من العيشِ قالِيـــا

كأنّ الفتى داودَ لمْ يكُ فيكـــمُ   ولم تَرَهُ يوماً من الصومِ باليـــا

ألا فاذكرْنَ داود إذ باع نفســـهُ   وجاد بها يبْغي الجِنانَ العواليـــا

لقد كان حبُّ الشهادة والسعي إليها ، وطلب الأجر والثواب من الله ، وحسن الذكر لدى الناس بعد الاستشهاد ، غاية البطل ومقصده في ميادين القتال ، وفي كل مناحي حياته وجل تصرفاته ، لذلك أقدم البطل في ساحات الوغى إقدام الشجاع الجريء في الحق ، غير هيّاب ولا متخاذل ، كما تحلى بالإضافة لشجاعته وقوته بإباء وعزة شمخ بهما على الأعداء ، واتصف بعفة تترفع عن عرض الدنيا ، وامتاز بوفاء لعقيدته ومبدئه ، وقرن ذلك كله بحزم كمضاء السيف لإنفاذ غاياته وتحقيق أهدافه المتمثلة في حب الاستشهاد في سبيل الله وطلب ثوابه وأجره .

الإيمان بالقضاء والقدر :

[1] . عباس ، شعر الخوارج ، ص ٤٥ .
[2] . المصدر نفسه ، ص ٦٦ .

لقد آمن الإنسان الأموي بمصيره المحتوم ، وأدرك أن لا مفر لـه من قدره المكتوب ، ورأى أن كل ما يتعرض له في حياته من مصائب أو مشكلات ، أو نهاية بالموت هو قدرٌ مكتوب عليه ، لا يستطيع له رداً ، يقول أعشى همدان معبراً عن إيمانه التام بالقدر المحتوم [١] :

لا تأسَفَنَّ على ما مَضـــــى	**ولا يُحْزِنَنْكَ ما يُدْبِـــــــرُ**
فإنَّ الحوادِثَ تُبْلي الفتــــى	**وإنَّ الزّمانَ به يَعْثُـــــــرُ**
فيوماً يُساءُ بما نابَــــهُ	**ويوماً يُسَرُّ فيَسْتبشِـــــــرُ**
ومن كلِّ ذلك يلقى الفتــــى	**ويُمْنى لهُ ما يُقَـــــــدَرُ**

إن الإنسان أمام قضاء الله لا يملك إلا الإيمان به ، فهو في يد الله المهيمنة ، لا ملجأ منه إلا إليه ، فهذا مالك بن الرّيب مؤمن بأن ما قدر كائن لا محالة ، ولن تغير دموع ابنته من قدره ، كما لن يغير بقاؤه ما هو مكتوب عليه [٢] :

اسكُتي لقدْ حَزَزْتِ بالدّمع قلْبــي	**طالما حزَّ دمعُكُنَّ القلوبـــــا**
فعسى الله أن يدافِعَ عنــــي	**رَيْبَ ما تحذرينَ حتى أؤوبـــــا**
ليسَ شيءٌ يشاؤهُ ذو المَعالــي	**بعزيزٍ عليهِ فادعي المُجيبـــــا**
ودعي أن تقطعي الآن قلبــي	**أو تريني في رحلتي تعذيبـــــا**
انا في قبضة الإلهِ إذا كُنْــــ	**ـتُ بعيداً أو كنتُ قريبـــــا**

فلا عليه وهو في قبضة الله ، بقي او ذهب ، ولذا فهو في إيمانه ذاك يواجه حياته بإيجابية فاعلة ، وينطلق في سفره دون تردد .

القدر أمر لا بد منه ، والقدر لا ينتصر عليه أحد ، ولا يرده أو يغيره كائن من كان ، يقول جميل بن معمر [٣] :

وقالَ : أفِقْ حتى متى أنْتَ هائِـمٌ	**ببَثْنَةَ ، فيها قد تُعيدُ وقدْ تُبــــدي**
فقلتُ لهُ : فيها قضى اللهُ ما تــرى	**عليَّ ، وهل فيما قضى اللهُ مِـــنْ رَدِّ**

١ . أعشى همدان ، ديوانه ، ص ١١٨ .
٢ . القيسي ، نوري ، شعراء أمويون ، ١ : ٢٥ .
٣ . جميل بن معمر ، أبو عمرو جميل بن عبد الله القضاعي (ت ٨٢ هـ)، ديوان جميل بثينة ،(جمع وتحقيق حسين نصار)، مكتبة مصر ، القاهرة ، (د. ت) ، ص ٥٨ .

إن البطل الأموي يواجه مصاعب حياته ويجابه مشكلاتها دون خوفٍ أو رهبة ، وبلا تردد أو تخاذل ، لأنه يعلم علم اليقين أنّ ما قدر له سيواجهه حتماً ، فلا فائدة لحذره وحيطته ، يقول محارب بن دثار وقد فشل في دفع قدر الموت عن عمر بن عبد العزيز [(١)] :

لو كنتُ أملِكُ والأقدارُ غالبــةٌ	**تأتي صباحاً وتَبْياناً وتَبْتَكِـــرُ**
صرَفْتُ عن عُمَرَ الخيراتِ مصرَعَـهُ	**بدير سِمْعان لكن يَغلبُ القـــدرُ** [(٢)]

وكذلك أيقنَ ابن عرس العبدي ، في رثائه أسد بن عبد الله القسري ، أنّ قضاء الله نافذ لا دافع له ولا راد [(٣)] :

نعى أسدَ بن عبد الله نـــاعٍ	**فريْعَ القلبُ للملِكِ المُطـــاعِ**
ببَلْخ وافقَ المِقْدارُ يَسْـــري	**وما لقضاءِ ربِّكَ من دِفـــاعِ**

الحذر لا ينجي من القدر ، وسرور الدنيا لا يدوم ، فقد يعقب بهجتها كدر وتعاسة ، يقول سابق البربري [(٤)] :

إنْ كُنتَ تعلمُ ما تأتي وما تَـــذَرُ	**فكُنْ حذراً قد ينفعُ الـــحذَرُ**
وأصبر على القدر المقدور وأرضَ بهِ	**وإنْ أتاكَ بما لا تشتهي القـــدَرُ**
فما صَفا لامرئٍ عيشٌ يُسَرُّ بـــهِ	**إلا وأعْقبَ يوماً صفوُهُ كَـــدَرُ**

والحيلة لا تغير من مجرياته شيئاً ، فما قدّر واقع بلا شك ، يقول البهلول بن بشر الشيباني معبراً عن عدم خشيته من الموت ، فهو شجاع مقدام ، لأنه على يقين تام بقضاء الله وقدره [(٥)] :

مَن كانَ يكرهُ أنْ يلقى منيّتَـــهُ	**فالموتُ أشهى إلى قلبي من العَسَـلِ**
فلا التقدّمُ في الهيجاء يعجلنـــي	**ولا الحذارُ ينجيني من الأجـــلِ**

إن الإيمان بالقدر من البواعث الإسلامية التي وجّهت أعمال البطل في حياته ، ورسّخت في ذهنه أنّ كل ما يحدث له إنما هو مكتوب في لوح القدر منذ أن خلق الإنسان ، وبذلك آمن أن لا

---

[1] . ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ) ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ،(تحقيق محمد زكي باشا)، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٤، ١ :٣٥٢ .

[2] . دير سمعان : من أعمال حمص ، مما يلي بلاد قنسرين . (انظر : المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٤ أجزاء ، (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد)، المكتبة العصرية، بيروت ، ١٩٨٧، ٢ : ١٦٧) .

[3] . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٥ : ٤٦٦ .

[4] . البربري ، سابق ، شعره ، ص ٦٨ .

[5] . عباس ، شعر الخوارج ، ص ٧٣ .

راد لحكم الله ، ولا مبدّل لكلماته ، قال تعالى : " وكان أمرُ الله قدراً مقدوراً " [١]، وقد وعى البطل الأموي هذه الحقيقة وأقرّ بها ، وانطلق بيقينه هذا مقدماً على الأفعال البطولية دون جزع أو خوف ، ومثال ذلك ما جاء في رثاء عبد الله بن خازم لولده محمد ، إذ يقسم لو أن الحذر ينفع في ردّ الموت عن ابنه لفعل ، ولكن من المقدور لا ينجو الحَذِرْ [٢] :

لعمري لقد حاذرْتُ لو كان نافعـي	**حذار على العفِّ الجوادِ محمـــــدِ**
ولكنهُ ما قدَّر الله كائـــــنٌ	**وريبُ المنايا للرجال بمرصَـــــدِ**
وليسَ بناجٍ من الموتِ وريبهـــا	**فتىً باحتيالٍ لا ولا بمخلَّـــــدِ**

وهكذا كان إيمان البطل الأموي بقضاء الله وقدره دافعاً وراء بطولته ، فقد أقبل على حَسَن الأعمال وتحلى بجميل الصفات وحميدها ، لا يخاف في ذلك شيئاً ، ولا يرهبه أمر ، ولا يتردد ولا تتزعزع عزيمته ، إذ يعضده في إقدامه ذاك إيمان حتمي بأن ما قدره الله واقع لا محالة ، ولا يستطيع هو في الوقت ذاته دفعاً لذلك القدر أو تبديلاً له .

[1] . سورة الأحزاب ، الآية : ٣٨ .
[2] . ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ٨ : ٢٨ .

صروف الدّهر وتقلّباته :

إن تجارب الإنسان في العصر الأموي ، كوّنت لديه يقيناً مفاده أن الدهر متقلّب متبدّل ، لا يثبت على حال ، ولا يقرّ على أمر ، فإن أعطى لا يلبث أن يأخذ ، وثبت في وعي الإنسان أيضاً أنه لا يبقى على حال واحدة مهما طال به العمر ، فإن كان في شبابه قوياً شجاعاً خائضاً للحروب ، قاهراً للأعداء ، فإنه ينقلب ضعيفاً عاجزاً في شيخوخته ، وإن كان سالماً فقد يصبح مريضاً ، وإن كان آمناً قد يصبح خائفاً ، وإن كان سيّداً عزيزاً قد يصبح مهاناً ، وكل هذا بفعل الدهر الذي لا يستطيع الإنسان أن يدفع نوائبه ، أو يغير أحواله كما يشاء ، ولا فائدة له من شكواه ، يقول يزيد بن معاوية [١] :

وساع يجمعُ الأموالَ جمعــاً ... ليورثها أعاديه شقـــاءَ

وكم ساعٍ ليُثري لم يَنَلْــهُ ... وآخرُ ما سعى نالَ الثّـــراءَ

ومَنْ يسْتعتِبْ الحدثانِ يومــاً ... يكُنْ ذاك العِتابُ لهُ عنـــاءَ

فالمرء قد ينهمك في جمع المال ، وتأتي ساعة يزول ذاك المال فلا يبقى منه شيءٌ ، ولذا عليه أن يغتنم غناه ، فيجود بما لديه قبل أن تصيب ماله غائلة فيصبح في عسر لا يملك ما يجود به .

والدهر على حد تعبير عبد الله بن معاوية لا يؤمن جانبه ، ولا يطمأن لحاله [٢] :

يا قومُ كيفَ سُواغُ عيْــ ... ـشٍ ليسَ تُؤْمَنُ فاجعاتـــه

ليست تزالُ مُطِلَّـــةً ... تغدو عليكَ منغّصاتُـــهْ

ويؤكد في موضع آخر أن الليالي حبالى يلدن كل جديد ، فهي تشتت تارة وتجمع أخرى ، لا تثبت على حال أبداً ، فيقول [٣] :

حكْمُ الليالي تفريقٌ لما جَمَعَــتْ ... وجمعُ ما فرّقت مذ كانت الحجـــجُ

فهل رايتَ نعيماً لا زوال لـــهُ ... ولا أخا كرْبَةٍ إلا له فـــــرَجُ

وقد استجلب البطل الأموي بحسن فعاله البطولية وجميل خصاله الخلقية حسن الذكر والأحدوثة لدى مجتمعه ، فكان له ذلك عوناً على مصائب الدهر وفاجعاته ، يقول الأخطل [١] :

---

[1] . يزيد بن معاوية ، شعره ، ص١١ .
[2] . عبد الله بن معاوية ، شعره ، ص٣٥ .
[3] . المصدر نفسه ، ص ٣٧ .

وإذا افْتقرْتَ إلى الذّخائِر لم تَجِدْ ذُخْراً ، يكونُ كصالِح الأعمـــالِ

ويتعجب الراعي النميري من تقلّب الدهر وتبدله ، حتى تظن أن الحياة تستمر على حال معين ، وإذ بها تنقلب إلى نقيضه ، فهي من لينٍ إلى قسوة ، ومن قسوة إلى لين ، لا ثبات لها ولا استقرار [٢] :

يا عجباً للدهر شتّى طرائِقُـــهْ وللمرءِ يَبْلوهُ بما شاءَ خالِقُـــهْ

وللخُلْدِ يُرجى والمنيّة دونـــهُ وللأملِ المبسوطِ والموتُ سابِقُـــهْ

ولا يستطيع أحد أن يقف في وجه الدهر ، ولا يقوى إنسان على توجيهه الوجهة التي يريد ، حتى الجبال سيأتي عليها يوم تزول فيه وتندثر ، يقول الفرزدق [٣] :

يا ابن الخلائِفِ لم نجدْ أحـــداً يبْقى لِحَزٍّ نوائبِ الدهـــــر

إلا الرواسيَ ، وهي كائنـــةٌ كالعِهْنِ ، وهيَ سريعةُ المَـــرِّ

إن البطل الحذق لا يأمن جانب الدهر ، فهو يستغل قوته قبل ضعفه ، وغناه قبل فقره ، فيقبل على كل ما هو بطولي قبل أن يجتث الدهر قواه ويضعف عزيمته ، يقول جرير في ذلك [٤] :

لا يأمَنَنَّ قويٌّ نَقْضَ مِرَّتِـــهِ إني أرى الدّهر ذا نقضٍ وإمْـــرار

قد أطلُبُ الحاجة القصوى فأُدركُها ولسْتُ للجارَةِ الدنيا بـــــزَوَّار

ويرى الكميت بن زيد الأسدي أن الدهر لا يأتي إلا بالنوائب والمصائب ، مما لا يحسب له الإنسان حسابه [٥] :

دع البكاءَ على ما فاتَ مطلَبُـــهُ فالدّهرُ يأتي بأنواعِ من العَجَـــبِ

فالشّيءُ بالشّيءِ فانظُرْ في عواقِبِـهِ مما إذا هو يومهِ لم يَـــؤُبِ

أحس البطل الأموي أن الموت نائبة يفجعه بها الدهر ، " فالموت لديه واقعة تتم بسبب الزمان ، وإنها من جوانبه " [٦]، وبات لديه يقين تام بأنه لن يخلّد مادام يعيش في هذا النطاق الزمني ، فلا بقاء مع الزمن الذي يستمر بالإنسان حتى يصل به إلى الفناء ، يقول عروة بن أذينة [٧]:

---

1. الأخطل ، ديوانه ، ص ١٤٠ .
2. الراعي النميري ، شعره ، ص٢٢٩ . وانظر شواهد أخرى : ص ١٢٩ .
3. الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ٢٦٢ . وانظر شواهد أخرى : ج١ : ص٩٣ ، ص١٣١ .
4. جرير ، ديوانه ، ١ : ٢٣٣ . وانظر شواهد أخرى : ٢ : ٩٧٠ .
5. الأسدي ، الكميت بن زيد ، شعره ، ١ : ١٣٦ .
6. الزير ، محمد بن حسين (١٩٨٩)، الحياة والموت في الشعر الأموي، دار أمية للنشر والتوزيع ، الرياض ، ص١٨٤.
7. ابن أذينة ، عروة ، شعره ، ص ٣٤١ .

إنّ الفتى مثلُ الهلالِ لـــــهُ **نورٌ ليالِيَ ثمَّ يَمْتَحِـــــقُ** [١]
يَبْلَى وتُفنيهِ الدُّهورُ كَمــــا **يَبْلى وَنْضو الجِدَّةَ الخَلَـــــقُ**

إن التغير من طبيعة الحياة ، والتبدل من خصائصها ، فهي لا تسير وفق قانون ثابت ، ولا يحكمها منطقٌ مطَّرد ، ولذا وجب على البطل أن يستغل قدراته وطاقاته في غاية أوجها وذروتها ، قبل أن تخمد وتتلاشى ، يقول رؤبة بن العجاج [٢] :

والدهرُ من تردادِهِ الأطـــوارا **رهْنٌ بأسْبابٍ تصوّر الصائِـــــرا**
كفى بتكرار الليالي زاجـــرا **وكل ساعٍ يجتبي الذّخائِـــــرا**

ويعزو النابغة الشيباني تغيره وشيبه وهزاله إلى اختلاف الليل والنهار عليه ، في حركة زمنية مستمرة ، فهما لا يبقيان على حال ولا يدومان لحيٍّ أبداً [٣] :

متى يختلف يومٌ عليكَ وليلـــةٌ **يَلُحْ منهما في عارضَيْكَ قتيـــرُ** [٤]
جديدانِ يَبْلَى فيهما كلُّ صالــحٍ **حثيثانِ هذا رائحٌ وبَكـــــورُ**

إن للدهر يداً طولى ، تطال كل شيء فتسلبه صفة الديمومة والاستمرارية ، يقول قيس بن ذريح [٥] :

وقلتُ كذاكَ الدهرُ مازال فاجِعــاً **صدَقْتَ! وهل شيءٌ بباقٍ على الدهرِ ؟**

ويقول في موضع آخر مبيّناً مدى قسوة الدهر ، فهو لا يترفق بالمحبين ، ولا يرق لهم كما رقت مشاعرهم ، فهولا يلبث أن يبادرهم بفجائعه [٦] :

وما من حبيبٍ وامقٍ لحبيبــــهِ **ولا ذي هوىً إلا له الدهر فاجــــعُ**

إن أوجاع الدهر ونوائبه كثيرة متنوعة موجعة ، لا يكاد يسمح بسرور حال حتى ياتي عليه بالبؤس والشقاء ، فيلين أمامه العتي القوي ، يقول يزيد بن مفرغ [٧] :

---

1 . يمتحق : يختفي .
2 . ابن العجاج ، رؤبة ، ديوانه ، ص٥٠. وانظر شواهد أخرى : ص٥، ص٢٠٧، ص٢٠٩، ص٤٤٥ .
3 . النابغة الشيباني ، عبد الله بن المخارق بن سليم (ت١٢٥هـ)، ديوان نابغة بني شيبان، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ١٩٣٢، ص٣٠ .
4 . القتير : الشيب ، أو ما يظهر منه .
5 . ابن ذريح ،قيس (ت٦٨هـ)، قيس ولبنى، شعر ودراسة ، (جمع وتحقيق حسين نصار)، مكتبة مصر ، القاهرة، ١٩٦٠، ص٩٤ .
6 . المصدر نفسه ، ص ١٠٣ .
7 . الحميري ، يزيد بن مفرغ (ت ٦٩ هـ) ، ديوان يزيد بن مفرغ الحميري ، (جمعه وحققه عبد القدوس أبو صالح) ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٩٧٥، ص١٠٢ .

ودهورٍ لقيْنَنا موجِعـــــاتٍ   وزمانٍ يكْسِرُ الجُلْمـــــــودا

ويظهر ذلك المعنى جلياً في إيمان قيس بن الملوح بزوال كل شيء مع الزمن ، يقول [١]:

فقلتُ لهُ : أينَ الذينَ عَهدْتَهُـــم   حواليكَ في خصبٍ وطيبِ زمـــانِ؟

فقالَ : مضوا واسْتودعوني بلادَهُم   ومَن ذا الذي يبقى على الحدثـــانِ؟!

ويكرر جميل بثينة ذلك التساؤل الذي يحمل في طياته يقيناً تولد لدى الشاعر بأن مصير كل شيء إلى الزوال [٢] :

نعم ، وذكَرْتُ دنيا قدْ تَقَضَّـــتْ   وأيُّ نعيمِ دنيا لا يـــــــزولُ؟!

إن الدهر هو الذي يذهب بالناس ، والطير والحيوان ، فلا خلود مع الزمان ، يقول الأحوص الأنصاري [٣] :

الدهرُ إنْ سَرَّ يوماً لا قوامَ لـــهُ   أحداثُهُ تصْدَعُ الرّاسي من العلَـــمِ

يسْتَنْزِلُ الطّيْرَ كرْهاً من منازِلِهـــا   إلى المنيّةِ ، والآسادَ في الأجَـــمِ [٤]

ويسْلِبُ الآمِنَ المُغْتَرَّ نعْمتَـــه   ويلْحِقُ الموتَ بالهيَّابةِ البَـــرِمِ [٥]

مَنْ يأمنِ الدهرَ أو يرجو الخلود بـه   بعدَ الذين مضوا في سالِفِ الأمـــمِ؟!

ليسَ امرؤٌ كان في عيشٍ يُسَرُّ بـه   يوماً بأخْلَدَ من عادٍ ومــــن إرَمِ

يهوى الخلودَ وقد خُطّتْ منيّتُـــهُ   ولا مردَّ لأمرٍ خُطَّ بالقلَـــــمِ

لا بد أنّ المنايا سوفَ تدركُـــهُ   ومَنْ يُعمَّر فلن ينجو من الهَـــرَمِ

ويشتت الدهر الجمع ويفرقهم ، يقول سابق البربري [٦] :

كَمْ مِنْ جميعِ أشَتَّ الدّهْرُ شَمْلَهُـمُ   وكُلُّ شيءٍ جميعٍ سوفَ يَنْتَشِـــرُ

إن إيمان البطل الأموي بتقلب الدهر وتبدّل أحواله ، وإحساسه بأن العز والغنى لا يدومان ، وأنه قد يواجه عسراً بعد يسر ، وضعفاً بعد قوة ، جعله يحتاط لهذه اللحظة ، فأقبل يفعل البطولات

---

1 . ابن الملوح، قيس (ت ٧٠هـ)، ديوان مجنون ليلى، (جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج)، مكتبة مصر، القاهرة، (د.ت)، ص٢٧٥ .

2 . جميل بن معمر ، ديوانه ، ص١٦٤ . وانظر شواهد أخرى : ص١٥٢ – ص١٥٣

3 . الأحوص الأنصاري ، شعره ، ص ٢٠٣ . وانظر شواهد أخرى : ص ٨٣ ، ص ٩٢ .

4 . الأجم : الشجر الكثيف الملتف .

5 . البرم : اللئيم .

6 . البربري ، سابق ، شعره ، ص ٤٢ . وانظر شواهد أخرى : ص ١٠٠ .

ويتحلى بالصفات المثلى ، يدافع عن الضعيف ، وينصر المظلوم ، ويكرم الضيف ، ويسد حاجة الفقير ، ويفكّ العاني ، ويجير المستجير ، ويحمي الولي الضعيف ، ويعفو عن المذنب ، ويصفح الصفح الجميل ، ليبني لنفسه صرحاً من المجد ، يلقاه إذا أصيب بشدة أو ملمة ، وهذا ما يظهر لدى القطامي ، إذ يقول [١] :

كم من بناءٍ بنى الكيّالُ قبْلهُـــمُ   وأحْمَرُ القرْمِ لولا عِزُّهُ انْهَدَمـــا [٢]

ويقول أيضاً مادحاً فعل الفتى الذي يحسب لفجائع الدهر حساباً ، فيدّخر لنفسه الصنيع الحسن [٣] :

ألمْ ترَ همّاماً فتى تغلبِ الـــذي   تعاوِرُهُ الأيامُ واضْطَرَّهُ الدَّهْـــرُ

بنى بين حَيَّيْ وائلٍ بصنيعـــهِ   فلا تغلِبٌ لامَتْ أخاها ولا بَكْــــرُ

حتى المال لا يسلم من يد الدهر ، ولا فائدة من ادخاره ، وإنما يدوم المال بالبذل ، وكرم العطاء ، بما يكسب الكريم من صيت حسن ، وسمعة طيبة عند الناس ، يقول نصيب بن رباح [٤] :

ومَن يُبْقِ مالاً عدّةً وصيانَـــةً   فلا الدّهرُ مبقيهِ ولا الشحُّ وافِـــدُهْ

ومَن يكُ ذا عَظْمٍ صليبٍ رَجَا بـــهِ   ليَكْسِرَ عودَ الدّهْرِ فالّهرُ كاسِـــرُهْ

ويقرر نصر بن سيار ذلك المعنى بتفصيل دقيق يدعو فيه البطل إلى التوجه نحو الأعمال البطولية الخيرة ، فهو لا يضمن حال الدهر ، ولا يأمن غوائله [٥] :

دَعْ عنك دنيا وأهلاً أنتَ تاركُهُـمْ   ما خيرُ دنيا وأهلٍ لا يدومونـــا

إلا بقيّةَ أيامٍ إلى أجـــــلٍ   فاطلب من الله أهلاً لا يموتونـــا

أكثِرْ تُقى الله في الإسرار مجتهـداً   إنَّ التّقيَّ خيْرُهُ ما كانَ مكنونـــا

واعلَمْ بأنّكَ بالأعمالِ مُرْتَهَـــنٌ   فكُنْ لذاكَ كثيرَ الهمِّ محزونـــا

إنّي أرى الغَبَنَ المُرْدي بصاحِبِـهِ   مَن كان في هذه الأيام مغْبونـــا

تكونُ للمرْءِ أطواراً فتمْنَحُـــهُ   يوماً عِثاراً وطوْراً تمنحُ اللّينـــا

بينا الفتى في نعيمِ العيشِ حوّلـهُ   دَهْرٌ فأمسى به عن ذاكَ مَزبُونـــا

تحلو لهُ مرَّةً حتى يُسرَّ بـــها   حيْناً وتَمقُرُهُ طعماً أحايينـــا [١]

---

[1] . القطامي ، ديوانه ، ص ١٠١ .
[2] . الكيّال : بطن من بني زهير بن جشم . وأحمر القرم : رجل منهم .
[3] . المصدر نفسه ، ص ١٢٥ .
[4] . ابن رباح ، نصيب ، شعره ، ص ٩٢ .
[5] .الكناني ، نصر بن سيار ، ديوانه ، ص ٤٧ .

هل غابرٌ مِن بقايا الدّهر تنظُـرُهُ إلا كما قد مَضى فيما تُقضَّوْنـــــا

كانت صروف الدهر باعثاً هاماً أبرز بطولة الأبطال ودفعهم إلى القيام بالأفعال الخيّرة ، التي سعوا من خلالها إلى بناء الصيت الطيب لأنفسهم ، والذي قد يحتاجون إليه حين تشتد قوارع الدهر ونوائبه ، يقول كعب بن عميرة [٢] :

ويا ربِّ هبْ لي ضربةً بمُهَنَّـــدٍ حسامٍ إذا لاقي الضريبةِ يَهْبُـــرُ
فقد طالَ عيشي في الضلالِ وأهلِـهِ أخافُ التي يخشى التّقيُ ويحْـــذَرُ
أخافُ صروفَ الدّهْرِ إني رأيْتُها تروحُ على هذا الأنامِ وتُبْكِـــرُ

ويؤكد المعنى ذاته قول الرهين بن سهم المرادي ، الذي يقرر فيه الإقدام على ما يبقي له الذكر الحسن والصيت الطيب ، لأن الدهر متقلب متبدل [٣] :

يا نفْسُ قدْ طالَ في الدنيا مراوغتي لا تأمنينَ لصرفِ الدَهرِ تنغيصـــا
إني لبائعُ ما يفْنى لباقيــــةٍ إنْ لم يُعِقْني رجاءُ العيشِ تربيصا [٤]

حتميّة الموت :

ترسّخت مبادئ الإسلام في نفوس الناس في العصر الأموي ، وآمن كلُّ إنسان بأن الموت نهاية كل حي ، وقد أدرك البطل الأموي حتمية الموت ، وأنه لا خلود للمرء ، وأنه سيحيا مدة محددة لا يستطيع أن يزيد فيها أو ينقص مدتها ، وأنه لا يقدر على رد الموت بحذره أو فطنته أو قوته ، يقول يزيد بن معاوية [٥] :

لو عاشَ حيٌّ إذاً لعاشَ إمـــــ ـامُ الناس لا عاجزٌ ولا وَكِـــلُ

---

[١] . أمقر : صار مرّاً .
[٢] . عباس ، شعر الخوارج ، ص ٥ .
[٣] . المصدر نفسه ، ص ٣٢ . وانظر شواهد أخرى : ص ٣٢ ، ص ٤٨ ، ص ١٧٨ .
[٤] . التربيص : الترقب والانتظار .
[٥] . يزيد بن معاوية ، شعره ، ص١١٣ .

الحُوّلُ القُلّبُ الأريبُ ولـــــن   يدفعَ ريْبَ المنيّةِ الحيَـــــلُ

إن البطل لا يقترب من الدنايا ، ولا تَسِفُّ فعاله ، ولا تذل نفسه ، لأنه متيقّنٌ من أن منيّته يمكن أن توافيه في أية لحظة ، لذلك فهو حريصٌ أن يأتيه أجله وهو في عزٍّ وقوةٍ ورفعة يرتضيها البطل الشجاع المقدام ، يقول أبو دهبل الجمحي [1] :

وما بناءٌ وإن شُدّتْ دعائِمُــــهُ   إلا سيصبْحُ يوماً خاويَ الدَّعَـــــم

لئنْ نَجَوْتَ من الأحْداثِ أو سَلِمَـتْ   مِنهُنَّ نفْسُكَ لم تسلَمْ منَ الهَـــرَمِ

إذن لا مفر من الموت ، إنما الموعد محدد ، إن تأخر اليوم فالغد قريب ، فلا يُفلت أحد من الموت الذي لا يخطئ هدفه ، يقول النعمان الأنصاري [2] :

كلُّ شيءٍ سوى المليك يبيـــدُ   لا يبيْدُ المسبّحُ المحمــــــودُ

حتى الملوك لا يسلمون من الموت ، ولن يكتب لهم الخلود ، فالموت مصير كل حي ، يهدم العروش ويفنيها ، ويبقى عرش الله لا يزول ، يقول يزيد بن مفرغ [3] :

هدمَ الدّهرُ عرْشَنا فتداعـــــى   فبُليْنا إذْ كلُّ شيءٍ بـــــالِ

إذ دعانا زَوالُهُ فأجَبْنـــــا   كلُّ دُنْيا ونعمة لـــــــزوالِ

أم قضينا حاجاتنا فإلى المـــو   تِ مصيرُ الملوكِ والأقيـــــالِ

ويعلم الأخطل أن الموت لا بد ملاقيه ، ولن يستطيع الفرار من بين أنيابه [4] :

ونفسُ المرْءِ ترصُدُها المنايـــا   وَتَحْذُرُ حوْلَهُ ، حتى يُصابـــــا

إذ أمِرَتْ بهِ ألْقتْ عليــــهِ   أحَدَّ سلاحِها ظُفُراً ، ونابــــا

وأعلمُ أنني ، عمّا قليـــــلِ   ستكسوني جَنَادِلَ ، أو تُرابــــا

وما أجمل دعوة الراعي النميري وقد تيقّن من فنائه ، إذ دعا نفسه لكي تقبل على محاسن الأعمال وتتحلى بفضائل الخصال ، فلقد أراد لها الإباء والعزة لأن الموت لا يفرق بين عزيز وذليل ، وبين شجاع وجبان [5] :

1 . الجمحي ، أبو دهبل ، ديوانه ، ص ٩٦ .
2 . الأنصاري ، النعمان بن بشير ، شعره ، ص٨٥ .
3 . الحميري ، يزيد بن مفرغ ، ديوانه ، ص١٨٦ .
4 . الأخطل ، ديوانه ، ص ٣٣٢ .
5 . الراعي النميري، شعره، ص١٦ .

هو الموتُ لا يُحْتَمى للنفــوسِ   مِن خَطْبِهِ بالرُّقى والحِيـــلْ
إذا صالَ كانَ سواءً عليـــهِ   من عَزَّ من كلِّ حـــيٍّ وذّلْ
فيا ويْحَ نفسي أما تـــرْعَوي   وقدْ ذَهَبَ العُمْرُ إلاّ الأقــلْ

ويرى الراعي النميري أيضاً أن كل شيء سيبلى ويتلاشى ، ولا بقاء لأحدٍ إلاعمل الإنسان الصالح ، لذا فإن على البطل أن يحرص على القيام بالأعمال البطولية الصالحة ، فهي التي تبقى له بعد فنائه (١) :

وأعْلَمُ أنّ الموْتَ يا أُمَّ سالِــمِ   قرينٌ محيطٌ حَبْلُهُ مِن وَرائِيـــا
فكائِنْ تَرَى مِن مُسْعِفٍ بمَنِيَّـــةٍ   يُجَنَّبُها أو مُعْصِمٍ ليسَ نـــاجِيا (٢)

والدنيا لا تدوم لحي ، كما يحس بذلك نصيب بن رباح ، إذ يقول (٣) :

فلو دُمْتِ لم أمْلُلْ ولكن تركْتِنـــي   بدائي وما الدُّنيا لحيٍّ بدائِمـــه

وقد أيقن البطل الأموي أن الموت آتٍ له في أي مكان إذا حان أجله ، ولن يستطيع ردّه وإن كان في بيته أو بعيداً عن المخاطر ، فالموت مدركه وإن كان في أكثر الأماكن تحصّناً وأصعبها وصولاً ، يقول جرير (٤) :

أنا الموتُ الذي لا بُدَّ منـــهُ   فليْسَ لهاربٍ منهُ نَجَـــاءُ

إن إدراك البطل الأموي لحتمية الموت دفع عنه الخوف والرهبة ، ووجهه إلى العمل الصالح الذي يخلّد فيه ذكره بعد فنائه ، فبما أن الإنسان ميت لا محالة ، فلماذا الجبن ؟ فحياته محددة مقدرة لا يستطيع أحد أن يقصّر في زمنها أو يطيل فيه ، يقول الفرزدق (٥):

أرى كُلَّ حيٍّ لا يزالُ طليعَـــةً   عليْهِ المَنايا ، من فروج المخـــارِمِ
وما أحَدٌ كانَ المنايـــا وراءَهُ   ولو عاشَ أياماً طِوالاً ، بسالِـــمِ

ويؤكد ذلك أيضاً قوله في موضع آخر (٦) :

أرى الدّهْرَ لا يُبْقي كريماً لأهلِــهِ   ولا تُحْرِزُ اللُّؤمانَ منهُ المهــاربُ (٧)

---

[1] . المصدر نفسه ، ص١١٥ . وانظر شواهد أخرى : ص٨٩، ص١١٧، ص١٢٨، ص٢٢٩ .
[2] . أسعف به : إذا دنا منه .
[3] . ابن رباح ، نصيب ، شعره ، ص ١٢٩ .
[4] . جرير ، ديوانه ، ٢ : ١٠٢٠ . وانظر شواهد أخرى : ١ : ١٣٧ ، ٢ : ٧١٩ .
[5] . الفرزدق ، ديوانه ، ٢ : ٢٠٦ .
[6] . المصدر نفسه ، ١: ٩٣ . وانظر شواهد أخرى : ١ : ١٣١ ، ١ : ٤٠٩ .
[7] . اللؤمان : اللئيم طبعاً .

أرى كلَّ حَيٍّ ميّتاً ، فمُوَدِّعـــاً وإنْ عاشَ دهْراً لمْ تَنُبْهُ النّوائِـــبُ

وتتبدى حتمية الموت وحقيقة الفناء في قول كثيّر عزة [1] :

فما لامْرئٍ حيٍّ وإنْ طالَ عُمــرُهُ ولا للجبالِ الرّاسياتِ خلـــــودُ

والخلود مستحيل ، فالأحياء ماضون لغاياتهم من الفناء ، والموت كأس يشرب منه الجميع شاءوا أم أبوا ، فهذا قدرهم الذي لا يملكون الفرار منه ، هكذا يرى كثير عزة ، إذ يقول [2] :

فلا تبعدْ فكلُّ فَتَىً سيأتـــــي عليهِ الموتُ يطرُقُ أو يُغــــادي

وكُلُّ ذخيرةٍ لا بُدَّ يوْمـــــاً ولو بَقِيَتْ تصيرُ إلى النَّفــــادِ

وقد آمن البطل الأموي أنه لا أحد في الحياة يسلم من قبضة الموت ، وإن كان قوياً شديد البأس ، أو ذا نسب عزيز وشرف تليد ، يقول القطامي [3] :

نرجو البقاءَ وما مِن أمّةٍ خُلِقــتْ إلاّ سيُهْلِكُها ما أهلَكَ الأممـــــا

أما سمِعْتَ بأنَّ الريحَ مرْسَلَـــةٌ في الدهرِ كانتْ هلاكَ الحيِّ مِن إرَمــا

ويسفر الحوار بين عبد الله بن الزبير الأسدي وعاذلته التي تخوفه من الموت كي يكف عن الغزو والقتال ، أن أجابها بيقينه التام أن الحذر وعدم الخروج إلى الغزو والاستكانة والجبن لن يحولوا دون موته إن حان أجله [4] :

دعيني ما للموتِ عنّيَ دافِـــعٌ ولا للذي ولّى من العيْشِ مَطْلَـــبُ

ولا يثق قيس بن ذريح بدوام حال السرور ، ويؤكد أن الفراق سنة هذه الحياة وطبيعتها ، فهي ليست بدار القرار والخلود [5] :

وقد عِشْنا نلذُّ العيْشَ حيْنـــاً لو أنَّ الدهرَ للإنســــــان راع

ولكنّ الجميعَ إلى افتـــــراقِ وأسبابُ الحُتوفِ لهــــا دواع

---

[1] . كثير عزة ، ديوانه ، ص١٩٧ .

[2] . المصدر نفسه ، ص ٢٢٢ .

[3] . القطامي ، ديوانه ، ص١٠٠. وانظر شواهد أخرى : ص١١١ .

[4] . الأسدي ، عبد الله بن الزبير ، شعره ، ص ٥٠ .

[5] . ابن ذريح ، قيس ، ديوان قيس ولبنى ، ص١١٧ – ص١١٨ .

لقد شاعت فكرة الموت في الشعر الأموي بصورة كبيرة ، وترددت في قصائده ولدى أغلب شعرائه على مدار العصر الأموي كله ، مما يعكس وعي الإنسان الأموي بتلك الحقيقة ، فهي حقيقة كونية تلحُ على تفكيره دوماً ، وإن إيمانه بها يدفعه إلى حُسْنِ الصنيع وحَسَنِ الخلُق ، يقول قيس بن الملوح [١] :

دعوني بهمِّي وانْهَدوا في كَـلاءَةٍ … من اللهِ أيْقَنْتُ أنْ لَسْتُ باقِيـــا

والمنية تدور على كل شيء ، كما يثبت ذلك قول المتوكل الليثي [٢] :

هلِ المنيّةُ إلا طالبٌ ظفـــراً … وحوضُها منهلٌ لا بدَّ مــــورودُ

لقد مثَّلَ الموت للبطل فناءً لذاته وإمكانية تميزها وتفردها ، ولذلك أقبل على الأعمال البطولية انتصاراً منه على هذا الفناء ، وإثباتاً لذاته بعد الموت ، وإبقاءً لذكره وصيته بعد انتهاء حياته ، فالبطل لم يخف من الموت ، بل خاف من فناء نفسه دون أن تحرز شرف البطولة وعزتها ، أي أنه خاف من انتهاء سيرته ومجده البطولي ، ولذا توجه البطل الأموي لحشد كم وقدر أكبر من البطولات في شخصه ، ليتجاوز بها يقينه بحقيقة موته ، ويتضح هذا المعنى في قول عروة بن أدية [٣] :

لَعَمرُكَ ما بالموتِ عارٌ على الفتى … إذا ما الفتى لاقى الحِمامَ كريمـــا

ولكنَّما ضُرُّ الحياةِ وعارُهـــا … أحالَ عليهِ أن يموتَ ذميمـــا

ومسكينٌ الدارمي متأكدٌ أن الفناء الذي كتب على الأحياء سيأتي عليه ولا بد ، فيقول [٤] :

ولستُ بأحْيا من رجالٍ رأيْتُهُـــمْ … لكلِّ امرئٍ يوماً حِمامٌ ومصْـــرعُ

والبشر كأنهم يسيرون إلى الموت الذي هو قدرهم ، يقبلون عليه ولا يستطيعون الفرار منه ، يقول ابن ميّادة [٥] :

وأرانا كالزّرع يحصدهُ الدهـــ … ـرُ فمِن بين قائمٍ وحَصيـــدِ

وكأنّا للموتِ ركْبٌ مُخِبُّــو … نَ سِراعٌ لمَنْهَلٍ مـــورودِ [٦]

---

١ . ابن الملوح ، قيس ، ديوانه ، ص٣٠٢ . وانظر شواهد أخرى : ص٤١ .
٢ . الليثي ، المتوكل ، شعره ، ص٢١٢ .
٣ . عباس ، شعر الخوارج ، ص ١٢ .
٤ . مسكين الدارمي ، ديوانه ، ص ٤٨ .
٥ . ابن ميادة ، شعره ، ص ٤٤ .
٦ . مخبون : جمع مخب ، وهو المسرع .

واستيقن ذو الرمة من حكم الفناء ، فقال [١] :

فايْقَنَ قلبي أنني تابعٌ أبـــــي　　　وغائِلَتي غوْلُ القرونِ الأوائـــــلِ

ومثل ذلك اليقين تملك قلب النابغة الشيباني وعقله ، فقال [٢] :

وكلُّ امرئٍ إنْ صحّ أو طالَ عمْـرُهُ　　　إلى ميتةٍ لا بدَّ سوفَ يصيـــــرُ

يؤمِّلُ في الأيامِ ما ليسَ مُدْرَكــاً　　　وليْسَ لهُ من أن يُنال خَفيـــــرُ

ويسقط سابق البربري حكم الفناء على كل البشر ، فلا مخلوق ينجو منه [٣] :

إلى الفناءِ وإنْ طالَتْ سلامَتُهُـــمْ　　　مصيرُ كلِّ بني أنْثى وإنْ كَثُـــروا

ويزيد بن الطُّثرية لا بد مسوقٌ للموت حينما يأتي أجله [٤] :

ألَيْسَ حِمامي لا محالَةَ أنّـــهُ　　　إذا جاء ساقتْني إليْهِ حَوالِبُـــــهُ

ويصوره أيضاً عمران بن حطان ، الذي لا يقبل سفه الأمور ودنيَّها ، ولا يرتضي لنفسه وهو مقرٌّ بحتمية الموت إلا الأعمال البطولية التي يحوز بها المجد والرفعة [٥] :

يا جمْرُ كيفَ يذوقُ الخَفْضَ معتَـرفٌ　　　بالموتِ ، والموتُ فيما بعده جَلَــلُ

كيفَ أُواسيكِ والأحداثُ مقْبلَـــةٌ　　　فيها لكلِّ امرئٍ عن غيرهِ شُغُـــلُ

وطالما أن النفس لا تقدم ولا تؤخر في أجلها ، فلا مسوغ لجبنها وخشيتها من شدائد الأمور وعظائمها ، ولا مبرر لجزعها من خوض معترك الأحداث الجسام ، فجبنها يجلب لها الخزي والعار بعد انقضاء أجلها المحتوم ، يقول قطري بن الفجاءة [٦] :

وأدعو الكُماةَ للنِّزالِ إذا القنـــا　　　تحطّمَ فيما بيننا مِن طِعانِيـــــا

ولسْتُ أرى نفْساً تموتُ وإنْ دَنَـتْ　　　من الموتِ ، حتى يبعَثَ اللهُ داعيـــا

إذا استَلَبَ الخوفُ الرِّجالَ قلوبَهُمْ　　　حَبَسْنا على الموتِ النُّفوسَ الغوالِيــا

---

[1] . ذو الرمة ، غيلان بن عقبة العدوي (ت ١٧٧هـ)، ديوان ذي الرمة ، (تحقيق عبد القدوس أبو صالح) ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ٢ : ١٣٥٣ . وانظر شواهد أخرى : ٢: ٦٩٥ ، ٢ : ١٣٢١ .
[2] . الشيباني ، النابغة ، ديوانه ، ص٣٠ .
[3] . البربري ، سابق ، شعره ، ص ١٠١ .
[4] . ابن الطثرية ، يزيد ، شعره ، ص ٢٣ .
[5] . عباس ، شعر الخوارج ، ص ٢٨ .
[6] . المصدر نفسه ، ص ٤٤ .

حذارَ الأحاديثِ التي لومُ غيّهـــاِ عَقدْنَ بأعناق الرّجالِ المَخازيـــــا

لقد اقتنع البطل الأموي اقتناعاً لا يخالطه شك بحتمية الموت ، إلا أن هذا الاقتناع لم يُسْلِمْهُ إلى التشاؤم والتخاذل ، بل جدَّ واجتهدَ ليرقى سلم المجد ويصل إلى ذرى العلى ، فكان لإيمان البطل الأموي بحتمية الموت أثر كبير في حياته ، حيث دفعه للبطولة الحربية ، إذ أدرك أن استقبال الموت " برباطة جأش لخير من استدباره ، بل إن خوض غماره ليمد له أسباب الحياة ، إذ يتدرب المقدام على الطعان حتى إذا جاءت لحظة النزال حمى نفسه ، أما الجبان فيموت رعباً قبل أن يموت طعناً بالسنان " [١] ، لذلك أقدم البطل الأموي على المعارك بكل شجاعة وبسالة غير آبهٍ بما يلقاه وليس خائفاً ولا جزعاً من ملاقاة العدو ، لأنه أدرك حقيقة الموت وحتميته ، ففضل أن يموت بشرف وعز خيراً من أن يموت بذل واستكانة .

وأقبل البطل على البطولات الأخرى ببذله المال في سبيل الخير ، وبإبائه وعزّة نفسه وعفتها ، وترفعها عن الدنايا والرذائل ، وبصفحه عن المسيء ، وبصبره وتجلده في أوقات الشدة ، وبوفائه بعهوده ، وإنفاذه لمواثيقه ، وحفظه لعلاقاته ، وبدفعه الظلم وإنصافه للمظلوم ، وبحمايته للجار وذوده عن الذمار ، وقد فعل كل ذلك ليفوز بالخلود المعنوي ، بعد أن تيقن من حتمية موته واستحالة خلوده الجسدي ، ولأن " الرجل العظيم لا يزال بعد موته ينبوع نور يتدفق بالحكمة ، ومعاني الرجولة والشرف الكبير ، وهو الذي في شعاعه أُنْسُ الأرواح ، وروح النفوس ، ومتعة الخواطر " [٢] ، ولذا حرص البطل الأموي أشد الحرص على تلك القيم والمآثر البطولية لكي يخلد ذكره بعد موته .

[1] . ضيف ، البطولة في الشعر العربي ، ص ١٧ .
[2] . كارليل ، الأبطال وعبادة الأبطال ، ص ١٥ .

الفصل الثالث

" أدوات البطولة في الشعر الأموي "

وَتَناجَزَ الأبطالُ حولَ لوائِـــهِ **بالمَشْرَفيَّةِ في الأكُفِّ نِضـــالا**

سراقة البارقي

وَتَعْرِفُ بالأبطالِ وقعَ سيوفِهِــمْ **وآثارُها مِن مُنْدِباتٍ ومِن خَـــدْبِ**

الفرزدق

أعْدَدْتُ للحَرْبِ أقراناً وهمْ حَسَبٌ **السّيفُ والخيلُ والخنذيذُ والبَطَـــلُ**

النابغة الشيباني

مغاويرُ أبطالٌ مساعيرُ في الوغى **إذا الخيلُ لم تثبُتْ وفرَّ أريبهـــا**

قدورُهُمْ تَغْلي أمامَ فنائِهِـــمْ **إذا ما الثُّريا غابَ عصْراً رقيبُهـــا**

الكميت بن زيد الأسدي

أدوات البطولة في الشعر الأموي :

تعددت الأدوات والوسائل التي أسهمت في إظهار بطولة الأبطال الأمويين ، والتي استعانوا بها للوصول إلى غايتهم ومبتغاهم ، وأدوات البطولة نوعان : معنوية ومادية ، أما المعنوية فسبق الإشارة إليها وهي : الشجاعة ، والإقدام ، والجرأة ، وعزّة النفس وترفعها عن الدنايا ، والسيطرة على شهواتها وملذاتها .

وأما المادية ، فقد تعددت وتشابهت ، وكثر تصويرها في الشعر الأموي ، وهي : السيف ، والرمح ، والدرع ، والخيل ، وغيرها من أدوات الحرب ، والجفان والقدور ، وإيقاد النار ، واستنباح الكلاب ، وهي من أدوات البطولة في السلم .

وقد أجاد البطل ـ بما أوتي من بطولة ـ استخدام هذه الأدوات ، واستعان بها لتسجيل مفاخره ، والمحافظة على حياته ، والاعتناء بها .

كما ظهرت بعض الأدوات التي دللت على بطولة البطل الكريم ، وكانت بمثابة أسلحة أعلن من خلالها عن بطولته ، مثل الجفان والقدور ، والنار ، والكلاب ، وغيرها من الأدوات .

وقد كانت العلاقة بين البطل الأموي وسلاحه عميقة ، إذ كانت لها قيمة كبرى في حياته ، فالسلاح عند العربي " رمز تنطوي تحته كثير من المعاني ، فرفعه فوق الرأس من أسمى آيات الاحترام ، وتحطيمه يعني الضّعة والذلة ، وتسليمه يعني الخضوع والمسكنة " [١]، وظلت هذه المعاني حية في سلوكه البطولي ، اعتز بها وتمسك بكل قيمة من قيمها ، ولذا كان من الطبيعي أن يكون السلاح عنصراً أساسياً من عناصر البطولة ، والاهتمام به يعكس اهتماماً بالبطولة ذاتها ، وعزيمة لتحقيق مطامحها المشروعة وأهدافها التي لا يمكن أن تتحقق بمعزل عن أدواتها التي يستخدمها البطل في الدفاع عن الحق ، والذود عن الحمى ، والوقوف بوجه البغي والعدوان ، ودفع الأذى ، كل ذلك حمل البطل الأموي على أن يظل محافظاً على سلاحه ، يوليه اهتماماً شديدة ، ويعتني بأدق تفاصيله .

السَّيف :

يعد السيف من أقدم الأسلحة ، وأهم الأدوات التي ارتبطت بالبطولة ، وقد تفنن الأبطال الأمويون في ذكر السيف ، وتكرر الحديث عنه ، وتعددت أسماؤه ، وتنوعت صوره ، واختلفت تشبيهاته ، وبرز السيف بوصفه أداة رسخت البطولة الحربية ، التي صان بها البطل شرفه ، وذاد عن حماه ، ودافع عن أرضه ، ودفع الظلم والأذى عن نفسه وأهله ، ونال بها المجد والعزة ، فالسيف " أشرف أسلحة العرب وأفضلها عندهم ، حتى امتلأت بذكره أشعارهم وأخبارهم ، وأطلقوا عليه أسماءً وأوصافاً جاوز عددها المائة اسم ، مما يدل على اعتزازهم بهذا السلاح ، الذي يعتبرونه عنوان البطولة والفروسية " [٢] .

وقد أجاد البطل الأموي استخدام السيف في القتال والمبارزات ، وكان السيف عدته لمجابهة الخصوم ، يقول جرير مفتخراً ببراعة أبطال قومه في استخدام السيوف وإجادتهم القتال بها[٣] :

---

[1] . القيسي، نوري حمودي (١٩٨٦)، شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري ، ط١، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ص٧٣ .
[2] . الجنابي، خالد جاسم (١٩٨٤)، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي ، دار الحرية ، بغداد، ص١٤٤ .
[3] . جرير ، ديوانه ، ٢ : ٧٦٦ .

وَحَيٌّ محاربَ الأبْطالُ قِدْمــــاً أولُو بأسٍ وأحلامٍ رِغـــــابِ

خُطاهُمُ بالسّيوفِ إلى الأعـــادي بوَصْلِ سيوفِهِمْ يوْمَ الضِّـــرابِ

والسيف أداة البطل في ساحات القتال ، به يدافع عن نفسه ، ويصون عرضه وشرفه ، وفي ذلك يفخر جرير قائلاً [١] :

تَلْقى السّيوفَ بأيْدينا يُعَادُ بهـــا عندَ الوَغى حينَ لا تَخْفى الخلاخيلُ [٢]

فَمَنْ يَرُمْ مَجْدَنا العاديَّ ثمّ يَقِــسْ قوْماً بقوْمي يَرْجِعْ وهوَ مَفْضــولُ

وقد استغنى البطل الأموي بأسلحته ـ والسيف منها ـ عن الأحلاف والأصحاب ، واعتز بسيفه ، فهو حليفه وسنده ، وقتاله به دليل بطولته وشجاعته ، يقول الفرزدق [٣] :

ولا نُحالِفُ إلا اللهَ من أحَــــدٍ غير السيوفِ ، إذا ما اغْرَوْرَقَ النَّظَـرُ

وَمَنْ يَمِلْ يُمِلِ المأثورُ ذِرْوَتَــهُ حيثُ التقى من حَفافي رأسِهِ الشّعَـرُ

أما العدوُّ فإنّا لا نلينُ لَهُــــمْ حتى يَلينَ لِضِرْس الماضِغِ الحَجَــرُ

بالسيف يبني البطل مجده وعزته ، ويضمن تفوّقه وتفرّده ، وهذا ما يراه الفرزدق إذ يقول [٤] :

لَعَمْري ! لقدْ سَلّتْ حنيْفَةُ سَلّــةً سُيوفاً أبَتْ يوْمَ الوَغى أنْ تَعَيَّــرَا

سيوفاً بها كانتْ حنيفةُ تَبْتَنِــي مكارمَ أيامٍ تُشيْبُ الحَــــزَوَّرا [٥]

إن السيف أداة البطل الهامة في مقارعة الأعداء ، به يضرب هاماتهم ، ويذل جباههم ، حتى يحوز النصر ، يقول القطامي [٦] :

ومَعْقِلُنا السيوف إذا أنَخْنَـــا وقد طارَ القنازعُ والشـــرارُ

بضَرْبٍ تُبْصِرُ العميانُ منـــهُ وتعشى دونَهُ الحَدَقُ البصـــارُ

واسحاقٌ أخونا قدْ عَلِمْتُـــمْ علينا من مواسمه النّجـــارُ

نهزُّ المشرفية ثم نعــــدوا وليسَ بنا عن الـــعادي ازورارُ

---

[١] . المصدر نفسه ، ٢ : ٧٥٧ . وانظر شواهد أخرى : ١ : ٨٠ ، ٢ : ٩٧٢ .
[٢] . حين لا تخفى الخلاخيل : أي حينما تشمّر النساء ثيابها للهرب ، فتبين خلاخيلها .
[٣] . الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ٢٠٠ .
[٤] . الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ٢٢٦ .
[٥] . الحزوّر : الغلام القوي .
[٦] . القطامي ، ديوانه ، ص١٤٩ . وانظر شواهد أخرى : ص١٢٨، ص١٣٠، ص١٣١، ص١٧٦ ـ ص١٧٧ .

وتتبدى براعة استخدام البطل الأموي للسيف ، في فخر الراعي النميري بأبطال قومه ، الذين يستلون سيوفهم ولا يغمدونها إلا إذا نالت من رقاب الأعداء ، فالسيوف حليفتهم ، تنام بجوارهم ، وفي هذا تقرير لعمق العلاقة بين البطل وسلاحه الذي يرسم به صور بطولته [١] :

يُمْسي ضَجيعَ خريدةٍ ومُضاجِعي — عَضْبٌ رقيقُ الشَّفْرَتين حُســـامُ

والحربُ حِرْفَتُنا وبئست حرفـــة — إلا لمن هو في الوغى مقـــدامُ

نعرّي السيوفَ فلا تزالُ عرّيـــة — حتى تكون جفونَهُنَّ الهَـــامُ

والموتُ يسْبقُنا إلى أعدائنـــا — تهفو به الرّاياتُ والأعـــلامُ

إن البطل الأموي تمَرَّسَ الحرب واعتاد استخدام السيف ، فهو أداته للنصر ، وسبيله للرفعة والمجد ، فهذا الراعي النميري يصف وقع سيوفهم في الأعداء ، فهي كالشهب سرعة ومضاء ، تفتك بهم وتقضي عليهم [٢] :

قتَلْناكُمْ ببَلْدَةِ كـــلِّ أرْضٍ — وَكُنّا في الحروبِ مُجَرَّبينـــا

بأسيافٍ لنا متوارثـــاتٍ — كَشُهُبانٍ بأيدي مصلِتينـــا

والسيف من أشهر الأسلحة التي يتكرر ورودها في الشعر الأموي ، وهذا طبيعي لأن السيف " لم يقترن بأمة كاقترانه بأمة العرب ، لأنها عرفت بالشجاعة والبطولة ، حتى استحقت لقب أمة السيف ، فالعرب أكثر الأمم حفاوة بالسيف وعراقة في صنعه واستخدامه "[٣] ، وبذلك غدا السيف أداتهم الرئيسية لتحقيق بطولاتهم الحربية ، التي يسجلون بها مفاخرهم وانتصاراتهم ، يقول الأخطل [٤] :

لَبِسْنا لهُ البيضَ الثِّقالَ ، وفوقها — سيوفُ المنايا ، والمُثَقَّفَةُ السُّمْـرُ [٥]

وأمْسَكَ أرْسانَ الجيادِ أكُفُّنـــا — ولم تُلْهِنا عنها الحِجالُ ، بها العُفْـرُ [٦]

ويقرر كعب الأشقري أن قومه يتخذون سيوفهم وسيلة لكسب المجد ، فأبطال قومه يقارعون الأعداء ويستبسلون في ساحات الوغى ، ويبرعون في القتال بسيوفهم التي يثبتون بها بطولتهم وتميزهم [٧] :

والأزدُ قومي خيارُ القوم قد علموا — إذا قرومُهُم يوم الوغى خَطَـــروا

---

1. الراعي النميري ، شعره ، ص ٢٤١ .
2. المصدر نفسه ، ص ١٥٥ .
3. السامرائي، عبد الجبار محمود (١٩٨٥)، تقنية السلاح عند العرب ، مجلة المورد، المجلد الرابع عشر، العدد(٤)، بغداد، ص٦ .
4. الأخطل ، ديوانه ، ص ٢١٩ .
5. البيض : الدروع .
6. الحجال : هي موضع كالقبة يتخذ للعروس . العفر : الظباء البيض تضرب إلى السمرة .
7. الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣ : ٦٠٣ .

في كلِّ يومٍ تُلاقي الأزدَ مَفْظَعَـــةً يشيبُ في ساعةٍ من هولِـها الشّعَــرُ
حيٌّ بأسيافِهم يبغونَ مجدهـــم إنَّ المكارمَ في المكروهِ تُبْتَـــــدَرُ

وبالسيف يُحْمى الحِمى ، وتصان الأعراض ، ويدفع به البطل الضيم والظلم ، يقول أعشى ربيعة [١]:

ولو غير حجاج أراد ظلامتـــي حَمَتْني من الضّيمِ السيوفُ الفواتِــكُ
وفتيان صدقٍ من ربيعة نصــرةٍ إذا اختلفت يوم اللقاء النّيـــازِكُ
يحامونَ عن أحسابِهِمْ بسيوفهــم وأرماحِهِم واليوم أسودُ حالِــــكُ

وإذا كان السيف مصدر قوة ورعب ، فإن هذه القوة وهذا الرعب ليس مصدرهما السيف بحد ذاته ، ولكن البطل هو مصدرهما ، فيكفي أن يمسك بمقبض السيف حتى يخيف الأعداء ويصيبهم بالهلع ، حتى كأن قلوبهم تكاد تطير من صدورهم .

ويستعرض كعب الأشقري أسلحة القتال ، مثل السيوف والرماح والخيل وأسلحة أخرى ، مبيناً أثر السيف في ساحات القتال ، ودليل ذلك تكراره لذكره في قوله [٢] :

وباد كلُّ سلاحٍ يُستعانُ بــــهِ في حومة الموت إلا الصّارمُ الذَّكَـــرُ
نَدوسُهُمْ بعناجيج مُجَفَّفَـــــةٍ وبيننا ثُمَّ من صُمِّ القنا كِسَــــــرُ
ما زال منّا رجال ثَمَّ نضربُهـــم بالمشرفيِّ ونارُ الحرب تسْتَعِـــرُ

وبمهارة القتال بالسيف يفخر البطل الأموي ، فبه تبرز بطولته ، ومن خلاله يتميز ويسود على غيره ، فهذا الوليد بن حنيفة المعروف بأبي حزابة ، يفخر بسيفه ، وجرأته على الأبطال ، ومنازلته الفرسان [٣] :

يُشرِّفُني سيفي وقلْبٌ مُجانِـــبٌ لكلِّ لئيمٍ باخلٍ ومُعَلْهَـــــج [٤]
وكَرِّي على الأبطالِ طِرْفاً كأنّـــهُ ظليمٌ ، وضرْبي فوقَ رأسِ المُدَجَّج [٥]
وقولي:إذا ما النّفسُ جاشَتْ وأجهَشَتْ مخافةَ يومٍ شَرُّهُ مُتَأجِّـــــجُ
عليك غمار الموتِ يا نفسُ إننـــي جريءٌ على دري الشجاع المُهَجْهَج [١]

---

[١] . الأصفهاني ، الأغاني ، ١٦ : ١٥٧.
[٢] . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣ : ٦٠٣ .
[٣] . الأصفهاني ، الاغاني ، ٢٢ : ٢٦٥ .
[٤] . المعلهج : الأحمق الغبي .
[٥] . الطرف : الكريم من الخيل .

كما أن مضاء السيف وقوته ، وحدّته ، ولمعانه ، هي صفات حرص البطل الأموي أن تتوافر في سيفه ، ليكون لها تاثيرها البارز في الخصم ، يقول عروة بن أذينة [٢] :

إذا فزعوا يوْماً لِرَدْعِ تَوَهَّسَتْ	جيادُهُمُ بالمُعْلِمينَ الخَلاجِمِ
صَبَحْناهُمُ حَرَّ الأسِنَّةِ بالقنا	ضُحَىً ثم وقعُ المُرْهِفاتِ الصَّوارِمِ

إن السيف ملاذ الفارس إذا احتدم القتال ، وهو دليل على يقظة صاحبه واستعداده الدائم ، كما أن اهتمام البطل بسيفه ، ومواظبته على جليه وصقله ، دليل عنايته به ، ومحافظته عليه ، كي يكون عدته وذخيرته إذا وقعت الحرب ، يقول الجراح الحكمي في قتال الخزر [٣] :

لم يبْقَ إلا حَسَبي وديني	وصارمٌ ذو صَنْعَةٍ مسْنونُ

وقد عُدَّ السيف بمثابة صديق للبطل ، لا يخونه ولا يغدر به ، يسعده ويقف بجانبه وقت شدته ، وهذه الصفات جسّدت حالة التعاطف والمؤانسة بين البطل وسيفه ، فهذا يزيد بن حبناء يجعل السيف رفيقه الدائم ، وصديقه الذي يؤازره وينتصر به [٤] :

أبيتُ وسِرْبالي دِلاصٌ حصينَةٌ	وَمَغْفِرُها والسّيْفُ فوقَ الحَيازِمِ [٥]

وهكذا كان السيف أداة من أدوات البطولة الحربية ، حتى غدا صنواً للبطل ، يهيّئ له أسباب التفوق ، وتحقيق الغلبة ، بوصفه العنصر الفعّال الذي تترتب عليه نتائج المعارك والحروب ، ولم يكن السيف أقل أهمية وأدنى منزلة خارج ساحات القتال ، فقد ارتبط بشخصية البطل الأموي ، فاكتسب به هيبة الناس له ، وخشيتهم منه ، ورأى البطل الأموي في السيف القوة الضاربة في الدفاع عن حرمات القبيلة ، وصون أمجادها ، وبلوغ أحلامها .

---

1 . المهجهج : الدّاهية .
2 . ابن أذينة ، عروة ، شعره ، ص ٢٥٠ .
3 . الكوفي ، ابن أعثم ، كتاب الفتوح ، ٨ : ٤١ .
4 . عباس ، شعر الخوارج ، ص ٣٧ .
5 . الحيازم : جمع حيزوم ، وهو الصدر .

الـرّمــح :

لقد احتلت الرماح منزلة هامة في حياة البطل الأموي ، وشكلت أداة رئيسية من أدواته التي يستعملها لإبراز شجاعته ، وتفننه في ضروب القتال ، وقد جاء شعراء العصر الأموي على ذكر للرمح أو بعض أجزائه ، مثل القنا وهي قائم الرمح ، والسّنان وهو الجزء الذي يركّب في نهاية القنا للطعن [١] . وقد استخدم الوليد بن يزيد الرمح في القتال ، وأثبت به بطولته الحربية عندما تضرّجت رماحه بدماء الخصوم [٢] :

رماني ثلاثاً ثمَّ إنّي رَمَيْتُـــــهُ فَرَوَّيْتُ منهُ صَعْدَتِي وسَنانِيــــا [٣]

ويقال عن الرمح إنه عسّال وعاسل وعسول لدن ، إذا كان شديد الاهتزاز والاضطراب في يد حامله ، والذي يهتز ويضطرب من أجزاء الرمح القنا لمرونتها وليونتها ، وقد أطلقت الصفات وأريد بها الرمح ، فهذا الفرزدق يصف رماح آل المهلب ومتانتها في القتال ، وأنها تضطرب اضطراب الذئاب في مشيتها ، وتهتز اهتزاز الحبال المدلاّة في الآبار ، فإذا طعنوا بها عدوّهم فإنّها تخترق دروعهم ، وتنفذ إلى أجسامهم [٤] :

وَعَواسِلٍ عَسْلَ الذّئابِ كأنّهـــا أشْطانُ بائنةٌ من الآبـــــار [١]

---

1. انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ثقف) ، مادة (سنن) .
2. الوليد بن يزيد ، ديوانه ، ص ١٣٦ .
3. الصعدة : القناة المستوية ، تنبت كذلك ولا تحتاج إلى تثقيف .
4. الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ٣٠٦ .

يَقْصِمْنَ إذْ طعَنوا بها أقرانَهُــمْ   حَلَقَ الدَّروعِ وهُنَّ غيرُ قصـــارِ [٢]

ويقول القطامي في طبيعة حركة الرماح الجيدة [٣] :

والرّمحُ يهْتَزُّ اهتزازَ المُحْجِــمِ   من بعد ما اختلَّ السِّنانُ مِعْصَمَـــي

إن الرمح أداة من أدوات البطل لتحقيق المجد والرفعة له ولقومه ، فبه يثبت بطولته ، وبإجادته القتال به يكسب الحمد والذكر الحسن ، يقول الفرزدق في أسدٍ القسري [٤] :

وأنتَ امروٌ يَبْتاعُ بالسّيْفِ ما غَـلا   وبالرّمح لمّا أكْسَدَ الطّعنَ تاجِـــرُهْ

مكارمَ يُغْليها الطّعانُ إذا الْتَقَــتْ   عَوَالٍ من الخَطّيِّ ، صُمٌّ مَكاسِـــرُهْ [٥]

أما مدحه لبني ضبة فيؤكد فيه أن استخدامهم للرماح يجلب لهم المال الوفير ، كما يكسبهم المجد ورهبة الناس لهم [٦] :

يَهُزُّونَ أرْماحاً طِوالاً مُتُونُهـــا   بهنَّ الغِنى يومَ الوقيعَةِ والفَقْـــرُ

وأوْثَقُ مالٍ عندَ ضَبَّة بالغِنـــى   إذا احْتَرَبَ الناسُ ، الإباحَةُ والقسْــرُ

وكانت إذا لاقتْ رئيْساً رماحُهُــمْ   عليهنَّ أن يَبْعَجْنَ سُرَّتَهُ نَـــــذْرُ

وبالرمح يدافع البطل عن الحمى ، ويصون الذمار والأعراض ، ويدفع المحن والشدائد ، فيهابه الآخرون ويخشون غضبته ، وكذلك كان ابن مالك [٧] ، حيث مدحه جرير بقوله [٨] :

لقدْ عَلِمُوا أنّ الكتيبة كَبْشُهَـــا   بحَجْرٍ إذا لاقى الكمِيُّ ابنُ مالـــكِ

هو الذّائِدُ الحامي الحقيقة بالقنـا   وفي المَحْلِ زادُ المُرْمِلينَ الصَّعالِـــكِ

مَشى وَعَصا بالسّيْفِ والليلُ مُظْلِمٌ   إلى بَطَلٍ قد هابَهُ كُلُّ فاتِـــكِ [٩]

ويعد الرمح وسيلة البطل في خوض غمار الحروب ، فلا يخاف ولا يجبن ، فهو المقدام الشجاع الذي يمتلك هذه الأداة القتالية الهامة ويجيد استخدامها وتوجيهها ، يقول الراعي النميري [١] :

---

1 . الأشطان : جمع شطن ، وهو الحبل .
2 . أقران : جمع قرن ، وهو المثيل في الشجاعة والشدة .
3 . القطامي ، ديوانه ، ص ١٢٢ .
4 . الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ٢٧٦ .
5 . الخطي : نسبة إلى الخط ، وهو مرفأ بالبحرين تنسب إليه الرماح ، فيقال : رمح خطي .
6 . الفرزدق ،ديوانه ، ١ : ٢٥٤ ـ ٢٥٥ . وانظر شواهد أخرى : ج١ ، ص٣٢١ ، ص٣٢٣ ، ص٣٧٨ ، ص٣٩٦، ص٤١٠ ، ص٤١٢ .
7 . هو رجل من بني عدي بن عبد مناة (انظر : الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ٢٥٤) .
8 . جرير ، ديوانه ، ١ : ٤٥٤ .
9 . عصا بالسيف : ضرب به كما يضرب بالعصا ، وقيل : لزمه ، أي صيّر السيف كالعصا التي يتكئ عليها .

لنا جُبَبٌ وأرْماحٌ طِـــــوالٌ   بهنَّ نُخاطِرُ الحَرْبَ الشَّطُونَــــا (٢)

ويمدح كثيّر عزة تمرّس عبد العزيز بن مروان في استخدام الرمح ، وتفننه في القتال به ، فيقول(٣) :

لقدْ أبْرَزَتْ مِنْكَ الحوادِثُ للعِـدى   على رغْمِهِم ذرِّيَّ عَضْبٍ مُصَمِّــم (٤)
وذي قوْنَسٍ يوماً شَكَكْتَ لَبانَــهُ   بِذي حُمَةٍ في عامِلِ الرمح لَهْــذَمِ (٥)

لقد اعتاد البطل على حمل رمحه أينما ذهب ، كونه من مستلزمات الصيد وحماية الذات عنده ، كما حرص على اقتنائه من أفضل الأنواع ، وعني به ، واهتم بتثقيفه ، وصقله ، بوصفه أداة بطولته ، ومعلم قوته ، ولذا يفخر الأصم الضّبي بقوة صحبه ، ومهارتهم في استعمال الرماح ، حتى نالوا بذلك شرف البطولة ورفعتها (٦) :

وإنَّا لَخَوَّاضون للموتِ غَمْــرَةً   على كلِّ مَوَّارٍ رقاقٍ ملاطِمُـــــهْ
وإنَّا لَتُرْدي بالأكُفِّ رماحُنــــا   ويَبْني بها من كلِّ مجدٍ مكارِمُــــهْ
إذا ذعرت ذات الرّماح جرت لنــا   أيامِنُ بالطّيْرِ الكثيرِ غنائِمُــــهْ

ويتخذ أعشى همدان من الرماح وسيلة لإثبات بطولته الحربية ، فهو ماهر في القتال بها ، ويحسن تصويبها نحو الخصم ، ليصيب منه مقتلاً (٧) :

أطاعِنُ بالرّمح حتى اللَّبـــانُ   يجْري به العَلَقُ الأحْمَـــــرُ
وما كنتُ في الحَرْبِ إذْ شَمَّــرَتْ   كمَنْ لا يُذيبُ ولا يُخْثِـــــرُ
ولكنني كنتُ ذا مِــــرَّةٍ   عطوفاً إذا هَتَفَ المُحْجَـــــرُ
أجيبُ الصّريخَ إذا ما دَعـــا   وعِنْدَ الهياج أنا المِسْعَـــــرُ

إن البطل يُشْغَلُ عن ملذات الحياة ومتعها بما هو أهم من ذلك ، فهو يهتم بمعداته القتالية التي توصله إلى المجد ، وهكذا كان صحب يزيد بن حبناء ، فهم مسلحون بالرماح التي تفتك بالأعداء ، وتمزق أشلاءهم (٨) :

---

1. الراعي النميري ، شعره ، ص ١٥٢ .
2. الجبب : جمع جبة ، وهي من أسماء الدرع . الحرب الشطون : العسرة الشديدة .
3. كثير عزة ، ديوانه ، ص ٣٠١ .
4. ذريّ السيف : فرنده ، لأنه يشبه آثار الذر .
5. القونس : البيضة من السلاح ، يريد فارساً قد لبس الخوذة . اللبان : الصدر . عامل الرمح : صدره . اللهذم : القاطع .
6. عباس ، شعر الخوارج ، ص ٥٧ .
7. أعشى همدان ، ديوانه ، ص ١١٨ .
8. عباس ، شعر الخوارج ، ص٣٧ .

لقدْ كانَ في القومِ الذينَ لَقيتُهُـــمْ … بسابورَ شُغْلٌ عن بُزوزِ اللَّطائِـــمِ [1]

توقدُ في أيديهمُ زاعِبِيَّـــــةٌ … ومرْهَفَةٌ تَفْري شئونَ الجماجِـــمِ [2]

وبهذا فإن الرمح كان بمثابة أداة من أدوات البطولة ، استخدمها البطل الأموي، وبرع في القتال بها ، وحرص على اقتنائها ، واعتنى بتثقيفها ، وصقلها ، ليحقق بها ما يصبو إليه من شرف ومجد ، ويذود بها عن حماه ، ويطوي بها قامات الأبطال ، ويسقط هامات المقاتلين من أعدائه ، ويخترق به الدروع اللوامع ، فيضمن النصر والظفر .

الـدّرع :

تتعدد صفات الدروع التي ذكرها شعراء العصر الأموي ، فمنها السابغة ، وهي الفضفاضة التي تغطي البدن كله بأكمامها الطويلة ، وحاشيتها التي تصل إلى نصف الساق ، ويقال لها : المفاضة ، وهي تضارع السابغة في المعنى [3] . والبيضاء ، ويقال لها : الماذيّة ، وهي في اللسان ، المنسوجة من خالص الحديد [4] .

وتنسب الدروع أيضاً إلى صانعها ، وفي الشعر الأموي ذكر السليمانية منها ، وهي في المعنى ، المنسوبة إلى داود عليه السلام ، لأنه أول من صنع الدروع [5] .

لقد أدرك البطل الأموي أهمية الدرع ، لما كانت توفره من حماية لمعظم جسده ، ولقدرتها على شل فاعلية أسلحة الخصم ، وعدم تمكينها من أهدافها ، يقول النعمان الأنصاري [6]:

ليوثٌ إذا الحرْبُ العضوضُ تلقَّحَتْ … بذي مِرَّةِ الفتيانِ أو نَتَجَتْ سَقْبَـــا [7]

أهانوا لها ما دونَها وتَسَرْبلُـــوا … من الحَلَقِ الماذيِّ مُخْلَصَةَ شُهْبَـــا [8]

---

1 . البزوز : جمع بز ، أي الثياب والبضائع . اللطائم : جمع لطيمة ، وهي القافلة .

2 . زاعبية: رماح منسوبة إلى زاعب ، وهو إما رجل أو بلد ، والزاعبي من الرماح ، الذي إذا هُزَّ تدافعَ كُلُّه ، كأن آخره يجري في مقدمه.

3 . انظر : ابن سيدة ، أبو الحسن علي (ت ٤٥٨هـ)، المخصص ، طبعة بولاق ، مصر ، ١٣٢١هـ ، ٦ : ٧٠ .

4 . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (مذي) .

5 . انظر : ابن سلام ، أبو عبيد القاسم (ت٢٢٤هـ) ، كتاب السلاح ، ط٢، (تحقيق حاتم الضامن)، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د. ت) ، ص٢٩ .

6 . الأنصاري ، النعمان بن بشير ، شعره ، ص ٨٢ .

7 . الحرب العضوض : الشديدة المهلكة . تلقحت الحرب : إذا اشتدت ، تشبيهاً لها بالناقة اللاقح . السقب : الذكر من ولد الناقة .

8 . تسربلوا : لبسوا السربال ، وهو القميص . مخلصة : صافية . الشهب : البيضاء .

ولقد كان الدرع من الأدوات الضرورية التي يحرص البطل على ادخارها لوقت الحاجة ، وأجودها ما كانت عتيقة مجربة ، وقد امتدح الفرزدق نصر بن سيار وقومه بامتلاكهم الدروع والمغافر السليمانية [١] :

إذا ابنُ سيّارٍ دعا خِنْدَفَ التـــي لها من أعزِّ المشرقَيْنِ قســـاورُهْ [٢]

أتَتْهُ على الجُرْدِ الهذاليلِ فوْقَهـــا دروعُ سليمانَ لها ومغافِـــرُهْ [٣]

وكلما كانت الدروع مضاعفة النسيج كانت أجود وأفضل ، إلى حد أنها قد تردُّ النبال ، وتثني أسنة الرماح ، وتفلّ ظبات السيوف ، ولهذا افتخر بعض الشعراء في العصر الأموي بقوة دروعهم حتى أن الرمح القوي لا يلج فيها ، وأطلق الفرزدق لفظ " القتير " التي هي رؤوس المسامير في حلق الدروع ، فقال يمدح عبد الرحيم الكلبي [٤] :

وروميّةٍ فيها المنايا ضربْتَهـــا بشهباءَ يُعْشِي الناظرينَ قتيرُهـــا [٥]

وأكثر الدروع أماناً السابغة والمفاضة والبيضاء ، لأنها تقي البدن من ضربات السيوف وطعنات الرماح ، وجمع الفرزدق هذه الصفات في مدحه يزيد بن المهلب ، فوصف درعه بأنها واسعة طويلة ، تغطي البدن وتغشى الأنامل [٦] :

يحْمي المكارمَ بالسيوفِ إذا عــلا صوتُ الظُّباتِ يُطِرْنَ كلَّ شـــــرار

من كلِّ ذاتِ حبائكٍ ومُفاضـــــةٍ بيضاءَ سابغةٍ على الأظْفـــــار [٧]

وورد في الشعر الأموي ضرب من الدروع السابغة ، وهي التي لها أصوات خفيفة تخشخش على أبدان لابسيها ، ومن ذلك قول النابغة الشيباني في كتائب الوليد التي احتمى أبطالها بالدروع السابغة [٨] :

خافوا كتائبَ غُلْباً أن تُطيقَ بهــمْ للسابغاتِ على أبطالها جَـــرَسُ

[1] . الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ٢٨١ .
[2] . القساور : جمع قسور ، وهو الأسد ، وكل شديد .
[3] . المغافر : جمع مغفر ، وهو من توابع الدرع ، يلبس على الرأس تحت البيضة .
[4] . الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ٢٥٨ .
[5] . رومية : كتيبة رومية . الشهباء : الكتيبة العظيمة الكثيرة السلاح ، وأراد لمعان دروعها يعشي عيون الناظرين .
[6] . الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ٣٠٦ .
[7] . ذات الحبائك : البيضة ، والحبائك : طرائقها .
[8] . النابغة الشيباني ، ديوانه ، ص ٢٨ .

إن لبس البطل الدرع دليل على التأهب للقتال ، فهو حينئذٍ على أتم الاستعداد للحرب ، وجاهز لمقارعة خصمه وهو محتمٍ بدرعه ، كما أن ارتداءه للدرع يعزز من إقدامه وجرأته ، يقول الراعي النميري [١] :

لنا جُبَبٌ وأرْماحٌ طِـــوالٌ   بهنَّ نُخاطِرُ الحَرْبَ الشَّطونـــا

وقد اهتم البطل الأموي بأسلحته ، ومنها الدرع ، وحرص أن تكون مجوَّدة مجهّزة لوقت حاجتها ، ولذلك يقول أبو دهبل الجمحي في وصف أدوات البطولة الحربية [٢] :

رُمْحي رديني وسيفيَ المسْتَلَــبْ

وبيضتي قُوْنِسُها من الذهــب

وجوبها القاترُ من سيْر اليَلَــبْ [٣]

والقوس فِجاءَ لها نبــل ذربْ [٤]

مشحورة أحكم منهن القطــب [٥]

ليومِ هيجاء أعِدَّتْ للرَّهَـــبْ

ويصف المتوكل الليثي جودة الدروع التي لبسها الأبطال في ساحات الوغى ليحتموا بها [٦] :

فيهمْ فوارسُ لا ميْلٌ ولا كُشُــفٌ   عليهم زَغفٌ بالشَّكِّ مَسْـــرودُ [٧]

ويكتفي عطية بن سمرة الليثي من الأسلحة بالدرع والرمح ليصل لمبتغاه ، فيقضي على الظلمة والمجرمين [٨] :

وحَسْبي من الدُّنيا دِلاصٌ حصينــةٌ   ومِغفرُها يوْماً وصدْرُ قنـــاةِ [٩]

وأجْرَدُ محبوكُ السَّراةِ مقلّـــصٌ   شديدٌ أعاليهِ ، وعشْرُ شُـــراةِ [١٠]

فأبْلغَ منهُ حاجتي وبصيرتـــي   وأشْفيَ نفسي من ولاةِ طُغـــاةِ

---

1 . الراعي النميري ، شعره ، ص ١٥٢ .
2 . الجمحي ، أبو دهبل ، ديوانه ، ص ٤٨ .
3 . جوب قاتر : أي ترس حسن التقدير . اليلب : ما كان من جنن الجلود ولم يكن من الحديد ، واليلب في الأصل اسم لذلك الجلد .
4 . قوس فجاء : ارتفعت سيتها فبان وترها عن معجسها ، والمعجس : مقبض القوس .
5 . القطب : النصال .
6 . الليثي ، المتوكل ، شعره ، ص ٢٢٦ .
7 . ميل : جمع أميل ، وهو الذي لا سيف معه ، أو الذي لا يستوي على السرج . كشف : جمع أكشف ، وهو الذي لا ترس معه في الحرب . الزغف : الدروع اللينة الواسعة ، واحدها زغفة . مسرود : منسوج ، ودروع مسرودة : متداخلة الحلق بعضها في بعض ، والسرد : اسم جامع للدروع وسائر الحلق .
8 . عباس ، شعر الخوارج ، ص ٣٢ .
9 . دلاص حصينة : دروع لينة ملساء .
10 . السراة : الظهر .

وهذا ما يراه أيضاً عمرو القنا بن عميرة العنبري ، فهو في بطولته الحربية يرتدي الدرع اللينة ، فيحتمي بها من غدر الأعداء ، ويخوض النزال ، ويقارع الخصوم دون تردد أو جزع [١] :

فحسْبي من الدنيا دلاصٌ حصينـةٌ وأجرَدُ خَوَّارُ العنانِ نجيـــبُ [٢]

أجاهدُ أعدائي إذا ما تتابعـــوا وأدْعى بإسمي للهدى فأجيـــبُ

لقد كانت الدروع من الوسائل التي استعان بها البطل الأموي لتحقيق بطولته ، وإظهار تميزه وتفرده ، وقد أدرك الحاجة الحقيقية لها ، لما كانت تمده من حماية ، وتبث في نفسه من طمأنينة ، ولهذا أعجب البطل بالدرع ، وحرص أن تكون واسعة طويلة ، تغطي جسده ، ليتفادى الطعنات الموجهة إليه ، واهتم بلمعانها حتى تؤثر في نفس عدوه ، فهو يقوم على تعهّدها لئلا تفقد صفاءها ، فيعتريها الصدأ .

إن ارتداء البطل الأموي للدرع دفعه لدخول ساحة المعركة بقوة إرادة ، وعزم لا يلين ، لا يهاب الموت ، وقد ادّرع له درعاً ، وبذا رفعت الدرع من معنوياته ، وزادت في قوته وجرأته ، فتخطى حاجز الخوف إن وجد ، " فالدرع في نظر المسلم لتدافع الوجل ، ما تراخى الأجل " [٣]، وبذلك فإن الدرع بالنسبة للبطل آلة تنطوي تحتها معاني الحيطة والتوقي ، وقد وعى البطل الأموي أهميتها من خلال حروبه ومعاركه التي خاض غمارها ، فاهتم بها ، وحرص على جودتها ، لما تضطلع به من دور هام في حفظ حياته من المخاطر المحدقة به ، فالتوقي من الموت أمرٌ غريزي واقعي ، لا يغيب عن أشجع الشجعان ، وهذا هو التعقل والأخذ بالأسباب لدى البطل الأموي .

[1] . المصدر نفسه ، ص٣٨ - ص ٣٩ .
[2] . خوار العنان : لين العطف .
[3] . ابن هذيل الأندلسي ، علي بن عبد الرحمن الفزاري (ت ٧٦٣هـ) ، حلية الفرسان وشعار الشجعان ، (ط١) ، (تحقيق محمد عبد الغني حسن) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ٢٢٥ .

الـخَـيْـل :

إن الحديث عن الخيل وصفاتها ، وأصلها ، وسرعتها ، ولونها ، حديث طويل لم يختص به الشعر الأموي فحسب ، بل كان موضوعاً رئيسياً من موضوعات الشعر العربي ، إلا أن ضرورة الخيل للأبطال ملحة ، وحاجتهم إليها مهمة مثل أهمية غيرها من الأسلحة .

ولقد أثبتت الخيل مقدرتها في ميدان المعركة ، بما تحققه من تجاوب مع فارسها ، فهي تمضي معه دون كلل أو ملل ، فلا تفترّ لها عزيمة ، ولا يلين لها جانب ، فهي صلبة تقدم وتحجم ، يقول الوليد بن يزيد في فرسه السَّندي ، الذي جهزه لخوض السباق ، وأعدَّه لكل أمر شاق ، مثل الحرب [١] :

قد أغْتَدي بذي سَبيبٍ هَيْكَـــلِ　　　مُشَرَّبٍ مثلِ الغُرابِ أرْجَـــلِ [٢]

أعْدَدْتُهُ لحلباتِ الأحْـــوَلِ　　　وكُلِّ نَقْعِ ثائرٍ لجحْفَـــــلِ [٣]

وكـلِّ خَطْـبٍ ذي شـؤونٍ مُعْضِـــلِ [٤]

وقد فخر البطل الأموي بسرعة عدو خيله ، فهي المُقدِمة القوية ، غير هزيلة ولا ضعيفة ، ولذلك فهي أداة للبطل يضمن بها حسن الإغارة على العدو والفتك به ، يقول جرير [٥] :

أنّى لِقوْمِكَ مِثْلُ عَدْوَةِ خيْلِنـــا　　　بالشِّعْبِ يوْمَ مُجَزَّلِ الأمـــرارِ [٦]

---

[1] . الوليد بن يزيد ، ديوانه ، ص ١٠٤ .

[2] . السبيب من الفرس : شعر الذنب والعرف والناصية . الهيكل من الخيل : الكثيف العبل ، اللين ، وهو الطويل علواً وعدواً . المشرّب : الممزوج لونه بحمرة . الأرجل من الخيل : الذي في إحدى رجليه بياض .

[3] . الحلبات : جمع حلبة ، وهي خيل تجمع من كل أوب ، لا تخرج من موضع واحد ، ولكن من كل حي . الأحول : لقب هشام بن عبد الملك . النقع : الغبار . الجحفل : الجيش الكبير ، ولا يكون ذلك حتى يكون فيه خيل .

[4] . الخطب المعضل : الأمر الشديد العسير .

[5] . جرير ، ديوانه ، ص ٢٤٦ . (طبعة دار صادر) .

[6] . الشعب : اسم جبل . الأمرار : مكان نزلت به بكر بن وائل .

قومي الذين يزيدُ سمعي ذِكْرُهُــمْ   سَمْعاً ، وكان بضوئهمْ إبصـــاري

وكانت الخيل من أدوات البطل الأموي ووسائله لإثبات بطولته ، فهو يقارع الأعداء من فوق صهوة جواده ، فيكر ويفر ، ويوقع بهمً أشد الخسائر ، يقول جرير (١) :

أسْدٌ إذا لحقوا بالخيلِ لم يَقِفــوا   نِعْمَ الفوارسُ لا عُزْلٌ ولا مِيـــلُ

فينا وفي الخيلِ تَرْدِي في مَسَاحِلِهـا   يومَ الوغى ، لمنايا القومِ تعْجيـــلُ

الخيل تستجيب للبطل ، ويدرك بها ما يبتغيه ، ويحقق بامتطائه صهوتها ما تصبو إليه نفسه من شرف وبطولة ، يقول الفرزدق في مدحه لأسدٍ القسري (٢) :

وقد عَلِمَ الدَّاعيكَ أنْ ستُجيبُــهُ   بحاجِزَةٍ ، والنَّقْعُ أكْدَرَ ثائِــرُهْ (٣)

عَطَفْتَ عليهِ الخيلَ من خَلْفِ ظهْرِهِ   وقد جاءَ بالموتِ المُظِلِّ مقـــادِرُهْ

وللخيل دور مهم في بطولة البطل وبسالته ، فهي وسيلته للنيل من خصمه ، يكتسب بها قوة وجرأة يذل بهما جباه العدو ، وهذا ما فعلته خيل قوم الفرزدق (٤) :

وأيْقَنَ أنّ الخيلَ إنْ تلْتبسْ بــهِ   يَقِظْ عانياً أو جيفةً بينَ أنْسُــر (٥)

وما تركَتْ منكمْ رماحُ مجاشِــعِ   وفُرْسانُها إلا أكولَةَ مِنْســر (٦)

عَشِيَّةَ رَوَّحْنا عليكُمْ خَنَــاذِذَاً   من الخيلِ ، إذْ أنتم قعودٌ بقَرْقَــر (٧)

وقد تمرّسَ البطل الأموي ركوب الخيل ، وأحسن سياستها ، وعلّم ذلك لأبنائه وحفدته ، لأن اعتلاء صهوة الخيل من صفات الأبطال ، فبها يغيرون ويغنمون ، ومن فوقها يحاربون وينتصرون ، يقول الراعي النميري وقد ورث ترويض الخيل ، وجرّب ركوبها ، فكان له ذلك ولقومه موضع فخر واعتزاز (٨) :

هُمُ فَخَروا بخيلِهِمُ فقُلْنـــا   بغيرِ الخيلِ " تغْلِبُ " أوعِدينـــا

لنا آثارُهُنَّ على مَعَـــدٍّ   وخيرُ فوارسٍ للخير فينـــا

وعُلِّمْنا سياسَتَهُنَّ إنَّـــا   وَرَثْنا " آل أعْوجَ " عن أبينـــا (٩)

---

[1] . المصدر نفسه ، ٢ : ٧٥٦ . وانظر شواهد أخرى : ١ : ٣٢٩ ، ١ : ٣٨٢ ، ١ : ٢٦٢ ، ٢ : ٧٢٦ ، ٢ : ٩٨١ - ٩٨٢ .

[2] . الفرزدق ، ديوانه ، ص ٢٧٦ .

[3] . الحاجزة : التي تحجز الأمر ، تمنعه وتفصله .

[4] . المصدر نفسه ، ١ : ٣٧٨ . وانظر شواهد أخرى : ج ١ ، ص ٢٣٤، ص٢٣٦ ، ص٣٧٤ .

[5] . يقظ : من قاظ اليوم ، إذا اشتد حره . العاني : الذليل .

[6] . المنسر : القطعة من الخيل .

[7] . الخناذذ : جمع خنذيذ ، وهو الفحل الكريم من الخيل . القرقر : القاع المستوي من الأرض .

[8] . الراعي النميري ، شعره ، ص ١٥٤ - ص ١٥٥ .

[9] . الخيل الأعوجية منسوبة إلى فحل كان يقال له : أعوج ، وليس في العرب فحل أشهر ولا أكثر نسلاً منه .

مُقرَّبَةً إذا خَوَتِ الثُّريَّـــــا   جعلْنا رزْقَهُنَّ مع البَنينَـــــا [١]

ورسم الفرزدق صورتين لخيل عبد الرحيم الكلبي في قتال الروم ، أما الأولى فتظهرها مصدر رعب وفزع للعدو في الميدان ، فهي تصوّت مكشرة من الغيظ حتى تبدو أضراسها ، وأما الثانية فتظهر أثر الحرب فيها بعد انتهاء المعركة ، فهي تبدو مجرّحة الأعناق والصدور [٢] :

ويومَ تلاقتْ خيلُ بابلَ بالقنـــا   كتائب قد أبدى الضُّرُوسَ هريرُهـــا

فَتَحْتَ لهُمْ بالسّيْفِ والخيلُ تلتقـي   على الموتِ من كلِّ الفريقينِ زُورُها [٣]

ترى خيْلَهُ غِبَّ الوقيعةِ أصْبحـتْ   مُكَلَّمَةً أعناقُها ونُحُورُهـــا [٤]

إن صلابة الخيل وقوتها ، يؤكدان شجاعة فارسها ومصابرته في الميدان ، يقول القطامي[٥] :

فلولا الخيلُ من غاري كــلابٍ   وحيُّ بني الحُبابِ ومن أجـــارا [٦]

لما دُعِيَتْ غداةَ الروْعَ قيْـــسٌ   ولا كانتْ نِزارُهُمُ نِـــــزارا

ويؤكد في موضع آخر أن الخيل هي سبيلهم لنيل شرف البطولة ورفعتها ، فيقول [٧] :

وفي صالحاتِ الخيلِ إنَّ ظهورَهـا   مراكِبُنا في كلِّ يومٍ نُغـــــاوِرُهْ

تُكَثِّرُ بادينا على كلِّ من بــــدا   قديماً وأغنى مثْلَ ذلك حاصِــــرُهْ

وإن الخيل تحمل على ظهورها الفرسان الشجعان ، ويمتطيها الأبطال المميزون ، ليصلوا عبرها إلى أعلى درجات العزة والمجد ، يقول الأخطل [٨] :

والخيلُ تعْدو بالكُماةِ ، كأنّهـــا   أُسْدُ الغياطِلِ ، من فوارسِ تغْلِــبِ [٩]

والخيل تحتمل الطعان كما يحتمله فارسها ، ولا تفت في عضدها الأهوال والمحن ، فهي ثابتة كما هو ثبات بطلها ، فهذا الأصم الباهلي يصف خيل قتيبة بن مسلم بأنها اعتادت الغزو ومرسته

---

[1] . المقربة من الخيل : التي تدنى وتقرب وتكرم ولا تترك ، والخيل المقربة : التي تكون قريبة معدّة ، والمقرّبات : التي ضمرت للركوب . الثريا : الكواكب ، سميت لغزارة نوئها . خوت النجوم : أمحلت ، وذلك إذا سقطت ولم تمطر في نوئها .

[2] . الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ٢٥٨ .

[3] . الزور : جمع أزور ، وهو الناظر بمؤخرة عينيه تغيّظاً .

[4] . غبّ : بعد . مكلّمة : مجرّحة .

[5] . القطامي ، ديوانه ، ص ١٣٥ .

[6] . الغاران : الجيشان . بنو الحُباب : حي من بني سليم .

[7] . المصدر نفسه ، ص ٩٥ .

[8] . الأخطل ، ديوانه ، ص ٩٢ .

[9] . الغياطل : جمع غيطل ، وهو الأجمة .

، ولم تعد تبالي باقتحام ميادين القتال ، أو تفزع منها ، لكثرة الوقائع التي خاضتها ، حتى أنها لو أرغمت على اقتحام النار المستطيرة لاقتحمتها ، ولتلقت وقع الرماح والأسنة بصدورها من غير اكتراث بها [١] :

مَرَنَّ على الغزو الجَرور وَوُقّـرَتْ   على النَّفْر حتى ما تهالُ من النَّفْــر

وحتى لو أنّ النارَ شَبَّتْ وأكْرهَـتْ   على النار خاضتْ في الوغى لهبَ الجمر

تُلاعِبُ أطرافَ الأسنَّةِ والقنـــا   بلبَّاتِها والموتُ في لُجَج خُضْـــر [٢]

وتعدو الخيل بسرعة ، وتنتقل بفارسها تنقلاً سريعاً ليقتنص هدفه ، ويكبّد خصمه خسارات كبيرة ، يقول يزيد بن حبناء [٣] :

ترى الخيلَ تردي بالتجافيف بينهم   بفرسانها ، مرَّ النسور القشاعِــم [٤]

ولمّا كانت الخيل محور المعركة ، فقد كانت كثرتها ضرورية ، لأنها ترهب الأعداء بعدوها ، وسرعتها ، وشدة بأسها ، وتلك هي صفات الخيل التي يتحدث عنها المتوكل الليثي ، فهي تحمل على ظهرها الأبطال الفرسان ، وتتدافع مسرعة من العجاج الكثيف مثل القطا [٥] :

عُوجٌ عناجيجٌ تُباري الوغــى   مِثْلُ المَغالي لحْمُها ذابـــلُ [٦]

يَخْرجنَ من أكْدَرَ مُعْصَوْصِــبٍ   مِرْدَ القطا يَحْفِزُها الوابـــلُ [٧]

بكُلِّ كهْلٍ وفتى نَجْــــدَةٍ   يَصُدُّ عنه البَطَلُ الباسِــــلُ

لقد مجّد العرب الخيل وأكرموها ، وعنوا بها عناية شديدة ، ورأوا أن الحذق في ركوبها ، وحسن استخدام السلاح وهم يغيرون بها من علامات البطولة ، وقد حقق الأبطال انتصاراتهم من فوق صهوات خيولهم ، وقد " كانت الخيل جنة الفرسان في حومة الوغى ، يعدون بها ويكرون ، وتحميهم من طعنات الرماح وحد الظبى "[٨] ، ولذلك قرن ثابت قطنة الخيل الجياد القوية ، بالفرسان الصيد الأقوياء [٩] :

---

[1] . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٨ : ١١٢ .
[2] . اللبات : جمع لبّة ، وهي وسط الصدر . اللجج : جمع لجة ، وهي معظم كل شيء .
[3] . عباس ، شعر الخوارج ، ص٣٧ . وانظر شواهد أخرى : ص٣٢، ص٣٩، ص٧٩، ص٨٠ .
[4] . تردي : تثب . التجافيف : جمع تجفاف ، وهو ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح .
[5] . الليثي ، المتوكل ، شعره ، ص ٢٤٤ .
[6] . عناجيج : جياد الخيل ، واحدها عنجوج . المغالي : الغنم التي تنتج مرتين في السنة ، وبذلك تكون مهزولة .
[7] . أكدر : الذي في لونه كدره ، خلاف الصفو ، يريد بذلك الغبار . معصوصب : شديد مجتمع ، ويريد هنا الغبار الكثيف . الوابل : المطر الشديد .
[8] . الدسوقي ، عمر (١٩٥٩) ، الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية والمثل العليا ، ط٣ ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ص٤٥ .
[9] . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٦ : ٥٨٦ .

وخيل كالقداح مسوّمـــــاتٍ لدى أرضٍ مغانيها الجميـــمُ [١]

عليها كل أصْيَدَ دوســـــريٍ عزيزٍ لا يفرُّ ولا يريـــــمُ

واهتم الأبطال الأمويون بخيولهم ، وحرصوا أن تكون قوية سريعة العدو ، نشيطة ، شديدة التحمل ، ولذا شبه نهار بن توسعة خيل المهلب بن أبي صفرة بالقطا في سرعتها وشدة انقضاضها على العدو ، فهي لا تفتأ تتعرض للطعن حتى تتخضب أجسامها بالدماء [٢] :

أباحَ لنا سهلَ البلادِ وحزْنَهـــا بخيْلٍ كأرسالِ القطا المُتَسَـــرِّبِ [٣]

يعرِّضُها للطَّعْنِ حتى كأنّمـــا يُجَلِّلُها بالأرجوانِ المُخضَّـــبِ [٤]

وشبه النابغة الشيباني خيل مَسْلَمة بن عبد الملك بالسهام يرمي بها الشجعان من الجند ، فتُبْرى وتُنْحت لشدة الرمي بها ، وكذلك الخيل يَهْزل السمين منها لشدة كرها على العدو [٥] :

فيهِ العناجيجُ تَبْري الغزوُ أسمَنَهـا بَرْيَ القِداحِ عليها جِنَّةٌ بُسُـــلُ [٦]

وفي مدحه للوليد بن عبد الملك بيّن أن خيله ترابط في كل مكان ، وإذا سارت إلى الميدان تقدّمتها الجياد الضامرة ، فتحوي الغنائم والأسلاب [٧] :

لا يُخْمِدُ الحرْبَ إلا ريثَ يوقِدُهـــا في كلِّ فجٍّ لهُ خيلٌ مسانيـــفُ [٨]

تحْوي سُبيّاً فيُعْطيها ويَقْسِمُهـــا ومِن عطيَّتِهِ الجُرْدُ السَّراعيـــفُ [٩]

ولعبت الخيل دوراً بارزاً في ميدان المعركة ، حتى أنها تحوي الغنائم لأبطالها ، وبذلك امتدح ثابت قطنة نصر بن سيار ، فهو لا يصرف الجند من أرض العدو حتى يحوي بلاده ويستفيء أمواله ، وفي تلك الأثناء تعثر الخيل في أقيادها وهي تحوز الغنائم وتجمعها [١٠] :

لا يَصْرِفُ الجُنْدَ حتى يستفيء بهِمْ نَهْباً عظيماً ويحوي مُلْكَ جَبَّـــارِ

وتعثُرُ الخيلُ في الأقيادِ آونـــةً تحوي النِّهابَ إلى طُلاّبِ أوتـــارِ [١١]

---

[1] . الجميم : ما غطى الأرض من النبات .
[2] . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٨ : ٢٠ .
[3] . أرسال القطا : جماعات القطا ، فهي لا تطير إلا جماعات .
[4] . الأرجوان : صبغ أحمر .
[5] . النابغة الشيباني ، ديوانه ، ص ١٠٠ .
[6] . القداح : السهام . جنة بسل : الفرسان الشجعان .
[7] . المصدر نفسه ، ص ٥٢ .
[8] . مسانيف : جمع مسناف ، وهو الجواد يتقدم الخيل في مسيرها .
[9] . الجرد : جمع أجرد ، وهو الجواد قصير الشعر . السراعيف : جمع سرعوف ، وهو الفرس الطويل .
[10] . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٨ : ١٩٨ .
[11] . طلاب أوتار : الفرسان الذين يطلبون ثأرهم من العدو .

وجمع بعض الشعراء الأمويين في الصورة الواحدة صفات الخيل الجسمية وأساليبها في العدو ، ونسبوا إليها الأفعال التي يقوم بها المقاتلون في الميدان ، مبالغة في إظهار قوتها وشراستها في القتال ، فقتيبة بن مسلم يفتخر بأنه أورد وادي الصغد خيلاً طويلة ، موسومة بسمات تتراءى في أجسامها ، ترجم الأرض بحوافرها ، وتسفك الدماء ، وتزهق الأرواح [١] :

وردْتُهُ بعناجيجٍ مُسَوَّمَـــــةٍ　　　يَرْدينَ بالشُّعْثِ سَفَّاكينَ للمُهَـــج [٢]

لقد كانت الخيل هي مطية البطل وركوبته ، تحمله على ظهرها لتخوض معه الصعاب ، وتقتحم برفقته الأهوال ، قوية بقوة فارسها ، مقدمة بإقدامه ، متوثبة ، سريعة ، بشجاعته وشدة بأسه ، وكذلك كان المتوكل الليثي يمتطي صهوة فرسه ، ويقارع الخصوم ، وينازل الأعداء ، باثاً الخوف والرعب في نفوسهم [٣] :

وقدْ أرُوعُ سَوامَ الحيِّ تحْمِلُنـــي　　　شَقَّاءُ مثلَ عقابِ الدُّجْنِ قيـــدودُ [٤]

ويقول عروة بن أذينة في الخيل التي يعتلي صهوتها الأبطال الشجعان [٥] :

بمَصاليتِ الوغى ثُبُـــتٍ　　　وعناجيج لها نَحْمَـــــهْ

مُصْغياتٍ في أعنَّتِهـــــا　　　تحْمِلُ الأبْطالَ مُسْتَلْمَـــــهْ

واهتم البطل الأموي بخيله لما لها من شأن كبير في حياته ، ولما تمتعت به من قوة ومنعة لثباتها في القتال ، ومواجهتها للأهوال ، ويؤكد ذلك قول القطامي [٦] :

أبونا فارسُ الفرسانِ عَلِقـــتْ　　　بكفّتِهِ الأعِنَّةُ والغـــــوارُ

وأفْضلُ ما اقتنينا من سَـــوامٍ　　　ذكورُ الخيلِ والأسلُ الحــــرارُ [٧]

ورِثْنا الخيلَ قدْ عَلِمَتْ مَعَـــدٌّ　　　ومن عاداتِهِنَّ لنا اختيـــــارُ

ولصفاتها تلك ، وميزاتها التي تمتعت بها ، ولدورها المؤثر في حياته ، فقد صان البطل الأموي خيله بإكرام مأكلها ومشربها ، واهتم بمأواها ودثارها ، حتى أمست مقربة إليه ، لا تفارقه ،

1 . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٨ : ٨٠ .
2 . مسومة : معلمة بعلامات تعرف بها . الشعث : الفرسان البادية عليهم أثر الحرب . المهج : الأرواح .
3 . الليثي ، المتوكل ، شعره ، ص ٢١٩ .
4 . أروع : من الروع ، وهو الفزع . سوام الحي : ماشيتهم . شقاء : فرس طويلة ، المذكر أشق . الدّجن : اليوم المظلم . قيدود : طويلة الظهر .
5 . ابن أذينة ، عروة ، شعره ، ص ١٠٣ .
6 . القطامي ، ديوانه ، ص ١٤٥ .
7 . الحرار : من الفعل استحر القتال ، إذا اشتد .

وحرص على أصالتها ، وفضّل فيها تكامل صفاتها الجسمية ، وقدراتها البدنية ، وقام على إعدادها وتدريبها ، واستكمل ذلك بتعلم ركوبها ، وممارسة القتال من فوق ظهرها ، وعكف على تعليم ذلك لأبنائه ، مما ساعد على انتشارها واشتهارها ، بوصفها وسيلة لإرساء دعائم بطولة الأبطال ، وكونها في جملة سبل كسب الظفر وتحقيق النصر .

الـجـفـان والـقـدور :

إن للكرم أهميةً بارزةً في حياة الناس ، وهو من سمات البطولة في المجتمع الأموي ، لما يُكسِب من حسن الذكر عند الناس .

وللكرم أدوات يستخدمها البطل في إبراز بطولته وترسيخها ، ومنها الجفان والقدور ، والجفنة كما ذكر ابن منظور : " أعظم ما يكون من القصاع ، والجمع جفان ، وجِفَنْ " [١] . والقِصعة ؛ " الضخمة التي تشبه العشرة ، وجمعها قِصاع وقِصَعْ " [٢] ، وهي تتخذ من الشَّيْزَى ، " وهو خشب أسود ، وقيل : إنما يتخذون الجفان من خشب الجوز فتسودُّ من الدّسم " [٣] .

إن البطل الجواد في العصر الأموي كان يحرص أن تكون جفانه واسعة، وقدوره كبيرة ، يملؤها باللحم والشحم ، لتكون مقصد الضيفان والعُفاة والقُصّاد ، الذين يأتونه من كل مكان طلباً لخيره وطمعاً في نواله ، فهذا جرير يصف جفان الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وقد امتلأت لحماً وشحماً ، وأنها تغلي على النار فيسمع لها صوت كصوت حمحمة الخيل ، يقول [٤] :

وترى الجِفانَ يَمُدُّها قمَعُ الــذُّرا ... مَدَّ الجداولِ بالأتِيِّ المُفْعَــــم [٥]

والقِدْرُ تَنْهِمُ بالمَحَالِ وترتَمـــي ... بالزَّوْر هَمْهَمَةَ الحِصانِ الأدْهَــم [٦]

وقدور الوليد بن عبد الملك عند الأخطل تجيش بأوصال الجزور في وقت القحط واشتداد البرد ، يقول [٧] :

رفيعُ المُنى ، لا يَسْتَقِلُّ بحِمْلِـــهِ ... سَؤومٌ ، ولا مُسْتَنْكِشُ البحرِ ناضِبُـهْ [٨]

تجيْشُ بأوْصالِ الجزورِ قــدُورُهُ ... إذا المَحْلُ لم يَرْجِع بعُودَيْنِ حاطِبُـهْ [٩]

مطاعيمُ تغدو بالعبيطِ جِفانُهُـــمْ ... إذا القُرُّ ألْوَتْ بالعِضَاهِ عَصائبُـــهْ [١٠]

---

[1] . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (جفن) .
[2] . انظر : المصدر نفسه ، مادة (قصع) .
[3] . انظر : المصدر نفسه ، مادة (شيز) .
[4] . جرير ، ديوانه ، ١ : ٧٢ .
[5] . القمَعْ : جمع قمعة ، وهي رأس سنام الجمل .
[6] . الزور : الصدر ، وأراد صدر الذبيحة التي يطبخ لحمها .
[7] . الأخطل ، ديوانه ، ص ٢٨٩ ـ ص ٢٩٠ .
[8] . المنى : الهمة والعزيمة . المستنكش : المنزوح . الناضب : الجاف الفارغ .
[9] . جاشت : غلت . الأوصال : الأعضاء . الجزور : الناقة المنحورة .
[10] . ألوت به : ذهبت به . العصائب : الرياح . القر : البرد . العضاه : شجر عظام .

ويقرر جرير أن كثرة عدد قدور يزيد بن عبد الملك التي تتلاحق لقرى الضيفان ، وهي ملأى بأحسن الطعام وأجوده ، قد ضمنت له شرف بطولة الكرم ، فعد بها بطلاً جواداً [١] :

هلْ مِثْلُ حاجَتِنا إليْكُمْ حاجَـــةٌ أو مِثْلُ جاري بالمُوَقَّرِ جـــارُ [٢]

حِلْمَاً ومكْرُمةً وسَيْباً واسِعـــاً وروافِدٌ حُلِبَتْ إليْكَ غِـــزارُ [٣]

وكذلك هي قدور هشام بن عبد الملك في ضخامتها واتساعها ، فتميز بها عن الآخرين ، وعلاهم فضلاً ومكرمة [٤] :

لو أنَّ اللهَ فضَّلَ سَعْيَ قـــوْمٍ صَفَتْ لكُمُ الخلافةُ والعُهـــودُ

على مَهَلٍ تَمَكَّنَ في قُرَيْـــشٍ لكُمْ عِظمُ الدَّسائعِ والرُّفُـــودُ [٥]

هشامُ المُلْكِ والحَكَمُ المُصفَّـى يطيبُ إذا نَزَلْتَ به الصَّعيـــدُ

يَعُمُّ على البريَّةِ مِنْكَ فضْـــلٌ وتُطْرِقُ من مَخَافَتِكَ الأُســـودُ

ويصف أيضاً امتلاء جفان معاوية بن هشام بن عبد الملك بالطعام ، دلالة على جوده وكرمه ، فيقول [٦] :

آباؤُكَ المُتَخَيَّرُونَ ، ذوو النُّهـى يا ابنَ الخَضارِمِ يُتْرِعونَ المِرْفَــدا [٧]

وجدوا مُعاويةَ ، المُباركَ عَزْمُــهُ صُلْبَ القناةِ عن المحارمِ مِـــذْوَدَا

ويفضل عمر بن الوليد بن عبد الملك غيره كرماً وجوداً ، ويتقدم عليهم في عطائه وفضله ، وبخاصة في برد الشتاء القارس ، الذي يهلك الأنعام وتنفق فيه الماشية ، في مثل هذا الوقت تكون جفانه كثيرة العدد ، مترعة بالخيرات ، يفد إليها الضيوف والعفاة ، ويقصدها الناس جميعاً ، وقد عرفوا طريقهم إليها ، فهي لضخامتها واتساعها لا تغيب عن عين ناظر ، يقول الفرزدق [٨] :

جرى ابنُ أبي العاصي فأحْرَزَ غايةً إذا أَحْرَزَتْ مَنْ نالَها فهو أمْجَـــدُ

وكان إذا احْمَرَّ الشتاءُ ، جِفانُـــهُ جِفانٌ إليها بادئونَ وعُـــوَّدُ

---

[1] . جرير ، ديوانه ، ٢ : ٦٤٥ .
[2] . جاري : أراد يزيد بن عبد الملك . الموقر : من دمشق .
[3] . الروافد : جمع رفد ، وهو القدح العظيم ، وقيل : هو المعونة بعطاء ولسان .
[4] . المصدر نفسه ، ١ : ٢٩٠ .
[5] . الدسائع : جمع دسيعة ، وهي القدر الكبيرة . الرفود : جمع رفد ، وهو العطاء .
[6] . المصدر نفسه ، ١ : ٣٧٩ - ٣٨٠ .
[7] . الخضارم : جمع خضرم ، وهو الجواد . المرفد : الجفنة التي يقدم بها الطعام .
[8] . الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ١٤٩ .

لـهُمْ طُرُقٌ أقدامُهُمْ قدْ عَرَفْنَهـــا إليهمْ وأيديهِمْ من الشَّحْمَ جُمَّــــدُ
وما مِن ضيفِ آلَ مروانَ مسْلِـــمٍ ولا غيرهِ إلا عليهِ لكُمْ يَــــــدُ
إذا عَدَّ قومٌ مَجْدهُمْ وبيوتَـهُـــمْ فضَلْتُمْ إذا ما أكْرمُ الناسِ عُـــدِّدوا

إن البطل الكريم ينتصر لأخيه الضيف في مواجهة قسوة الزمن وصروف الدهر ، فهو يرى إنقاذ أخيه الإنسان من الجوع حق واجب عليه ، ولذا فهو يعد الجفان الكبيرة ، ويملؤها بأطيب اللحم ، إذ أن القدور الصغيرة ضيقة ، لا فائدة فيها ، ولا منفعة ترتجى منها ، ولا تدل على سعة كرم البطل وسخائه ، وكذلك هي جفان العباس بن الوليد بن عبد الملك واسعة كأحواض الآبار ، مملوءة بأطايب اللحوم ، تبعث الحياة في قصَّادها ، لأنها تطرد عنهم الجوع والفقر ، وتبعد عنهم الحاجة والعِوَز ، وترى الناس يقصدونها ويفدون إليها جماعات وأفراداً ، وهي لكثرة ما فيها من الطعام كفيلة بسد حاجة الجميع وإن كثروا ، يقول الفرزدق [١] :

وجَفْنَةَ مِثْلَ حَوْضِ البئرِ مُتْرَعَــةً تطرُدُ عمَّنْ أتاها الجوعَ والخَصَــرا
جَوْفاءَ ، شِيزِيَّةٍ ، ملأى ، مُكَلَّلــةً من السَّنامِ ترى من حولها عَكَــرَا [٢]
من الرِّجالِ وأيْفاعِ قد احتُمِلــوا مُؤزَّرينَ ، ومِثْلَ البَهْمِ ما اتَّــــزَرا
كِلاهُما مُشْبَعٌ ، ريَّــــانُ واردُهُ الأيِّبونَ إليها والذي بَكَــــرا [٣]

وكرم آل منظور في كثرته كالمطر ، ويفعل في الناس فعل المطر في الأرض ، فهم يهدون جفانهم الواسعة إلى الجار ليلاً ، وذلك أدعى للسر ، وأحفظ لكرامة الجار ، هذا إلى جانب العفة والطهر ، فنالوا بصنيعهم هذا المجد والرفعة ، يقول فيهم جرير [٤] :

إنّ الندى من بني ذُبيانَ قد علمـوا والمجْدَ في آلِ منظورِ بنِ سَيَّـــارِ
الماطِرينَ بأيْديهمْ ندىً دِيَمــــاً بكُلِّ غيْثٍ منَ الوَسْمِيِّ مِبْكَـــارِ
تزورُ جارَتَهُمْ وَهْنَاً جِفانُهُـــمُ وما فتىً لَهُمُ ، وهناً ، بـــزَوَّارِ [٥]
ترضى قريشٌ بهمْ صِهْراً لأنفُسِهِمْ وهُمْ رضاً لبني أخْتٍ وأصْهـــارِ

ويقدم عباد بن عباد بن علقمة قدوره الضخمة الممتلئة للناس دوماً ، فلا تنقطع عنهم فضائله ، ولا يبخل عليهم بعظيم سخائه ، ولذلك فهو سيد جواد ، وبطل كريم ، يقول [١] :

---

[1] . الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ٣٤٢ .
[2] . المكللة : التي كللها اللحم . العكر : الجماعة من الناس .
[3] . أي كل يشبع من جفنته ، فالأيبون يتعشون ، والمبكرون يتغدون .
[4] . جرير ، ديوانه ، ٢ : ٧١٥.
[5] . وهناً : أي بعد صدر الليل .

ترى قُدُورَ ابن عبّادٍ مُعَسْكِـــرَةً	والناسُ من صادرٍ عنهـــا وَوَرَّادِ
يَسْرِي فيُصبحُ عبَّادٌ يُشَبّهُـــهُ	صدْرَ الحُسامِ نُقِي من بين أغمـــادِ

ويتدفق عطاء كثير بن سيار التميمي ـ مولى بني سعد ـ كالنهر في جفانه الواسعة المترعة ، على نيرانه المتوقدة المتوهجة ، وهو ينصب هذه القدور ليطعم الجوعى ، ويقري الضيوف ، فكان بجوده الذي لا يحدّ ، وطعامه الذي لا ينفد ، بطلاً يتقدم سواه من الرجال الأجواد ، وبذلك يمتدحه الفرزدق ، فيقول [٢] :

دعي الذينَ هُمُ البُخَّالُ وانْطلِقــي	إلى كثير فتى الجودِ ابنِ سَيَّـــارِ
إلى الذي يَفْضُلُ الفتيانَ نائِلُــهُ	يداهُ مِثْلُ خَلِيْجَيْ دِجْلَةَ الجـــاري
إنّا وجَدْنا كثيراً يَقْدحونَ لـــهُ	بخيرِ عودٍ عتيـــقٍ ، زَنْدُهُ واري
إنّ كثيراً كثيرٌ فَضْلُ نائِلِـــهِ	مُرْتَفِعٌ ، في تميمٍ ، مُوقدَ النـــارِ
المالِئُ الجَفْنَةَ الشِّيْزَى إذا سَغَبُـوا	والطّاعِنُ الكبْشَ والمَنّاعُ للجـــارِ

إن القدور والجفان هي إحدى وسائل البطل في إبراز بطولته ، وكلما اتسعت وكبرت ، وامتلأت باللحم ، كان ذلك أكثر دلالة على مبلغ جوده وفضله ، يقول ابن قيس الرقيات [٣] :

وكان أبو أوْفى إذا الضيفُ نابَـــهُ	تُشَبُّ له نارٌ وتُنْضَى لهُ قِـــدْرُ [٤]
فيُمْسي ويُضْحِي الضّيْفُ شبعانَ ، والقِرى	حميدٌ ، ويَبْقى بَعْدَهُ الحمْدُ والذّكْــرُ

وكانت قدور عكرمة بن ربعي ، في ضخامتها وكبر أحجامها ، وكأنها على مرتفع من الأرض ، تستوعب ناقة ضخمة إذا ما نحرت وقطعت ، وتلتهب النيران تحتها لإسراع نضج ما فيها ، لكثرة العفاة الذين يحفون بها ، كالعطاش الذين يقصدون مورد الماء ، ويحومون حوله لا يفارقونه ، فكانت على حالها هذه رمزاً لبطولته ، ودليلاً على تفوقه وتفرده ، يقول فيه المتوكل الليثي [٥] :

كأنَّ قُدورَهُ من رأسِ ميـــلٍ	على علياءَ مشرفةٍ نَعامـــا [٦]
تظلُّ الشَّارفُ الكَوْماءُ فيهـــا	مُطبَّقةً مفاصِلُها عِظامـــا [٧]
يُحَشُّ وقودُها بعظامِ أخـــرى	فلا ينْفكُّ يحْتَدمُ احتِدامـــا [١]

---

1. الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ١٧٠ .
2. المصدر نفسه ، ١ : ٢٢٥ . وانظر شواهد أخرى : ١ : ٣٩٤ ـ ٣٩٥ .
3. الرقيات ، ابن قيس ، شعره ، ص ٣١٠ .
4. تنضى القدر : إذا أزّت ، وتئز القدر إذا اشتد غليانها .
5. الليثي ، المتوكل ، شعره ، ص ١٢٦ .
6. من رأس ميل : على بعد ميل ، والميل من الأرض : منهى مد البصر .
7. الشارف : الحسنة من النوق ، والجمع الشُرُف . الكوماء : الناقة العظيمة السنام .

كأنَّ الطّائفينَ بها صَـــــوادٍ   رأتْ ريًّا وقدْ وردَتْ هُيامـــــا (٢)

ويمدح كعب الأشقري ممدوحه فلا يرى أفضل من إضفاء صفة السعة والضخامة على قدوره (٣) :

صَلْتُ الجبينِ طويلُ الباعِ ذو فَـرَحٍ   ضخمُ الدّسيعةِ لا وانٍ ولا غمْـــرُ

مجَرِّبُ الحربِ ميمونٌ نَقيبَتُـــهُ   لا يُستَخَفُّ ولا من رأيهِ البَطَـــرُ

لقد كانت ضخامة القدر معلماً على كرم البطل ، وإشارة إلى فيض سخائه ، ولذلك فإن سراقة البارقي في رثائه عبد الرحمن بن محنف ، يشير إلى سعة قدوره التي كانت منصوبة للضيوف والمحتاجين ، وبموته ضاع هؤلاء وفقدوا معيلهم (٤) :

إنْ يقتُلوكَ أبا حكيمٍ غــــدْرَةً   فلقدْ تَشُدُّ فتقتُلُ الأبطـــــــالا

إن يُثْكِلونا سيِّداً لِمُسَــــوَّدٍ   ضَخْمِ الدَّسيعةِ ماجِداً مِفْضَـــــالا

فلَمِثْلُ قتْلِكَ هَدَّ قوْمَكَ كُلّهُـــمْ   مَن كان يحْمِلُ عنهُمُ الأثقــــالا

وقد اتّخذ الشعراء الأمويون من صغر حجم جفان القدور ، وضيق الجفان مادة لهجاء البخلاء ، والنيل من خصومهم ،والحط من شأنهم ، فهذا سراقة يهجو قوم جرير بذلك قائلاً (٥) :

فإنْ أهْجُ يربوعاً فإنــــي لا أرى   لشيْخِهِمُ الأقصى على ناشئٍ فَضْـــلا

صِغارٌ مقاريهُمْ ، عظامٌ جُعُورُهُـمْ   بطاءٌ إلى الدّاعي إذا لم يكُنْ أكْــلا (٦)

فالجفان في ضخامتها ، والقدور باتساعها ، كانت رمزاً للبطل الجواد .

إيقاد النّار :

برزت الحاجة إلى النار لهداية الضيف والمحتاج في صحراء مقفرة ، تنساح فجاجها مد الأفق ، مما يجعل الاهتداء لمسالكها وتبين سبلها ضرباً من المستحيل ، ولذا كانت النار وسيلة لإرشاد

---

1 . يحش : يوقد . يحتدم : يلتهب .
2 . صواد : عطاش .
3 . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣ : ٦٠٣ .
4 . البارقي ، سراقة ، ديوانه ، ص ٤٤ .
5 . المصدر نفسه ، ص ٤٨ .
6 . المقاري : القدور والقصاع ، أي هم بخلاء . الجعور : الأدبار ، أي هم شرهون .

الضيف والمحتاج والمسافر ، وقد حرص البطل الأموي على إشعالها وارتفاع لهبها ، لتكون منارة للتائهين والمرتحلين ، فما إن يرونها حتى يأتوا منزله ، فيكرمهم صاحبها ويقضي حاجاتهم ، وقد تحدث الجاحظ عن نيران العرب وذكر منها نار القرى ، وذكر أنها " النار التي ترفع للسفر ، ولمن يلتمس القرى "[١] ، وذكر النويري في نهاية الأرب نيران العرب ، وعدد منها أربع عشرة ناراً ، منها نار القرى ، فقال : " نار القرى وهي من أعظم مفاخر العرب ، كانوا يوقدونها ليالي الشتاء ، ويرفعونها لمن يلتمس القرى ، فكلما كانت أضخم وموضعها أرفع كانت أفخر ، وهم يتمادحون بها "[٢] .

وأكثر الشعراء في العصر الأموي من ذكر نار القرى في أشعارهم ، وجعلوها رمزاً للضيافة وإكرام النزيل ، وذكروا أن من علامات الجود أن توقد النار في ليالي الشتاء الباردة ، حيث تعصف الريح الجافة ، ويشتد البرد ، فهذا عمر بن عبد العزيز يوقد ناره ويرفعها ، فيهتدي الأضياف إليه ، يقول كثير عزّة في مدحه[٣] :

لَنِعْمَ أبو الأضيافِ يَغْشَوْنَ نـــارَهُ وَمُلْقى رحالِ العيسِ وهي لُغُـوبُ[٤]

ولا تنطفئ نار عمارة بن عمرو بن حزام ، وهو عامل عبد الله بن الزبير على حضرموت ، فهي موقدة دوماً ، لتدل الضيوف ، وتهدي المحتاج إليه ، يقول أبو دهبل الجمحي فيه[٥] :

أعطى فأسْنانا ولـــــم تكُ من عَطِيَّتِهِ الصّغـــــارهْ
ومِنَ العَطِيَّةِ ما تـــــرى جَذْماءَ ليسَ لها نَـــــزارَهْ[٦]
فَفِداكَ من حَدَثِ الـــــرَّدى مَنْ لمْ يَنَمْ للضّيْفِ نـــــارَهْ

ويقول الفرزدق مادحاً يزيد بن عبد الملك ، مشيراً إلى رفعه للنار ليهتدي بها الضيفان ، فيتعرفوا مواضع الضيافة ، حتى إذا نزلوا به أكرمهم وأحسن ضيافتهم ، وهو بصنيعه هذا عدّ بطلاً متميزاً عن الآخرين الذين يطفئون نيرانهم ويلجمون كلابهم[٧] :

أخو شَتَواتٍ يَرْفَعُ النارَ للقِـــرى إذا كَعَمَ الكَلْبَ اللئيمُ وأخْمَـــدا[٨]

---

1. الجاحظ ، الحيوان ، ٥ : ١٣٣ .
2. النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ١ : ١١٣ .
3. كثير عزة ، ديوانه ، ص ١٦٦ .
4. لغوب : أصابها اللغوب ، وهو التعب والإعياء .
5. الجمحي ، أبو دهبل ، ديوانه ، ص ٤٩ .
6. الجذماء : المقطوعة . النزارة : القلة ، أي ليس فيها قليل ولا كثير .
7. الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ١٤٤.
8. كعم الكلب : ألجمه بعود يعرضه في فمه ويشده إلى قفاه ، لئلا ينبح ويدل عليه الضيوف .

واهتم البطل الأموي بإيقاد النار وجعلها مرتفعة ظاهرة ، فهي وسيلته لإرشاد الضيوف ، وسد حاجة المعوزين ، فيكسب بصنيعه هذا الحمد وحسن الذكر ، وينال شرف البطولة وعزّتها وسؤددها ، يقول جرير في مدحه للعباس بن الوليد [١] :

وإنَّكَ خيرُ موضعِ رَحْلِ ضَيْـــفٍ ... وأوْفى العالَمينَ بعَقْدِ جـــــارِ

فيا ابنَ المُطعِمينَ إذا شَتَوْنــــا ... ويا ابنَ الذّائدينَ عن الذِّمـــارِ

وتُمْطِرُ من نَداكَ يداكَ فَضْـــلاً ... إلى كَرَمِ الشَّمائِلِ والنِّجـــارِ

تُفاخِرُ غَيْرَكُمْ بكُمُ قريـــشٌ ... إذا ما عُدَّ مَكْرُمَةُ الفخـــارِ

وتوقِدُ نارَ مَكْرُمَةٍ وأخْـــرى ... إذا ما المَحْلُ أخْمَدَ كُلَّ نـــارِ

وامتدح الفرزدق عمر بن الوليد بن عبد الملك بأن ناره دائماً مشتعلة لا تنطفئ ، فأحرز المجد ، ونال الحمد وحسن الثناء ، وعدّ بطلاً كريماً [٢] :

وإنَّ لهُ نارَيْنِ كِلْتاهُما لَهـــا ... قِرىً دائِمٌ قُدَّامَ بيْتَيْهِ تُوْقَـــدُ

فهذي لِعِبْطِ المُشْبَعَاتِ إذا شتـــا ... وهذي يدٌ فيها الحُسامُ المهنّـدُ [٣]

ولو خَلَّدَ الفَخْرُ امْرَأً في حياتـــهِ ... خَلَدْتَ ، وما بعْدَ النبي مُخَلَّـــدُ

وأنْتَ امْرُؤٌ عُوِّدْتَ للمجْدِ عـــادةً ... وهلْ فاعِلٌ إلا بما يتعَـــوَّدُ

ولقد تميز أحدهم بوهج ناره المستطير ، الذي يرشد إليه كل تائه ، فامتدحه ابن ميادة قائلاً[٤] :

يداهُ يدٌ تنْهلُ بالخير والنّـــدى ... وأخرى شديدٌ بالأعادي ضريرُهـا [٥]

ونـاراه نـار نـار كَلَّ مدقـــع ... وأخرى يصيب المجرمينَ سعيرُهـا [٦]

وكان عبد الله بن حنظلة الكلابي موضع مدح القتّال الكلابي وثنائه ، ومدعاة ذلك الثناء ناره المشتعلة ، والتي تخير لها المكان المرتفع ، لتكون ظاهرة بائنة غير مختفية ، فهي كالثور الضخم الواقف على نشز من الأرض ، وما تلك النار إلا دليلاً على كرمه ومدى عطائه ، وعدم تخوفه من استضافة الضيفان ومساعدة العفاة ، فعبد الله يبيت خميصاً يؤثر الناس بطعامه وشرابه [٧] :

بحْراً تُنازِعُهُ البحورُ تُمِـــدُّهُ ... إنَّ البحورَ ترى لَهُنَّ شرائِعـــا

---

[1] . جرير ، ديوانه ، ٢ : ٦٢٤ ـ ٦٢٥ .
[2] . الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ١٤٨ ـ ١٤٩ . وانظر شواهد أخرى : ج١ : ص ١٤١، ص ٢٢٥ ، ص ٣٢٩ .
[3] . العبط : النحر . المشبعات : السمينات من النوق .
[4] . ابن ميادة ، شعره ، ص ٥٤ .
[5] . الضرير : من الضر ، وهو الشدة .
[6] . الكَلّ : بفتح الكاف وتشديد اللام ، اللئيم ومن يعوله غيره . المدقع : الفقير الذليل .
[7] . القتال الكلابي ، ديوانه ، ص ٦٩ .

ويبيتُ يستَحْيي الأمورَ وبَطْنُـــهُ **طيَّانَ ، طيَّ البُرْدِ ، يُحْسَبُ جائِعـا** (١)
مِنْ غيْرِ لا عُدْمٍ ولكنْ شيْمَـــةً **إنَّ الكِرامَ هُمُ الكِرامُ طبائِعــــــا**
وتبيتُ نـارُكَ باليَفاعِ كأنّهـــــا **شاةُ الصِّوَار علا مكاناً يافِعــــا** (٢)

إن البطل الأموي متفوق بناره المتوقدة ، وهي أداته ليتميز عن غيره ، الذين أظلمت بيوتهم ، وأخمدت نيرانهم ، خوفاً من أن يأتيهم الضيفان ، ولذا يفخر الفرزدق بعلو ناره وارتفاعها ، فيقول (٣) :

إذا خَمَدَتْ نـارٌ فإنَّ ابنَ غالـــبٍ **ستُوْقِدُها للطّارقينَ خلائِقُــــــهْ**
أنا المُطْعِمُ المَقْرورَ في ليْلَةِ الصَّبَـا **وأجْهَلُ مَنْ يَخْشى الجَهولَ بوائِقُـــهْ**

ويمتاز الأحوص الأنصاري من غيره ، فهو بطل جواد لا يترك ناره تخمد ، بل يحرص على إشعالها فوق النشز العالي ، والحَزْنِ المرتفع ، حتى يستدل بها الطارقون (٤) :

عوَّدْتُ قومي إذا ما الضيفُ نبَّهَنـي **عقْرَ العِشار على عُسْري وإيســـاري**
إنّي إذا خُفِيَتْ نارٌ لِمُرْمِلَـــــةٍ **ألْقى بأرْفع تلٍّ رافِعاً نـــــــاري**
ذاكَ وإنّي على جاري لذو حَـدَبٍ **أحْنو عليهِ بما يُحْنى على الجـــارِ**

وبموت البطل الكريم يموت ضوء ناره ، ويخمد سناها ، وهذا ما يخشاه مسكين الدارمي إذا مات ، فناره هي التي ترشد الضيفان ، وتدل الفقراء على بيته ، وهي أداته ليكون بطلاً يجود على الناس ، ويكرم معوزيهم ، وينجد ملهوفيهم (٥) :

إذا مِتُّ فانعيني لأضيافِ شقّـــةٍ **رمى بهم داجٍ بهيم الغياطِـــــلِ**
يشبُّ لهُمْ ناري فيُعْرَفُ ضوءهــا **ويحتلُّ بيتي بالفضاءِ المقابــــلِ**
ولسْتُ بوقّافٍ إذا الخيلُ أسْرعَـتْ **ولسْتُ بعَبَّاسٍ إلى الضّيفِ باسِـــلِ**
ولكنّهُ يلْقاهُ مني تحيّــــــةً **ويأتيهِ قبلَ العُذر بذْلي ونائِلـــــي**
ويلقاهُمُ وجْهي طليقاً وعاجِـــلاً **قِرايَ ومِن خير القِرى كلّ عاجِــلِ**

---

[1] . يستحيي الأمور : ينعشها بالحيا ، وهو كناية عن سخائه . الطيان : الجائع ، والذي لم يأكل شيئاً .
[2] . اليفاع : المكان المرتفع . الشاة : ثور الوحش . الصِّوار : القطيع من الثيران .
[3] . الفرزدق ، ديوانه ، ٢ : ٥٠ .
[4] . الأحوص الأنصاري ، شعره ، ص ١٠٧ ـ ص ١٠٨ .
[5] . مسكين الدارمي ، ديوانه ، ص ٥٨ ـ ص ٥٩ .

وهكذا تظل النـار أداة من أدوات البطولـة ، بهـا يـدعو البطـل الكـريم ضـيوفه وطـارقي بيتـه ، ويهديهم بها إلى سبيله ، فإذا ما جاؤوه أكرمهم وأحسن ضيافتهم ، فكسب بذلك حمدهم وثناءهم ، وارتقى بفعله هذا أقاصي المجد ، كما حرص البطل الأموي أن تكون ناره ملتهبة مستعرة ، لا تخمد ولا يهدأ سعيرها ، كما اهتم أشد الاهتمام بأن يشعلها على يفاع من الأرض وعاليها ، لتكون منارة هادية تبصرها عيون الطارقين من بعيد فيهتدوا بها إليه .

نـبـاحُ الـكِـلاب :

لم تكن النـار لتبقى مشتعلة طوال الليل ، فلا بد لها أن تخمد بعض الوقت ، ولذلك كان نباح الكلاب هادياً إلى منـازل الأبطـال الأجواد ، ومرشداً إلى مواطن الكرمـاء ، وكان نباحها وسيلة

استخدمها البطل الأموي لإثبات كرمه ، ففخر البطل بأن كلابه لا تنام ، ولا تنقطع عن النباح ، فهذا الفرزدق يفخر بأن كلبه تعوّد أن ينبح ليدل الضيفان على موضع الضيافة [1] :

وَطارِق ليلٍ قدْ أتاني ، وَساقَــهُ إليَّ سَنَا ناري وَكَلْبٍ مُعَــــوَّدِ [2]

وَمُسْتَنْبِحٍ أوْقَدْتُ ناري لِصَوْتِــهِ بلا قمرٍ يَسْري ولا ضوءِ فَرْقَــدِ [3]

ونارٍ رَفَعْناها لِمَنْ يبتغي القِــرى على مُشرفٍ فوقَ الجراثيم مــوقدِ [4]

إن البطل الكريم يستجيب للمستنبح الذي يستنبح الكلاب كي تجيبه ، فيعرف الضيف أين يسكن الحي فيتجه إليه ، فالمستنبح كما يقول القالي : " ذلك أن الرجل إذا تحير في الليل ، فلم يدر أين البيوت ، نبح فتسمعه الكلاب فتنبح ، فيقصد أصواتها ، وهذا الذي تقول له العرب المستنبح " [5] ، والبطل الكريم المضياف إذا سمع هذا قام من فراشه وأشعل نيرانه ، وأشلى كلابه ، وتأهب لنجدة الضيف من قسوة البرد وحلكة الظلمة ، وهذا ما فعله أرطأة المرّي ، فكان بطلاً جواداً ، لا يفعل فعل البخيل الذي يصمت كلبه فلا يستجيب لنداء المستنبح [6] :

وإنّي لَقوّامٍ إلى الضّيفِ مَوْهِنَــاً إذا أغْدَفَ السِّتْرَ البخيلُ المُواكِــلُ [7]

دعا فأجابَتْهُ كلابٌ كثيـــــرةٌ على ثقةٍ مِنّي بما أنا فاعِـــــلُ

وما دونَ ضيفي من تِلادٍ تحــوزُهُ يدُ الضّيفِ إلا أن تُصانَ الحَلائِــلُ [8]

وقد امتدح شعراء العصر الأموي الأبطال الكرماء ، الذين استجابت كلابهم لنداءات المستنبحين ، فقاموا لنجدتهم من أسباب الهلاك والفناء ، كما امتدحوهم لحرصهم على تكثير عدد الكلاب أمام بيوتهم ، لتعلو أصواتها مجتمعة فيهتدي بها الضيف والمحتاج ، فهذا الأخطل يمدح خالد بن يزيد بن معاوية ، فهو بطل جواد مفضال ، يتخذ من نباح كلابه وسيلة لإظهار بطولته وإبراز تميزه ، حتى إن كلابه اعتادت قدوم الضيفان عليه [9] :

أخالدُ ، ما بَوّابُكُمْ بمُلَعَّـــــنٍ ولا كَلْبُكُمْ للمُعْتَفي بعَقُـــــورِ [10]

أخالدُ ، إيَّاكُم يرى الضّيفُ أهْلَــهُ إذا هَرَّت الضيفانُ كلَّ ضَجـــــورِ

---

1. الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ١٤٢ .
2. كلب معود : أي نباح كلب معود أن ينبح للضيفان ليدلهم على موضع الضيافة .
3. المستنبح : الساري ليلاً ، ينبح لتجيبه الكلاب فيتعرف منازل القوم . الفرقد : نجم ، وهما فرقدان .
4. الجراثيم : جمع جرثومة ، وهي التراب المجتمع في أصول الشجر . الموقد : المتلألئ والمضيء ، وأراد هنا الظاهر المرتفع .
5. القالي ، أبو علي إسماعيل القاسم (ت ٣٥١ هـ) ، الأمالي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (د . ت) ، ١ : ٢١٠ .
6. أرطأة بن سهيّة ، شعره ، ص٩٩ .
7. أغدف الستر : أرسله وأغلقه دونه . المواكل : الذي يكل أمره إلى غيره متكلاً عليه .
8. تلاد : المال القديم الموروث . تحوزه : تمتلكه . الحلائل : جمع حليل ، وهو الزوج ، والحليلة : الزوجة والجارة .
9. الأخطل ، ديوانه ، ص ٦٤ .
10. المعتفي : الطالب للمعروف . العقور : الذي يعض ويجرح .

يروْنَ قِرىً سهلاً ، وداراً رحيبــة   ومُنْطلقاً ، في وجهِ غيرِ بَسُـــورِ (١)

وتحنُّ كلاب عبد العزيز بن مروان على الضيوف ، فهي لا تعقرهم ولا تؤذيهم ، لأنها أداة البطل الكريم في كرمه ، فقد تخيّرها لتكون أليفة تعاونه في إظهار بطولته ، وإجلاء خصاله الحميدة ، وأفعاله المميزة ، التي يكسب بها حمد الضيوف وثناء المحتاجين ، ويعلو بينهم بوصفه بطلاً متفرّداً ، يقول نصيب بن رباح (٢) :

فبابُكَ ألْيَنُ أبوابهـــــم   ودارُكَ مأهولَةٌ عامِـــــرةْ

وكلْبُكَ أرأفُ بالزّائريــــنَ   من الأمِّ بابنتها الزّائِــــرةْ

وكَفُّكَ حينَ ترى السائليـــنَ   أنْدى من الليلةِ الماطـــرةْ

فمِنْكَ العطاءُ ومِنّا الثنـــاءُ   بكلِّ مُحَبَّرَةٍ سائـــــرةْ

وكذلك كانت كلاب أسماء بن خارجة ، فقد ألفت الضيفان واعتادت مجيئهم ، ولذا فهي لا تنبح الزائرين ، ولا تهر في وجه الضيوف القادمين ، يقول القطامي (٣) :

وترى الرِّفاقَ يوجِّهونَ ركابَهُــمْ   نحْوَ العَريضِ مَنادِحاً وخُوانـــا

يَلِجونَ مِن أبوابِ دارةِ ماجِـــدٍ   ليْستْ تَهرُّ كلابُهُ الضِّيفانـــا

وتراهُ يفْخرُ أنْ تَحِلَّ بيوتُـــهُ   بمحلَّةِ الزّمَنِ القصيرِ عِنانـــا

غطفانَ سَيِّدُهُمْ وخيْرُهُـــمْ   ولَدوكَ حينَ تذكَّروا الإحْسانـــا

لقد كان نباح الكلاب بمثابة أداة فاعلة استخدمها البطل الأموي لنجدة الضيف من أهوال الصحراء ، وبرد الشتاء ، وحلكة الليل ، فقد اعتادت كلابه قدوم الضيفان والعفاة ، فهي لا تنبحهم ولا تفزعهم ، والبطل بهذا يجسد جانباً من بطولته في الكرم ليصبح جديراً بالتفرّد والتميز ، ومن ثَمَّ بالبطولة التي يسعى إليها .

---

[1] . البسور : العبوس .
[2] . ابن رباح ، نصيب ، شعره ، ص ٩٩ .
[3] . القطامي ، ديوانه ، ص ٦٦ .

الفصل الرابع

" الخصائص الفنية لشعر البطولة في العصر الأموي "

<u>الخصائص الفنية لشعر البطولة في العصر الأموي :</u>

لقد تبين مما أسلفت الدراسة أن شعراء العصر الأموي اهتموا بالنماذج البطولية ، وجاءوا على ذكر مقوماتها وخصائصها ، ما دقّ منها وما جلّ ، فوصفوا الأبطال وأعمالهم البطولية المميزة ، وخصالهم الفريدة ، وأخلاقهم الحميدة ، ورسموا لوحة فنية جميلة لأدوات البطل التي كانت دليلاً على بطولته .

ومن الملاحظ أن هنالك تبايناً في أساليب هؤلاء الشعراء ، وطرق تناولهم للنموذج البطولي في عصرهم ، إلا أن هناك قدراً من السمات العامة ، والخصائص الفنية ، ينطوي تحتها نتاجهم الفني ويشترك فيها ، من حيث النسيج اللغوي والصور الشعرية .

ولذلك جاء هذا الفصل من الدراسة ليبحث في اللغة والأسلوب عند شعراء العصر الأموي الذين تناولوا البطل وبواعث بطولته ، وأدواته البطولية في أشعارهم ، كما يمحص النظر في الصورة الشعرية وعناصرها لديهم ، ومدى صدقهم ووضوحهم في تناول مادة فنّهم ، وكيف هضموها ورسموها لنا ، بعد أن أضفوا عليها كثيراً من عواطفهم ، ومنحوها شيئاً من وجدانهم وأحاسيسهم ، فجاءت صادقة في التعبير عن مشاعرهم ، وخلجات نفوسهم ، وخفقات أفئدتهم ، تجاه ذاك البطل المتميز .

أولاً : اللغة والأسلوب :

الكلمة عنصر أساسي من عناصر البناء الفني للشعر ، وركن رئيسي للعمل الأدبي ، يقول عبد الحكيم بلبع عن الكلمة أنها " عامل من أقوى العوامل التي تتوقف عليها قيمته ـ العمل الأدبي ـ الجمالية . والأداء الفني الجميل أساسه الدقة في اختيار الكلمة ، ووضعها في بيئتها ، وامتزاجها

مع معناها ، إذ ليس هو في مجموعه إلا طائفة من الكلمات المؤتلفة المعبرة " [١]، وقد يكون للكلمة الواحدة من الفضل والمزية في موضع من مواضع الكلام ، ما ليس للكلمة نفسها في موقع آخر .

والشاعر المبدع الملهم ، والأديب الصادق الفنان ، هو ذلك الذي يستطيع أن يوفر للكلمة بيئة صالحة ، ومناخاً مناسباً من التلاؤم ، بحيث يسمح لها أن تشع أكبر شحنتها من الصور والظلال والإيقاع [٢] . وبذلك تتجاوز الكلمة معناها الذهني ، ودلالتها المحدودة لتصبح طاقة شعورية ، أضفى عليها الشاعر الموهوب من فنه وروحه زخماً حيوياً يرتقي بها لملامسة مشاعره ، ومعانقة عواطفه .

ومن هنا فقد حرص الشاعر الأموي على اختيار ألفاظه ، واهتم بانتقاء مفرداته ، لأن الكلمة مادة الأدب ، تؤدي دورها في حمل جيشان العواطف الوجدانية وترجمتها ، والتعبير عنها بصورة دقيقة أمينة ، يساعدها في ذلك كله ما تتمتع به من أبعاد نفسية ، وظلال موحية ، وهالة رقيقة شفافة .

والاهتمام باللفظة في الشعر العربي يعني العناية بالصوت الموسيقي الذي تحدثه اللفظة مستقلة بنفسها ، ومع غيرها من الألفاظ المجاورة لها ، ثم بالجمال الذي تضفيه على الأسلوب ككل ، من جرّاء رونقها وسلاستها ، وبالتالي بالإيحاء الذي تحمله طياتها ، والشحنات التي تختزن فيها .

وقد تنبّه النقاد القدامى إلى هذا الجانب من انتقاء الألفاظ ، وتخير الكلمات ، والعناية بالأسلوب الشعري ، موضحين قيمة الأصوات فيها ، توافقاً وانسجاماً ، فابن طباطبا يرى أن الشعر يجب أن يكون " كالسبيكة المفرغة ، والوشي المنمنم المنظم ، واللباس اللائق ، فتسابق ألفاظه معانيه " [٣] ، وتتبدى مثل هذه العناية بالألفاظ ، والاهتمام بانتقاء المفردات عند أبي هلال العسكري في الصناعتين ، حيث يقول : " وليس الشأن في إيراد المعاني ، لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي ، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه ، وحسنه وبهائه ، ونزاهته ونقائه ، وكثرة

---

[1] . بلبع ، عبد الحكيم (١٩٥٤) ، النثر الفني وأثر الجاحظ فيه ، ط ٢، طبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ص ٢١٤ .
[2] . انظر : نشأت ، كمال (١٩٧٠) ، في النقد الأدبي ، دراسة وتطبيق ، مطابع النعمان ، النجف الأشرف ، ص٣٤ .
[3] . ابن طباطبا ، أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي (ت٣٢٢هـ)، عيار الشعر ، (تحقيق وتعليق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام)، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص٤ .

طلاوته ومائه ، مع صحة السبك والتركيب ، والخلو من أود النظم والتأليف ، وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صواباً " [١] .

ويعني هذا بوضوح تام أن النقاد العرب أشاروا منذ وقت طويل إلى ضرورة الاهتمام بالكلمة ، لما لها من أهمية كبرى في العمل الأدبي ، ويدلل أيضاً على أن الشعر الخالد ، والأدب الباقي ، هو ذلك الذي يحرص فيه صاحبه على التوفيق بين اللفظ والمعنى ، أو الشكل والمضمون ، والعناية بهما على المستوى نفسه ، بحيث يتعذر الفصل بينهما لشدة تلاحمهما وانسجامهما ، لتحقيق القيمة الجمالية التي تحقق الإمتاع الفني ، وهو غاية الأدب ومبتغاه ، فالكلمة المجردة ليست قادرة على صنع الأدب الجيد ، فلا بد لها من تضافر العناصر الأخرى ، مثل الموسيقى ، والصور ، والمضمون ، لتكون قادرة على إعطاء الأسلوب للقصيدة الشعرية باتساقها مع مجاوراتها من المفردات ، وتآلف حروفها وموسيقاها الداخلية والخارجية ، فإلى أي حد أدرك الشاعر الأموي هذه المقومات للعمل الفني الذي أقامه حول البطل والبطولة ؟

من الملاحظ أن الشاعر الأموي وعى كل ذلك ، وأولى اختياره للألفاظ ، وانتقاءه للمفردات عناية بالغة ، حيث حرص على وقع كلماته في نفوس المتلقين ، واهتم بما لها من أهمية صوتية ومعنوية ، واستطاع أن يمنحها ظلالاً موحية لتعبر عن انفعالاته ، وعميق إحساسه بتجربته الشعرية ، كما ركّز على توفير الموسيقى الشعرية ، والنغم الصوتي ، والإيقاع الموسيقي ، لكلماته ومفرداته التي بوساطتها ينقل للآخرين عواطفه ، ويعبر من خلالها عن تجاربه وآرائه .

كانت ألفاظ الشعراء الأمويين جزلة قوية في وصفهم البطل وأدواته ، مثل السيف ، والرمح والخيل ، وغيرها ، فقد استخدموا ألفاظاً فيها الكثير من الفخامة والقوة ، وتلك الفخامة والقوة مستمدتان من قوة الموضوع نفسه ، فالبطل الأموي قوي ، وشجاع ، ومقدام ، وسيفه قاطع وصارم ، وخيله جريئة وسريعة ، لذا لا يستغربُ جزالة ألفاظهم ، وقوة تعابيرهم ، ومما يدلل على ذلك قول معاوية بن أبي سفيان في فرسانه الشجعان [٢] :

إذا قلت هابوا حوْمَةَ الموتِ أرْقلوا   إلى الموتِ إرْقالَ الهلوكِ الفحـلِ [٣]

---

[1] . العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥ هـ) ، كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر ، (تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم) ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ٥٧ ـ ص ٥٨ .

[2] . الكوفي ، ابن أعثم ، كتاب الفتوح ، ٢ : ١٣١ .

[3] . حومة الموت : شدته . الإرقال : الإسراع .

فهو يعبر عن سرعتهم بالإرقال ، ويؤكد شدة الأمر بلفظ (حومة الموت) ، كما يكررها في العجز ، وهذه المفردات تناسب مناخ القتال ، وتلقفي ظلالاً من الهيبة في حديثة عن الأبطال الشجعان .

وانظر إلى فخامة الألفاظ التي تلعب دوراً مهماً في الإيحاء برؤية الشاعر ، واستمع لصدى موسيقاها الصاخب في قوله [١] :

أتدرونَ مَن لاقيتمُ فلَّ جيشُكُـــمْ	**لقيتُمْ ليوثاً أصْحَرَتْها العرائِـــنُ**
لقيتم صناديدَ العراق ومَن بهِــم	**إذا جاشَتِ الهيجاءُ تحمى الظّعائِـنُ**
وما كانَ منكمْ فارسٌ دونَ فــارسٍ	**ولكّنّهُ ما قدَّرَ اللهُ كائِـــنُ**

فالألفاظ التي استخدمها (أصحرتها ، العرائن ، صناديد ، جاشت ، الهيجاء)، كلها تنطوي على الشدة والبأس ، والتحمل والجلد ، والجرأة والشجاعة ، وما تلك إلا صفات الأبطال الفرسان .

إن الشعراء الأمويين في وصفهم لأبطالهم استخدموا ألفاظاً تقترب من الخشونة والوعورة أحياناً ، وتتصف بالقوة وشدة الانفعال ، فأوصلوا بها حماسة الأبطال وشجاعتهم ، يقول جرير في مدحه للأبطال ، ووصفه إقدامهم واستبسالهم [٢] :

لِمازنٍ صخرةٌ صَمَّاءُ راسيَـــة	**تُنْبي الصَّفا حينَ تَرْديهنَّ صَيْخَـادُ** [٣]
هُمُ الحُماةُ إذا ما الخيلُ شَمَّصَهـا	**وَقْعُ القَنَا وَنَضَتْ عَنْهُنَّ ألْبَـادُ** [٤]
وانْسلَّتِ الهُنْدُوانياتُ ليسَ لهـا	**إلا جماجِمَ هامِ القوْمِ أغمــادُ**
وكُلُّ أسْمَرَ خَطِّيٍّ يُقحِّمُـــهُ	**في حوْمَةِ الموتِ إصْدارٌ وإيـرادُ**

لاشك أن مفرداته مثل (الصخرة الصماء ، الصفا ، الصيخاد)، فيها خشونة ، وتومئ بجلد وقوة تحمل ، كما يستلزم الحديث عن الأبطال ، حديث عن أدواتهم ، مثل الهندوانيات ، والقنا ، والأغماد ،...، التي تفتك بهامات العدو وتعطف برؤوسهم .

وتحدث مفردات الفرزدق جلبة عالية ، وتسمع منها صليل السيوف، وتشاجر الرماح ، وصهيل الخيل ودفع حوافرها ، إنها ألفاظ صلبة قوية ، تنبع منها الحماسة، وتمتلئ بالانفعال [٥]:

---

[1] . المنقري ، أبو الفضل نصر بن مزاحم بن سيار (ت٢١٢هـ)، ، وقعة صفين ، ط٢، (تحقيق عبد السلام هارون)، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٢، ص٤٣٣.

[2] . جرير ، ديوانه ، ٢ : ٧٢٦ .

[3] . ترديهن : أراد حين يردينها ، أي يصدمنها ، فقلب . الصيخاد : الشديدة الحر . الصفا : الحجارة الصلبة الضخمة .

[4] . شمصها : نخسها . نضت : خلعت . ألباد : الواحد لبد ، وهو ما يوضع على ظهر الفرس تحت السرج .

[5] . الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ٢١٦ .

غدَوْا كَسُيوفِ الهِنْدِ وُرَّادَ حَوْمَـةٍ ... منَ الموتِ ، أعْيا ورْدَهُنَّ المَصـادِرُ

فوارسُ حاموا عن حَريمٍ وحافظوا ... بدار المنايا ، والقنا مُتَشاجِـرُ

كأنَّهُمُ تحتَ الخَوافِقِ إذْ غـدَوا ... إلى الموتِ أُسْدُ الغابتينِ الهَواصِـرُ

فلَوْ أنَّ سَلْمى نالَها مِثْلُ رُزْئِنـا ... لَهُدّتْ ، ولكن تَحْمِلُ الرُّزْءَ عامِـرُ [١]

ويقول عمر بن لجأ التيمي مستخدماً الألفاظ ذاتها ، والتي تعبر عن بسالة لا يضعفها شيء ، وقوة لا يلين جانبها ، مظهراً عبرها صورة السيوف المخضبة بدماء العدو [٢] :

نَزَلْنا للكتائبِ حـينَ دارَتْ ... وَقَدْ رَعَشَ الجَبانُ عن النّـزُولِ

مُسَهَّلَةٍ نوافِذُها وَضَـرْبٍ ... كأفواهِ المقرَّحَةِ الهُـدولِ

فَرَوَّيْنا بِمَجِّ الهامِ منهُـمْ ... مضاربَ كُلِّ ذي سيفٍ صقيـلِ

فأَمْسَتْ فيهم القتلى كَخُشْـبٍ ... نفاها السَّيْلُ عن دَرَجِ المَسيـلِ

وخَبَّرَ عن مَصارعِ مَنْ قتَلْنـا ... فلولُ الجيشِ شابَ إلى اللكـولِ

وهم كذلك من حيث جزالة اللفظ ، وقوة العبارة ، ومتانة السبك ، في وصفهم النوق والخيل ، وهم محقون في ذلك ، إذ أن الخيل صلبة قوية ، استخدمها البطل لإبراز بطولته ، وقاتل من فوقها الأعداء ، وقارع الخصوم ، تحمّلت معه شدة القتال ، فكانوا في كلماتهم وألفاظهم يصورون قوتها وصلابتها ، ومتانة تعابيرهم من متانتها ، فهذا الأخطل يصّور قوة الخيل وإقدامها بقوله [٣] :

والخيلُ تعدو بالكُماةِ كأنّهـا ... أُسْدُ الغَياطِلِ ، مِن فوارسِ تَغْلِـبِ

وينتقي مفرداته التي توحي بدلالات الشدة والقوة ، يصور من خلالها خيول الأبطال [٤] :

والخَيلُ عابِسَةٌ ، كأنَّ فُروجَهـا ... ونُحورَها يَنْضَحْنَ بالجِرْيـالِ [٥]

إنهم يستخدمون الألفاظ الوعرة ، التي تحتاج معها إلى استخدام المعجم ، وما ذلك إلا للتعبير عن قوة البطل وبأسه ، وصلابة أدواته من خيل ، وسيف ، ورمح ، وغير ذلك ، يقول المتوكل الليثي في فرسه [٦] :

---

[1] . سلمى : جبل لبني طيء .
[2] . التيمي ، عمر بن لجأ ، شعره ، ص ١٢٤ .
[3] . الأخطل ، ديوانه ، ص ٩٢ .
[4] . الأخطل ، ديوانه ، ص ١٤٤ .
[5] . ينضح : يرمي . الجريال : الخمر ، شبه الدماء بها .
[6] . الليثي ، المتوكل ، شعره ، ص ٢١٩ ـ ص ٢٢١ .

وقدْ أرُوعُ سَوامَ الحَيِّ تحْمِلُنــي	**شَقَّاءُ مثلُ عُقابِ الدَّجْنِ قيـــدودُ**
حَقْباءُ سَهْلَبَةُ السَّاقينِ مُنْهِبَــةٌ	**في لحْمِها من وجيفِ القومِ تخديـدُ [١]**
تؤخّرُ السَّرْجَ تأخيراً إذا جَمَــزَتْ	**عنْ متْنِها وحِزامُ السَّرْجِ مشــدودُ [٢]**
ترى بسُنْبُكِها وَقْعَاً تُبَيِّنُـــهُ	**كأنَّهُ في جديدِ الأرضِ أخْـــدودُ [٣]**
في رأسِها حينَ يَنْدَى عِطْفُها صَدَدٌ	**وفي مناكِبِها للشَّدِّ تحديـــدُ [٤]**
كأنَّها هِقْلَةٌ رَبْدَاءُ عارضُهـــا	**هَيْقٌ تأوَّبَ جُنْحَ الليلِ مطـرودُ [٥]**

وتتبدى جزالة الألفاظ ، ومتانة العبارات ، وشدة صخبها ، في قول المتوكل الليثي في الخيل التي ترهب الأعداء بسرعة عدوها [٦] :

عوجٌ عناجيجٌ تُباري الــوَغى	**مِثْلُ المَغالي لحْمُها ذابـــلُ**
يَخْرُجْنَ من أكْدَرَ مُعْصَوْصِـبٍ	**ورْدَ القطا يَحْفِزُهَا الوابـــلُ**
بكُلِّ كَهْلٍ وفتى نَجْـــدَةٍ	**يَصُدُّ عنهُ البَطَلُ الباسِـــلُ**

لقد غابت في مقطعات شعر البطولة الحربية عند شعراء العصر الأموي الألفاظ البسيطة ، والتراكيب العذبة السلسة الرقيقة ـ نسبياً ـ ، وحلت مكانها الألفاظ القوية ، ذات الفخامة والإغراب ـ أحياناً ـ ، التي تتسم بالجرس الموسيقي الصارخ ، يسوقها الشاعر في تراكيب عامرة بالحركة ، وعبارات مفعمة بالانفعال والحماسة ، وكل ذلك من شانه أن يعطي بعداً جمالياً ودلالياً خاصاً بمقام البطولة وأدواتها .

وثمة ألفاظ الصبر والتجلد في المقطعات الشعرية الأموية ، وقد أغنت هذه الألفاظ الشعر بدلالاتها النفسية والمعنوية ، يقول الوليد بن يزيد [٧] :

أتاني سنانٌ بالوداع لمؤمِـــنٍ	**فقلتُ له : إني إلى اللهِ راجِـــعُ [٨]**
وكيفَ بكائي مؤمِناً ولقـــد أرى	**بأني له يا نفسُ لابدَّ تابـــعُ**

---

[1] . حقباء : أي بياض في حقويها ، والمذكر أحقب ، والأصل صفة للحمار الوحشي ، ويصف هنا الفرس . سهلبة الساقين : طويلة الساقين . منهبة : سابقة . الوجيف : ضرب من سير الخيل والإبل . في لحمها تخديد : أي هزال وتشنج من كثرة ما أعملها .

[2] . جمزت : سارت الجمز ، وهو ضرب من السير أشد من العَنَق ، والفرس تعدو الجمزى .

[3] . السنبك : طرف مقدم الحافر ، والجمع سنابك .و الوقع : الأثر الذي يتركه السنبك في الأرض . جديد الأرض : وجه الأرض .

[4] . عطفها : جانبها . الصدد : الميل والإعراض ، أي تميل برأسها وتضج به . المناكب : جمع منكب ، وهو مجمع عظم العضد والكتف . الشد : العَدْو .

[5] . هقلة : الفتية من النعام ، والفتى منه هقل . ربداء : لونها أربد ، اللون الذي يميل إلى الغبرة . هيف : ظليم ، وهوم ذكر النعام .

[6] . المصدر نفسه ، ص٢٤٤ .

[7] . الوليد بن يزيد ، ديوانه ، ص ٧٨ .

[8] . سنان : من كتاب الوليد بن يزيد ، وكان مغنياً يرافق الوليد في رحلاته الصحراوية ، وهو الذي نعى إليه إبنه مؤمناً . (انظر : أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، ٧ : ٦٩) .

يقولونَ : لا تجْزع وأظْهِرْ جَـلادَةً　　　فكيفَ بما تُحْنى عليهِ الأضالِـــعُ

وتظهر ألفاظ التصبر وتعابيره لدى النعمان الأنصاري في قوله [1] :

كريمُ البلاءِ صبور اللِّقـــا　　　ءِ صافي الثَّناءِ قليل العِلـــل

إن الشعراء الأمويين يتخيرون في مواطن الصبر ألفاظاً ذات دلالات معنوية - في الأغلب – تدعو إلى التجلد والصبر، منها المواساة والتعزية ، وقلة المبالاة ، وعدم اليأس ، وشدة التحمل ، يقول عدي بن الرقاع [2] :

قد سادَ وهو فتىً حتى إذا بَلَغـتْ　　　أشُدَّهُ وغلاَ في الأمْرِ واجتَمَعـــا

وعَلَّقَ الله أسبابَ الأمور بـــهِ　　　ولم يُطِقْ حامِلٌ فوقَ الذي اضطلَعـا

فما شكَا ظهْرَهُ من حملِ مَضْلَعِـهِ　　　ولا تَكَعْكَعَ مِن وَقْرٍ ولا ظلَعَـــا [3]

وتبدل الأيام ، والبؤس والنعمى ، وقضاء الله ، وحسن التصبر والجلد ، والأجر والثواب عند الله ، عبارات تكشف عن عمق إيمان صاحبها بفضيلة الصبر وأهميتها ، يقول العرجي [4] :

فللصَّبْرُ عندَ انْفِتالِ الزَّمـــا　　　نِ بالمَرْءِ فيما رَجَا أنْجَـــحُ

ويدعو نفسه للتصبر والتحمل ، فيقول [5] :

فقلْتُ ـ تجلُّداً ، وحَلَفْتُ صَبْـراً ـ　　　أبالي اليومَ لو دَمَعَتْ مَآقـــي

ويصبر كعب بن عميرة احتساباً عند الله تعالى ، وطلباً لثوابه ، وقد غلب الأمل والرجاء في ألفاظه على اليأس والقنوط ، يقول [6] :

هذا عَتادي في الحُروبِ وإنَّنـــي　　　لآمُلُ أنْ ألْقى المنيّة صابــــرا

وباللهِ حَوْلي واحتيالي وقوَّتـــي　　　إذا لَقِحَتْ حربٌ تُشيبُ الحَــوادِرا [7]

وهناك ألفاظ يتشكل منها معجم الكرم والجود ، مثل القدور ، والحجارة ، والنيران المتقدة ، واستنباح الكلاب ، وثمة ألفاظ ذات دلالات معنوية ، منها الحمد ، والشكر ، والترحيب بالضيفان

---

1 . الأنصاري ، النعمان بن بشير ، شعره ، ص ١٠٧ .
2 . العاملي ، عدي بن الرقاع ، ديوانه ، ص ٢٢١ .
3 . تكعكع : تراجع .
4 . العرجي ، ديوانه ، ص ١٩٦ .
5 . المصدر نفسه ، ص ٢٨٠ .
6 . عباس ، شعر الخوارج ، ص ٥ .
7 . الحوادر : جمع حادر ، وهو الغلام الممتلئ بالشباب .

، والثناء على الرجل الكريم ، والدعاء له بالخير العميم ، يقول القطامي في بشاشة وجه أسماء بن خارجة لضيوفه [١] :

إذا نحنُ زُرْنا بيتَهُ قال : مرحَبــاً	**لِجوا ، ثمّ لمْ يَعْرِضْ لنا بالسَّخائِــمِ** [٢]
ألمْ ترَ أنَّا كَسوْناكَ حلَّــــةً	**نَمَتْ بكَ ليْستْ لِلّئامِ الدَمائِـــمِ** [٣]

ويظهر الثناء على الرجل الكريم ، ومدحه لجوده وسخائه ـ بألفاظ تنسجم لتشكل تراكيب دالة على ذلك ـ في قول عبد الله بن الزبير الأسدي [٤] :

كأنَّ بني أميَّة حولَ بشْـــرٍ	**نجومٌ وَسْطها قمرٌ منيــــــرُ**
هو الفَرْعُ المُقدَّمُ من قريـــشٍ	**إذا أخَذَتْ مآخِذَهَا الأمـــــورُ**
لقد عمَّتْ نوافِلُهُ فأضْحــــى	**غنيَّاً من نوافِلِهِ الفقيــــــرُ**
جَبَرْتَ مهيضَنَا وعَدَلْتَ فينـــا	**فعاشَ البائِسُ الكَلُّ الكَسيـــرُ** [٥]
فأنْتَ الغيثُ قد عَلِمَتْ قريـــشٌ	**لنا والواكِفُ الجَوْنُ المَطيـــرُ** [٦]

وقد حرص أجواد العرب على التهلل في وجه ضيفهم والترحيب به ، وعبرت عن ذلك ألفاظ مسكين الدارمي ، الذي عدّ بشاشة وجه الكريم من خصب القرى وكثرته [٧] :

أضاحِكُ ضيفي قبلَ إنزالِ رحْلِــهِ	**ويخصبُ عندي والمحلُّ جديـــبُ**
وما الخِصب للأضيافِ أن يكثر القِرى	**ولكنما وجهُ الكريمِ خصيـــــبُ**

وأتى النعمان الأنصاري على ذكر الجفان ، فقال [٨] :

مساميحُ بالخير إذ رَبَّبَـــتْ	**رياحُ الشتاءِ ، بنَحْسٍ شَمَـــلْ**
أهانوا الصَّبوحَ بغُرِّ الجِفـــا	**نِ مُعْتَكَراتٍ خلالَ المَحَـــلْ**
ركوداً رواسيَ من يأتهـــم	**بضُرٍّ يَؤُلْ بكريمِ النَّفَـــلْ**

واستنباح الكلاب أمر اهتم به البطل الجواد ، ليدل به الضالين ليلاً فيعرفوا أن ثمة كريماً مطعماً يدعو الضيفان لموائده ، يقول الفرزدق [٩] :

---

[1] . القطامي ، ديوانه ، ص ٧١ .
[2] . السخائم : جمع سخيمة ، وهي الحقد والضغينة والموجدة في النفس .
[3] . حلّة : مدحة . الدمائم : القبائح .
[4] . الأسدي ، عبد الله بن الزبير ، شعره ، ص٨٢ ـ ص٨٣ . وانظر شواهد أخرى : ص٩، ص١١، ص١٠١، ص١٠٧، ص١١٢ .
[5] . هاض العظم : كسر بعد الجبور ، أو بعدما كاد ينجبر ، فهو مهيض . الكَلُّ : من كان عيالاً وثقلاً على صاحبه .
[6] . الواكف : المطر المنهمر . الجون : يطلق على الأسود والأبيض من الأضداد ، وأراد هنا الأسود ، وهو السحاب الكثيف المتراكم .
[7] . مسكين الدارمي ، ديوانه ، ص٢٤ .
[8] . الأنصاري ، النعمان بن بشير ، شعره ، ص ١١٠ .
[9] . الفرزدق ، ديوانه ، ٢ : ٢٥٤ .

وداعٍ بِنَبْحِ الكَلْبِ يدعو ، ودونَــهُ　　　غياطِلُ مِنْ دَهْماءَ داجٍ بهيمُهـا [1]
دَعَا ، وهو يرجو أن يُنَبِّهَ أدْرُعــاً　　　فتىً كابنِ ليلى ، حينَ غارتْ نجومُها

ويشتمل رثاء الشاعر للبطل على ألفاظ الكرم المادي ، كذكره انطفاء ناره التي أعدها لقرى الضيفان ، يقول الفرزدق في رثاء أبيه [2] :

وقد خَمَدَتْ نار القِرى بعدَ غالــبٍ　　　وَقصَّرَ عن معروفِهِ كلُّ فاعِـــلِ

والألفاظ الدالة على الحلم والصفح والمروءة قريبة من ألفاظ الصبر والقوة والشجاعة ، وقد تخير الشعراء الأمويون ألفاظاً موحية دالة تمثلت في العفة ، والصفح ، والتسامح ، وعزة النفس ، والإيثار ، والترفع عن صغائر الأمور ، والتحلي بالهيبة والوقار ، وإجارة الضعيف ، وفك العاني ، وإتمام العهود ، والوفاء بالمواثيق ، ومن المقطوعات التي دلت ألفاظها على الإباء والعزة قول أبي دهبل الجمحي [3] :

فشنّت بها شعواءَ في خير فتيــةٍ　　　تخلَّتْ لكسْبِ المكرُماتِ همومهـــا
على أنَّ فيها مفْخراً لو سَمَتْ بــهِ　　　إلى الشمسِ لم تحجب سناها غيومُها
فجرَّدنَ من سحبِ الإباءِ بوارقــاً　　　يشيمُ الفنا قبل الفنا من يُشيمُهـــا
فما صعَّرتْ خدَّاً لإحرازِ عـــزّةٍ　　　إذا كان فيها ساعة ما يُضيمُهـــا

وتظهر الألفاظ الدالة على الثقة بالنفس ، ومضاء العزيمة ، والوفاء بالعهد ، في قول عدي بن الرقاع [4] :

وثيقُ القُوَى لا ينقُضُ القوْلَ عُقْدَهُ　　　ولا ينكث الأمْرَ القويُّ المُشــاورُ

وإجارة الضعيف ، وحماية المستجير ، هي معان عبرت عنها ألفاظ الفرزدق، حيث قال [5] :

أرى اللهَ قدْ أعطى ابنَ عاتكة الـذي　　　لهُ الدِّنُ أمْسى مستقيمَ السَّوالِـفِ
تُقى اللهِ والحُكمِ الذي ليسَ مِثْلُــهُ　　　ورأفةَ مَهْدِيٍّ على الناسِ عاطِـفِ
ولا جارَ بعدَ اللهِ خيرٌ منَ الـــذي　　　وَضَعْتُ إلى أبوابِهِ رَحْلَ خائِــفِ
إلى خيرِ جارٍ مُسْتجارٍ بحَبْلِـــهِ　　　وأوْفاهُ حبْلاً للطَّريدِ المُشــارِفِ [1]

---

1 . الغياطل : جمع غيطل ، وهو الظلمة المتراكمة .
2 . المصدر نفسه ، ٢ : ٦٥ .
3 . الجمحي ، أبو دهبل ، ديوانه ، ص ٨٨ .
4 . العاملي ، عدي بن الرقاع ، ديوانه ، ص ٢٠٠ .
5 . الفرزدق ، ديوانه ، ٢ : ١٧ .

والحياء ، وعفة النفس ، من الألفاظ ذات الإيقاع الهادئ في الشعر ، التي صور من خلالها البطل ترفعه عن سقط الأمور وسفاسفها ، يقول كثير عزة [٢] :

وإنّي ليَثْنيني الحياءُ فأنْثنـــي وأقْعُدُ والمَمْشى إليْكِ قريـــبُ

وآتي بيوتاً حَوْلَكُم لا أُحِبُّهـــا وأُكْثِرُ هَجْرَ البيتِ وهوَ جَنيـبُ [٣]

وإن صفاء الخليقة ، وكف الأذى ، ومنح الود والنصرة ، من المعاني التي حرص الشعراء الأمويون على توظيفها في مقطوعاتهم الشعرية التي تحدثوا فيها عن سجايا الأبطال ، يقول مسكين الدارمي [٤] :

أديمُ خلْقي لِمَنْ دامَتْ خليقتُـــهُ وأمْزُجُ الحلو أحياناً لمن مَزَجـا

وأقْطعُ الخرقَ بالخرْقاءِ لاهيـــةً إذا الكواكبُ كانتْ في الدُّجى سرجـا

ويقول عبد الله بن معاوية في خصال البطل ، مثل صفاء وده وإدامته له ، ونبذه قطع الأواصر والعلاقات ، وحسن معاملته ومصاحبته لمن استحقها ، مستخدماً الألفاظ التي تومئ لما يرمي إليه [٥] :

أصافي خليلي ما استقامَ بـــودِّهِ وأمْنَحُهُ ودِّي إذا يَتَجَنَّـــــبُ

ولسْتُ ببادي صاحبي بقطيعـــةٍ ولسْتُ بمُفْشٍ سِرَّهُ حينَ يغْضَـبُ

عليكَ بإخوانِ الثِّقاتِ فإنَّهُـــم قليلٌ ، فَصِلْهُمْ دونَ مَنْ كُنْتَ تَصْحَبُ

وما الخدْنُ إلا مَن صَفا لَـكَ ودُّهُ وَمَنْ هوَ ذو نصحٍ وأنْتَ مُغيَّـبُ

ويجعل سابق البربري حلمه مقابل سفه السفيه ، وصفحه رداً على زيغ الجاني ، فهو لذلك بطل حليم عفو ، وألفاظ الحلم والصفح والعفو التي استعملها في مقطوعته موفقة في موضعها مبنى ومعنى [٦] :

لا تُظْهِرَنَّ لذِي جهلٍ معاتَبَـــةً فَرُبَّما هُيِّجَتْ بالشّيءِ أشْيـــاءُ

فالماءُ يُخمِدُ حرَّ النارِ يُطْفِئها وليسَ للجهلِ غيرَ الحِلْمِ إطْفـاءُ

---

[1] . المشارف : الذي شارف على الهلاك .
[2] . كثير عزة ، ديوانه ، ص ١٦٥ .
[3] . جنيب : مجاور قريب .
[4] . مسكين الدارمي ، ديوانه ، ص٢٨ .
[5] . عبد الله بن معاوية ، شعره ، ص ٣٠ .
[6] . البربري ، سابق ، شعره ، ص ٣٩ .

تَرى السَّفيهَ له عن كلِّ مَحْلَمَــةٍ زَيْغٌ وفيهِ إلى التَّسْفيهِ إصْغـــاءُ

أخْمِدْ بحِلْمِكَ ما يُذْكيهِ ذو سَفَــهٍ مِن نارِ غَيْظِكَ واصفَحْ إن جنى جاني

فالحِلْمُ أفْضَلُ ما ازدانَ اللبيبُ بــهِ والأخْذُ بالعفْوِ أحْلى ما جنى جانــي

لقد كان للبطولة في العصر الأموي ألفاظها الخاصة بها ، التي تميزت بالقوة والفخامة والجزالة بشكل عام ، واتسمت بعلو جرسها الموسيقي ، وقد فرضت على شعرائها ـ الذين تغنوا بحماسة الأبطال ، وفخروا بعزتهم وإبائهم ، وامتدحوا حلمهم وعفتهم وحزمهم ، وأثنوا على وفائهم وصبرهم ـ ، " أن تجيء أشعارهم فيها قوية رصينة ، ذات جرس وجزالة ، لتكون كلماتها ظروفاً لقعقعة السلاح ، وحمحمات الخيل ، وصراع الأبطال ، واحتدام المعارك " [1]، واتصف أسلوب شعر البطولة بالرصانة والوضوح ، والبعد عن التفلسف والتعقيد ، فجاءت رؤيته واضحة ومعانيه منفتحة ، ولذا فإن أشعار البطولة في أسلوبها ميسورة العبارة ، واضحة الفكر ، ميزها جودة السبك ، وروعة الأداء ، ومتانة التراكيب ، وفخامة النسج ، تظهر منها طبيعة حياتهم ، وقيمها العليا ، ومثلها السامية ، فلا وجود فيها لتكلف أو حشو ، كما أنها كانت صادقة في نقل ما يعتلج في نفوس القوم ، معبرة عن عواطفهم وحبهم لقيم البطولة ، وحرصهم على التحلي بها ، وإعجابهم بأصحابها المتميزين عن سائر الناس .

[1] . المحاسني ، زكي (١٩٦١) ، شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عصر سيف الدولة ، دار المعارف ، مصر ، ص ١٣٦ .

ثانياً : الصورة الشعرية :

إذا كان حرص شعراء العصر الأموي على ألفاظهم وأسلوبهم شديداً ، فإن اهتمامهم بصورهم الشعرية أشد ، إذ أن الصورة الفنية وسيلة من وسائل التعبير عن التجربة الشعرية ، والصور يؤدي بعضها إلى بعض ، ويحقق كل منها ـ مع ذلك ـ وجوده المستقل ، ولذا فإن " ذروة استقلال الصورة وخضوعها وتبعيتها معاً " [1] ، ولقد اعتمد الشعراء الأمويون في تصويرهم البطولة والبطل على طائفة من الفنون البيانية ، مثل التشبيه ، والكناية ، والاستعارة ، وغيرها ، التي تساعد في توضيح المعنى الذي يطرقونه .

إن الفنون البيانية ـ كما يذكر عبد القاهر الجرجاني ـ ذات قدرة على التصوير ، والتشخيص ، والتجسيم ، فالتشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، تهدف إلى الإيضاح ، حتى أنك " ترى بها الجماد حيّاً ناطقاً ، والأعجم فصيحاً ، والأجسام الخرس مبينة ، والمعاني الخفية بادية جلية " [2] ،

---

[1] . ناصف ، مصطفى (١٩٥٨) ، الصورة الأدبية ، ط ١، مكتبة مصر ، القاهرة ، ص ٢٤٦ .
[2] الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١ هـ) ، أسرار البلاغة ، (تحقيق هلموت ريتر) ، مطبعة وزارة المعارف ، اسطنبول ، ١٩٥٤ ، ص ٤١ .

ويرى ابن الأثير أن علم البيان هو إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخيل والتصوير ، حتى يكاد ينظر إليه عياناً [١] .

والتشبيهات عمود من أعمدة البيان ، وورودها في المقطعات الشعرية الأموية كثير ، فقد حرص الشعراء على الإتيان بهذه التشبيهات لخلق صورة مثال للبطل ، فالبطل يشبه الصقر في انقضاضه على فريسته ، فهو يندفع نحو عدوه بكل بسالة وجرأة ، يقول جرير [٢]:

وإنَّ بني رفاعة من تميـــــمٍ	**هُمُ اللَّجَأ المُؤَمَّلُ والنَّصيــــرُ**
هُمُ الأخيارُ مَنْسَكَةً وهَدْيــــاً	**وفي الهيجا كأنَّهُمُ الصُّقـــورُ**

وكتائب الجيش يصورها الفرزدق بالليل المتداخل في بعضه ، يرتدي أفرادها الدروع التي تشبه الثلج لبياضها ولمعانها [٣] :

وكُلَّ يومِ هِياجٍ نحنُ قادَتُــــهُ	**إذا الكُماةُ جَثَوْا والكَبْشُ للرُّكَـبِ**
مِنَّا كتائبُ مِثْلُ الليلِ نَجْنُبُهـــا	**بالجُرْدِ والبارقاتِ البيْضِ واليَلَبِ [٤]**
وكُلِّ فضفاضةٍ كالثَّلْجِ مُحْكَمَـــةٍ	**ما تَرْثَعِنَّ لِدَسِّ النَّبْلِ بالقُطَـبِ [٥]**

وكان السيف من أبرز أدوات البطل الحربي ، به يقاتل الأعداء ، ويذود عن الحمى ، ولذا فقد شبهه الراعي النميري بالشهاب اللامع [٦] :

قتلناكُمْ ببلدةِ كُـــــلِّ أرضٍ	**وكُنَّا في الحروبِ مُجَرَّبينـــــا**
بأسيافٍ لنا متوارثـــــــاتٍ	**كشُهْبانٍ بأيدي مُصْلَتينـــــا**

وتشبيه البطل الحربي بالليث جاء عند جرير في قوله [٧]:

وأبْناءُ إسحقَ الليوثُ إذا ارْتَــدَوْا	**مَحَامِلَ مَوْتٍ لابسينا السَّنَـوَّرَا [٨]**

---

[١] . انظر : ابن الأثير ، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد الجزري (ت٦٣٧ هـ) ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ط١ ، ٤ أجزاء ، (تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة) ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ١ : ١١١ .
[٢] . جرير ، ديوانه ، ١ : ٤٦٢ .
[٣] . الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ٤٠ .
[٤] . البارقات البيض : السيوف . اليلب : الترسة ، أو الدروع اليمانية من الجلود .
[٥] . ترثعن : تسترخي . القطب : جمع قطبة ، وهي نصل صغير قصير مربع في طرف سهم .
[٦] . الراعي النميري ، شعره ، ص ١٥٥ .
[٧] . جرير ، ديوانه ، ١ : ٤٧٢ .
[٨] . السَّنوَّر : الدروع والسلاح .

وتشبيه البطل الجواد بالليث الذي يشمخ أمام الآخرين ولا يتخفى عنهم عند أبي دهبل الجمحي ، أكثر قوة وتأثيراً [١] :

عُدَّ إذا ورد السَّاقونَ جُمَّتَـــهُ   لم يقُلْ الآخر الساقي لهم ميحـوا

منتطقٌ حين أرْغى غير مكتتـــمٍ   كالليثِ لم يخفه القيصومُ والشيـحُ

حلو الشمائلِ لا تقلى خلائقـــه   له إلى غمرات الموتِ تجليـــحُ

ويظهر تشبيه البطل الحربي بالليث الذي تتحاشاه الأسود مهابة منه لدى الراعي النميري [٢] :

وأنتَ ابنُ أمْلاكٍ وليثُ خَفِيَّـــةٍ   تفادى الأسودُ الغُلْبُ منهُ تفادِيـا [٣]

والبطل الحربي كالليث الجسور عند ابن قيس الرقيات [٤] :

حَمِسٌ باللِّواءِ ، لَيْثٌ إذا مـــا   رايةُ الموتِ بالمنايا تـــدورُ

حينَ لا يُقْدِمُ الجبانُ ، ولا يَصْـــ   ـبرُ إلا المُشَيِّعُ النِّحْريـــرُ

تنوعت تشبيهات البطل لدى الشعراء الأمويين ، فوجهه يشبه قرص الشمس ، فيبدو قريباً إلا أنه عالٍ في أفق السماء ، يقول عبد الله بن الزبير الأسدي [٥] :

رايْتُكَ كالشُّموسِ تُرى قريبـــاً   وتمْنعُ مَسْحَ ناصيةٍ وخَـــدِّ

وكذلك شبه سراقة البارقي البطل الأبي بالشمس لرفعته ، وعلو كرامته [٦] :

أغرُّ كَقَرْنِ الشَّمْسِ أرْوَعَ ماجِـدٌ   نجيبٌ على الأعداءِ ليسَ بناكِـلِ

وهو كالهلال علواً وألقاً في قول نصيب بن رباح [٧] :

أبا مروانَ لستُ بخارجـــيٍّ   وليسَ قديمُ مجدكَ بانتحـــالِ [٨]

أغرّ إذا الرِّواقُ انجابَ عنـــهُ   بدا مثلَ الهلالِ على مثـــالِ [٩]

تراآه العيونُ كما تـــراءى   عشية فِطرها وضحَ الهـــلالِ

---

[1] . الجمحي ، أبو دهبل ، ديوانه ، ص ٢٣ .
[2] . الراعي النميري ، شعره ، ص ١١٦ .
[3] . خفية : غيضة ملتفة تتخذها الأسود عريسة .
[4] . الرقيات ، ابن قيس ، شعره ، ص ١٩٤ . وانظر شواهد أخرى : ص ٣٢١ .
[5] . الأسدي ، عبد الله بن الزبير ، شعره ، ص ٧٢ .
[6] . البارقي ، سراقة ، ديوانه ، ص ٨١ .
[7] . ابن رباح ، نصيب ، شعره ، ص ٧٢ .
[8] . الخارجي : الذي يخرج ويشرف بنفسه دون قديم مجد .
[9] . الرِّواق : كساء مرسل على مقدم البيت من أعلاه إلى الأرض .

ومن الصور التي أغنت الشعر الأموي ، تشبيه البطل الأبي الحازم بالسيف القاطع ، يقول كثير عزة (١) :

أبي مروانَ لا تعدلْ ســـــواهُ	**به أحداً وأينَ به عديـــــلُ**
بطاحيٌّ لهُ نسبٌ مصفــــــّى	**وأخلاقٌ لها عرضٌ وطـــولُ**
فقد طلبَ المكارمَ فاحتواهــــا	**أغرُّ كأنَّهُ سيفٌ صقيـــــلُ**

وقد حسن التشبيه وراق عند ابن قيس الرقيات ، لأنه يفضي إلى معانٍ لطيفةٍ في البطل ، فعندما يشبه جبينه بالسيف المصقول ، ينم ذلك عن جلادته ، وإبائه ، ومضاء عزيمته ، وقوة شكيمته (٢) :

أغرُّ ! تَفرَّجُ الغمَراتُ عنـــــهُ	**كأنَّ جبينهُ سيفٌ صقيـــــلُ**
يُهابُ صَرِيفُ نابَيْهِ ، ويُخْشَـــى	**إذا عَدلتْ شقاشِقُها الفُحــولُ (٣)**

ويتخير الشعراء ـ في مجال الكرم ـ تشبيهات ذات ارتباط بأبطالهم ، فالبطل الكريم كما يصوره كثيّر عزة ، بحر واسع ، يعم خيره الجميع (٤) :

كلا يوْميهِ بالمعروفِ طلْـــقٌ	**وكُلُّ فعالِهِ حَسَنٌ جميـــلُ**
جوادٌ سابقٌ في اليُسْرِ بحْـــرٌ	**وفي العِلاّتِ وهَّابٌ بـــَذولُ**

ويدا البطل الجواد كالغمام ، تسح مطراً غزيراً ، وهذا التشبيه يسوقه الأخطل في مقطوعته ، ليصور سخاء البطل ، وعظم عطائه (٥) :

أخالِدُ ، أعلى الناسِ بيتاً وموْضِعـاً	**أغِثْنا بسَيْبٍ ، من نداكَ ، غزيــر**
إذا ما اعتراهُ المُعْتفونَ تحَلَّبَــتْ	**يداهُ برَيَّانِ الغمامِ ، مطيــــرِ**

وهو الغيث الذي ينجد الناس من القحط والمحل ، فيغني فقيرهم ، ويجيب سائلهم ، ويطعم الملهوف البائس ، يقول عبد الله بن الزبير الأسدي (٦) :

لقد عمّتْ نوافِلُهُ فأضْحــــى	**غنياً من نوافِلِهِ الفقيــــرُ**

---

[1] . كثير عزة ، ديوانه ، ص ١٢٠ .
[2] . الرقيات ، ابن قيس ، شعره ، ص ٢٨٣ .
[3] . الشقاشق : جمع الشقشقة ، وهي شيء كالرئة يخرجها البعير من فيه إذا هاج .
[4] . كثير عزة ، ديوانه ، ص ١٢٠ .
[5] . الأخطل ، ديوانه ، ص ٦٤ .
[6] . الأسدي ، عبد الله بن الزبير ، شعره ، ص ٨٣ .

جبَرْتَ مهيضنا وعَدَلْتَ فينـــا ... فعاش البائسُ الكَلُّ الكسيـــرُ
فأنْتَ الغيثُ قد علِمَتْ قريـــشٌ ... لنا والواكِفُ الجَوْنُ المطيـــرُ

ويشبه القتال الكلابي البطل الكريم بالبحر الزاخر بالخيرات ، ينعم بكرمه المعتفون ، ويسد بعطاياه عوز المعوزين [(١)] :

بحْراً تَنازَعُهُ البحورُ تُمِـــدُّهُ ... إن البحورَ ترى لهُنَّ شرائِعـــا
ويبيتُ يستحيي الأمورَ وبطْنُـــهُ ... طيَّانَ ، طيَّ البرْدِ ، يُحْسَبُ جائِعـا
من غيرِ لا عُدْمٍ ولكن شيمـــةً ... إن الكرام هُمُ الكِرامُ طبائعـــا

ويصور أيضاً نار البطل ـ وهي إحدى أدوات بطولته ـ تصويراً رائقاً ، فيشبهها بثور الوحش الضخم الذي ارتقى نشزاً من الأرض ، فناره واضحة للبعيد والقريب ، كما هو جلاء الثور الذي يعتلي مكاناً مرتفعاً [(٢)] :

وتبيتُ نارُكَ باليفاع كأنّهـــا ... شاةُ الصِّوار علا مكاناً يافِعـــا

وفي صورة مبتكرة يشبه الفرزدق سعة قدور البطل الكريم بجوف الفيل ، ولضخامتها يطفو فيها البعير المذبوح كأنه الزبد ، أو ورق الشجر البالي [(٣)] :

وقُمْنا إلى دَهْماءَ ضامِنَةِ القِــرى ... غَضُوبٍ إذا ما استحملَوها الأثافيا [(٤)]
جَهُولٍ كَجَوْفِ الفيلِ لمْ يُرَ مثلُهـــا ... ترى الزَّوْرَ فيها كالغثاءَةِ طافيـــا

وكما شبه الشعراء البطل الحربي بالنجم ، فقد أناطوا التشبيه ذاته بالأبطال الكرماء ، فهم مثل النجوم التي تضيء ليل الفقراء المحتاجين ، وتنضو عنهم العوز والبؤس ، يقول ابن قيس الرقيات [(٥)] :

فهُمْ إذا جلَّلتْ مُدَجِّيَـــــةً ... نجومُ ليْلٍ تُنيرُ في الظُّلَـــمِ
ليْسوا يَمُنُّونَ فَضْلَهُمْ ، ولَهُـــمْ ... فضْلٌ علينا بأحْسَنِ النِّعَـــمِ

---

[1] . القتال الكلابي ، ديوانه ، ص ٦٩ .
[2] . المصدر نفسه ، ص ٦٩ .
[3] . الفرزدق ، ديوانه ، ٢ : ٣٥٧ .
[4] . دهماء : أراد قدراً سوداء . الغضوب : أراد أنها تصوت عند غليانها .
[5] . الرقيات ، ابن قيس ، شعره ، ص ١٨٨ .

ورسم كثير عزة صورة مشرقة للبطل الأبي ، فيها إشارة إلى رفعته وعزته ، فقد جعله كغصن البانة الطويل النضر (١) :

إذا ما غدا يهْتَزُّ للمجْدِ والنَّــدى   أشمُّ كغُصْنِ البانَةِ المُتَــوَرِّق

إن كل ما تقدم ذكره هو على سبيل المثال لا الحصر للتشبيهات التي وردت في ثنايا شعر البطولة في العصر الأموي ، وجل التشبيهات التي عرضت تقليدية ، استقاها الشعراء الأمويون من البيئات التي يعيشون فيها ، وهي محدودة ، وموادّهم التي شكلوا منها صورهم معروفة ، وجاءت هذه التشبيهات في أشعارهم عفوية دون تكلف في اختيارها ، ولا تصنع في صياغتها ، أو تعقيد في أدواتها وألفاظها .

وقد نشد شعراء العصر الأموي الإتيان بالمعاني الجيدة المنتقاة ، فتخيروا لها الألفاظ العذبة ذات الأثر الكبير في نفوس الناس ، واستعانوا بالمحسنات البيانية ، مثل الكناية ، ليرسموا صورة للبطل بميزات أكثر حسناً في مقطعاتهم الشعرية ، فقد كنى جرير عن حزم ممدوحه البطل وجلادته بالصخرة الصماء ، يقول (٢) :

لمازنٍ صخرةٌ صمّاءُ راسيـــةٌ   تُنْبي الصَّفا حينَ ترديهنَّ صَيْخَــادِ

وبدا الفرزدق موفقاً حين كنى عن بسالة البطل الحربي بشرائه النفائس بالسيف ، لأنه أداته الثمينة لخوض الحروب ، وإحراز السبق ونيل شرف البطولة (٣) :

هو المُشتري بالسّيفِ أفْضَلَ ما غـلا   إذا ما رَحَى الحرْبِ اسْتَدَرَّ ضِرابُهـا

وقد حرص كثير من الشعراء الأمويين على ذكر كنايات السلاح في مقطوعاتهم الشعرية ، وفي ذلك يقول الراعي النميري (٤) :

يُمْسي ضجيع خريدةٍ ومضاجعـي   عَضْبٌ رقيقُ الشّفرتين حســامُ

فالعضب والحسام كناية عن السيف القاطع .

واستخدم أرطأة بن سهية المري في الكناية عن السيف الألفاظ نفسها ، فقال (٥) :

[1] . كثير عزة ، ديوانه ، ص ٢١٧ .
[2] . جرير ، ديوانه ، ٢ : ٧٢٦ .
[3] . الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ٥١ .
[4] . الراعي النميري ، شعره ، ص ٢٤١ .
[5] . ابن سهية المري ، أرطأة ، شعره ، ص ٧٩ .

لقيْتَ الزّحوفَ فقاتَلْتَهـــا فجَرَّدْتَ عَضْباً حُسامـــا

ويكني الفرزدق عن الدرع ، بقوله (١) :

يحمي المكارمَ بالسيوفِ إذا عـلا صوتُ الظُّباتِ يُطِرْنَ كلَّ! شــرار

من كلِّ ذاتِ حبائكٍ ومُفاضـــةٍ بيضاءَ سابغةٍ على الأظفـــار

فالسابغة كناية عن درع البطل .

وكنى عنها المتوكل الليثي أيضاً ، بقوله (٢) :

فيهمْ فوارسُ لا ميلٌ ولا كُشُــفٌ عليهمْ زَغفٌ بالشَّكِّ مسْـــرودُ

فالزغف كناية عن الدروع اللينة الواسعة المنسوجة ، التي تداخلت حلقاتها بعضها ببعض .

وقد كنى عن الخيل بلفظة " شقاء " ، و " حقباء " ، و " سهلبة الساقين " ، و " منهبة " ، يقول (٣) :

وقدْ أروعُ سَوامَ الحيِّ تحمِلُنـــي شقَّاءُ مثلَ عُقابِ الدَّجْنِ قـــيدودُ

حَقْباءُ سَهْلَبَةُ السَّاقينِ مُنْهِبَـــةٌ في لحمِها من وجيفِ القوْمِ تخديـدُ

وفي وصف البطل الحربي كنى مسكين الدارمي عن شجاعة قومه وبأسهم بقوله (٤) :

جماجمنا يوم اللقاء برأسنـــا إلى الموتِ تمشي ليسَ فيها تجانُـفُ

وبالزّاغبية كنى يزيد بن حبناء عن الرمح ، فقال (٥) :

توقدُ في أيديهمُ زاعبيَّـــــة ومرْهفة تفْري شئونَ الجماجِــم

ولـم تقتصر كنايات شعراء العصر الأموي على أدوات البطولة الحربية ، بل اتسعت لتشمل أدوات بطولة الكرم ، مثل الجفان ، والقدور ، فكنى عنها الفرزدق بلفظة " الدسيعة " ، فقال (٦) :

قومٌ لهمْ حَسَبٌ ضَخْمٌ دَسيعَتُـــهُ زادُوا على بانياتِ المجدِ بنيانـــا

---

[1] . الفرزدق ، ديوانه ، ١ : ٣٠٦ .
[2] . الليثي ، المتوكل ، شعره ، ص ٢٢٦ .
[3] . الليثي ، المتوكل ، شعره ، ص ٢١٩ .
[4] . مسكين الدارمي ، ديوانه ، ص ٥٤ .
[5] . عباس ، شعر الخوارج ، ص ٣٧ .
[6] . الفرزدق ، ديوانه ، ٢ : ٣٣٦ .

واستعمل جرير لفظة الدسائع ، ليكني بها عن القدور الكبيرة ، فقال [1] :

على مَهْلٍ تمَكَّنَ في قريـــشٍ   لكُمْ عِظَمُ الدَّسائِعِ والرُّفـــودُ

وذكر النعمان الأنصاري المادة التي تصنع منها،وهي خشب الشيزى ، كناية عنها، يقول [2] :

مواهيبُ للممنوع خُرْسٌ عن الخَنـا   متاريعُ للشِّيْزى إذا طرَقتْ جَدْبــا

وفي مجال الكرم بوصفه سمة تميز بها الأبطال الأمويون ، كنى جرير عن كرم البطل وجوده بطول عظم ساعده [3] :

إنَّ المُهاجِرَ حينَ يَبْسُطُ كفّـــهُ   سَبْطُ البَنانِ طويلُ عَظْمِ السَّاعِــدِ

وأجاد كثير عزة حين كنى عن عزة البطل وإبائه بطول القميص [4] :

أُريدُ أبا مروانَ إني رأيتُـــهُ   كريماً وتَنْميهِ الفُروعُ الأطـــاولُ

طويلُ القميصِ لا يُذَمُّ جَنابُـــهُ   نبيلٌ إذا نيطتْ عليهِ الحمائِـــلُ

وقد جوّد الشعراء الأمويون في تخيرهم للاستعارات ، فهذا الفرزدق يجعل لنار البطل الكريم لساناً تجيب به المنادي [5] :

حلَفْتُ لهمْ إنْ لم تُجِبْهُ كِلابُنـــا   لأسْتَوْقِدَنْ ناراً تجيبُ المُناديـــا

عظيماً سَناها للعُفاةِ ، رفيعـــةً   تُسامي أنوفَ الموقِدينَ فنائيـــا

وقلتُ لعَبْدّيَّ : أسْعِراها ، فإنَّـــهُ   كفى بسَناها لابنِ إنْسِكَ داعيـــا

ويجسد الأخطل الموت ، ليجعل منه عدوّاً يترصد بالبطل ، ويترقب أن يؤمر به ، وحينئذ يستعمل في الإمساك به أحدّ ما لديه من سلاح [6] :

ونفْسُ المرْءِ ترصُدُها المنايـــا   وتحْذِرُ حوْلَها حتى يُصابـــا

إذا أمِرَتْ بهِ ألْقتْ عليـــهِ   أحدَّ سلاحِها ظفْراً ونابـــا

ويشخص رؤبة بن العجاج الموت ، فهو خصم عنيد ، يمكر به ، ويكيد له المكائد [7] :

---

1. جرير ، ديوانه ، ١ : ٢٩٠ .
2. الأنصاري ، النعمان بن بشير ، شعره ، ص ٨١ .
3. جرير ، ديوانه ، ٢ : ٦٣٧ .
4. كثير عزة ، ديوانه ، ص ٢٧٦ .
5. الفرزدق ، ديوانه ، ٢ : ٣٥٦ .
6. الأخطل ، ديوانه ، ص ٣٣٢ .
7. ابن العجاج ، رؤبة ، ديوانه ، ص ٨٤ .

إذا ما الموتُ أقبَلَ قبل قـــومٍ   أكَبَّ الحظَّ وانتَقصَ العديـــــدُ

أرانا لا يَفيقُ الموتُ منّـــــا   كأنَّ الموتَ إيأَنا يكيـــــدُ

وجعل أبو دهبل الجمحي الحرب وحشاً ، لشدة بطشها وضراوتها ، فاسند إليها فعلاً على سبيل المجاز ، وهو أبدت ، فقال [١] :

ونِعْمَ ابنُ أخْتِ القومِ عثمان في الوغى   إذا الحرْبُ أبْدَتْ نابَها وهي تكْلَحُ [٢]

لقد تنوعت الصور الفنية في شعر البطولة ، فظهرت الصور اللونية ، والسمعية ، والحركية ، والبصرية ، وغيرها ، بأسلوبٍ متنامٍ ، وانتظمت هذه الصور في النسيج العام الذي جاء في الغالب للحديث عن مظاهر الحياة وأفعال البطولة التي فاخر بها الأبطال ، ولعل أبرز الصور الحركية تلك التي ظهرت في الإشارة لسرعة الخيل ، وقوة الضرب ، والطعان ، و... ، فشكلت إطاراً بطولياً تتبدى فيه شدة بأس الأبطال ، وبراعتهم في القتال ، ومن ذلك ما مزجه القطامي من صور حركية وسمعية ولونية في ذات النص ، ليشكل لوحة معبرة أفصح تعبير عن فعل البطولة [٣] :

تَذكَّرْتُ هَمَّاماً وذكَّرني بـــــهِ   زمانٌ كأحْناءِ الرحالـــةِ آزِمُ [٤]

بأبْيَضَ ما ينفكُّ عاقِدَ رايـــــةٍ   لِمردٍ على جُرْدٍ لهُنَّ هماهِـــمُ [٥]

وخُيِّرَ فاختارَ الجِهادَ وقدْ يُـــرى   لديهِ نساءٌ مرشقاتٌ نواعِـــمُ [٦]

لأفْراسِهِ يوْماً على الدَّرْبِ غـــارةٌ   تصلْصِلُ في أشداقِهِنَّ الشَّكائِـــمُ

فخيل البطل قصار الشعر ، لها صوت مسموع غير مفهوم ، وسيفه أبيض ناصع ، يصدر صليلاً عالياً .

ومزج الفرزدق بين الصوت والحركة ، ليرسم صورة سمعية حركية يصف فيها قدوره التي تغلي بما فيها ، وتمور بصوت قوت مرتفع ، دلالة على كرمه وجوده [٧] :

رَكودٍ كأنَّ الغَلْيَ فيها مُغيـــرَةً   رأتْ نَعَمَاً قدْ جَنَّهُ الليلُ دانِيـــا [٨]

إذا استحمَشُوها بالوَقودِ تغَيَّظَــتْ   على اللحمِ حتى تترُكَ العَظْمَ باديا [٩]

---

[١] . الجمحي ، أبو دهبل ، ديوانه ، ص ٨٠ .
[٢] . كلح : كشر وقلص عن شفتيه ، وعبس وجهه .
[٣] . القطامي ، ديوانه ، ص ١٣٠ ـ ص ١٣١ .
[٤] . الآزم : الناب . والآزم : المحتمي .
[٥] . جرد : خيل قصار الشعر . هماهم : صوت تسمعه ولا تفهمه .
[٦] . المرشق من النساء والظباء : التي معها ولدها ، وقيل الإرشاق : امتداد أعناقها وانتصابها ، وأرشقت الظبية : أي مدّت عنقها .
[٧] . الفرزدق ، ديوانه ، ٢ : ٣٥٧ ـ ٣٥٨ .
[٨] . مغيرة : أي خيلاً مغيرة .
[٩] . استحمشوها : هيجوها .

كانَّ نهيمَ الغَلْي في حُجُراتِهـــا **تَماري خُصُومٍ عاقِدِينَ النَّواصِيـا** (١)

لـها هَزَمٌ وَسْط البيوتِ ، كأنَّـــهُ **صَرِيحيَّةٌ ، لا تحرمُ اللَّحْمَ جاديـا** (٢)

ويقرن الكميت بن زيد بين الصوت والحركة في مقطوعة شعرية يصف بها قدور البطل الكريم ، مصوراً اضطراب ما فيها وفورانها ، والطباخ وهو يحاول أن يوقف هذا الغليان بتقليل النار ، أو سحب ما يعلو من القدر ويطفو على سطحه (٣) :

نصَبْنا لهُمْ دَهْماءَ ذات هماهِـــمٍ **طويلاً بأفناءِ البيوتِ ركودُهـــا**

لها مَوْقِدانِ دانيانِ وواقِـــفٌ **يخافُ أطلاعَ غَلْيها فيذودُهـــا**

وتسلب الصورة التي عقدها عدي بن الرقاع ـ لوصف البطل الجواد ـ اللب ، وترتقي بالعقل إلى آفاق التخيل ، فكأنه يبصر الرمال أمام بيت البطل الكريم ، وقد نعمت ، وتغربلت حباتها ، ودقت ، لكثرة ضيوفه وطارقيه ، فإذا بالقارئ يحس نعومة الرمال بين يديه ، ويرى الرياح تنقلها ، لخفتها وهشاشتها ، وفي هذه الصورة طرفٌ وابتكار ، يظهر البراعة الفنية لدى الشاعر في البناء الشعري ، الذي يواشج فيه بين الصور الحركية ، والحسية ، والبصرية (٤) :

وتَرى بُغاةَ الخيْرِ يَنْتجِعونَـــهُ **من كلِّ ناحيةٍ إليهِ سبيـــلُ**

يَردونَ ثُمَّتَ يَصْدُرونَ فمِنْهُـــمُ **مترحِّلونَ وآخرونَ نُـــزولُ**

يَغْشَوْنَ مُشْتَرَكَ الفَواضِلِ عِنْـدَهُ **مَثْوىً تَوارَثُهُ الوفودُ رسيـــلُ**

فترى منازِلَهُمْ كأنَّ تُرابَهـــا **وَسَطَ الرِّحالِ مُغَرْبَلٌ مَنْخُـــولُ**

تَرَكَتْ به رَكْبُ المَطِيِّ مَرَاغَـــةً **فترى سَفاها بالعَشِيِّ تجـولُ** (٥)

ويصف القطامي بني نفيل بأنهم بيض الوجوه ، واختار اللون الأبيض تعبيراً منه عن فعل البطولة ، وأثره على أبطالها (٦) :

فلمْ أرَ منعّمينَ أقلَّ منّـــا **وأكرَمَ عندما اصطنَعوا اصْطِناعـا**

من البيضِ الوجوهِ بني نُفَيْـلٍ **أبَتْ أخْلاقُهُمْ إلا اتِّساعـــا**

بني القَرْمِ الذي علِمَتْ مَعَـــدٌّ **تَفضَّلَ فوقها سعة وباعـــا**

---

[1] . نهيم : صوت . حجراتها : جوانبها . تماري : منازعة ومجادلة .

[2] . الهزم : الصوت القوي . صريحية : منسوبة إلى صريح ، وهو فحل منجب ، شبه هزم القدور برغاء النياق الصريحية . الجادي : الطالب .

[3] . الأسدي ، الكميت بن زيد ، شعره ، ١ : ١٥٧ .

[4] . العاملي ، عدي بن الرقاع ، ديوانه ، ص ٢٠٨ .

[5] . السفا : التراب من كثرة ما توطأ قد دقّ ترابها .

[6] . القطامي ، ديوانه ، ص ٣٨ .

ويستخدم المتوكل الليثي اللون ودلالاته ممزوجاً بالصوت والحركة في مقطوعة شعرية يفاخر فيها ببطولة قومه عند ملاقاتهم الأعداء [١] :

وفيلقٍ كشعاعِ الشمسِ مشعلـــةٍ	**تُعْشي البصيرَ إذا ما مالتْ به البيدُ**
قومي إذا ما لقوا أعداءهُمْ صبـروا	**واسْتَوْرَدوهُمْ كما يُسْتَوْرَدُ العُـودُ**
ترى نوادرَ أطْرافٍ بِمَزْحَفِهِـــمْ	**والهامُ بينهمُ مُدْرىً ومقـــدودُ [٢]**

وتبدو الحركة في الألفاظ (سيروا ، أرمي بهم ، تخدي) الممزوجة باللون الأسود بشكل متجانس ، لتكتمل لوحة البطولة التي أراد الشاعر التعبير عنها [٣] :

وفتيةٍ كسيوفِ الهندِ قلتُ لهـــمْ	**سيروا وأعناقُهُم غِبَّ السُّرى غيـدُ**
أرمي بهِمْ وبنفسي مَهْمَهاً زَلِقـاً	**وعُرْضَ مُطَّرِدٍ أكنافُهُ سُـــودُ**
تخْدي بهِمْ في الوغى قُبٌّ مساحِلُهـا	**جُرْدٌ ضوامِرُ أمثالُ القنا قـــودُ**

ويظهر استخدام اللون في وصف القتال الكلابي لثوب البطل الأبي الشجاع ، فهو مصبوغ بالزعفران ، وقد اختار هذا اللون ليحاكي لون الدم ، وهذه صورة لونية شمية ، تتناسب مع بطولة العزة والإباء [٤] :

فإذا تهدَّدَ من دَخيلٍ أبـــاءَةً	**يمشي الهُوينا في ظلالِ الغَرْقَـدِ**
ضارٍ بهِ عَلَقُ الدِّماءِ كأنَّـــهُ	**رئبالُ مُلْكٍ في قباءٍ مُجَسَّــدِ [٥]**
فإذا خَفَضْتُ خَفَضْتُ تحتَ ضُبارِمٍ	**أحْمَتْ وقائِعُهُ سلوكَ الفَدْفَـدِ [٦]**
وإذا رفعتُ رفعْتُ لستُ بآمِـــنٍ	**مِن خبطةٍ بالنَّابِ ، تُفْسِدُ ، واليـدِ**

وكان اللون الأبيض اختيار نصيب بن رباح ، إذ وصف به الأمويين ، ونعتهم بالرياسة والشجاعة ، والكرم [٧] :

منَ النَّفَرِ البيْضِ الذين إذا أنْتجـوا	**أقرَّتْ لنجواهُم لؤيِ بن غالـــبِ**
يحيونَ بسَّامينَ طوراً وتـــارةً	**يحيونَ عبّاسينَ سوسَ الحواجِـبِ**

[1] . الليثي ، المتوكل ، شعره ، ص ٢٢٣ .
[2] . نوادر أطراف : أي أطراف مقطوعة .
[3] . الليثي ، المتوكل ، شعره ، ص ٢٢٤ ـ ص ٢٢٦ .
[4] . القتال الكلابي ، ديوانه ، ص ٤٤ .
[5] . الرئبال : الأسد ، ورئبال ملك : أي فارس شجاع . المجسد : الثوب المصبوغ بالزعفران .
[6] . الخفض : السير اللين . الضبارم : الأسد الوثيق ، ومن الناس ، الجريء على الأعداء . الفدفد : الفلاة التي لا شيء فيها ، أو الأرض الغليظة ذات الحصى .
[7] . ابن رباح ، نصيب ، شعره ، ص ٢٨ .

إن الشعراء الأمويين وظفوا في مقطوعاتهم الشعرية مختلف الحواس ، لرسم صورة بطولية عبّرت عن الأبطال وأفعالهم المتميزة .

ثالثاً : الإكثار من صيغ المبالغة والتفضيل :

إن البطولة تميّز وتفرّد ، والبطل بخصاله يَفْضُلُ غيره ، وينماز عنه ، ولذا فإن هذه السمة الفنية مطلب استدعته طبيعة الغرض الذي تناوله الشعراء الأمويون في أشعارهم ، وهو هنا البطولة .

لقد اندفع الشاعر الأموي في حديثه عن البطولة والأبطال للإكثار من صيغ المبالغة وأفعال التفضيل ، لتحقق وقعاً أشد في نفس السامع ، ولتثبت للبطل تميزاً استحقه ، وصفات أنيطت به وحده ، فهو الأفضل دوماً ، يقدم على ما لا يستطيعه الآخرون ، ولعل في قول جرير ما يوضح هذه الفكرة [١] :

ألسْنا نحنُ قدْ علِمَتْ مَعَـــدٌّ   غداةَ الرَّوْعِ أجْدَرَ أن نغــــارا

وأضْرَبَ بالسيوفِ إذا تلاقــتْ   هَوَادي الخيلِ صاديةً حِــــرارا

وأطْعَنَ حينَ تختلفُ العوالـــي   بمأزولٍ إذا ما النّقْعُ ثـــــارا

وأحْمَدُ في القِرى وأعزُّ نصْـــراً   وأمْنَعُ جانباً وأعزَّ جـــــارا

إن في هذه الأبيات حشداً كثيراً لأفعل التفضيل ، فلا يخلو منها بيت واحد ، وفي ذلك دلالة على أن هذه الأفعال البطولية تجعل أصحابها في الدرجة العليا ، فلا يوازيهم موازٍ ، ولا يجاريهم مجارٍ .

وتظهر صيغ التفضيل جلية في مدح الفرزدق لقوم أسد بن عبد الله ، فهم أناس لا يفضل حلمهم أحد ، ولا يطال كرمهم وشجاعتهم طائل [٢] :

الأحْلَمونَ فما خَفّتْ حُلومُهُــــمُ   والأثقلونَ على الأعداءِ ميزانـــا

---

[1] . جرير ، ديوانه ، ٢ : ٨٨٨ .
[2] . الفرزدق ، ديوانه ، ٢ : ٣٣٦ .

والمُعجِلونَ قِرى الأضيافِ إن نزلـوا   وأمْنَعُ الناسِ يومَ الرَّوْعِ جيرانـــا

والإكثار من صيغ المبالغة يبين حرص الشعراء على إعلاء ذات البطل ، وإظهار بطولاته ، والتغني بعظيم فعاله ، وحميد خصاله ، يقول كثير عزة في عفة بشر بن مروان وصفاته المتميزة [١] :

أمينُ الصَّدْرِ يحْفظُ ما تولَّـــى   كما يُلْفى القويُّ بهِ النّبيـــلُ

نقيٌّ طاهِرُ الأثوابِ بَــــرٌّ   لكلِّ الخير مصطنعٌ مُحيـــلُ

ويوظف ابن قيس الرقيات صيغة المبالغة (فعّال) في وصفه للأبطال الفرسان ، فيقول [٢] :

ضرّابِ بيْضِ المُدَجَّجينَ إذا الـــ   ـفرسانُ هابوا مواقِفَ البُهَـمِ [٣]

وهي على وزن (فعيل) و (فعول) عند العرجي [٤] :

لهُ رغْبَةٌ في أمرِهِ وتـــجرُّدٌ   حليمٌ لدى جهْلِ الجهولِ وقـــورُ

فَرَجٌ الفتى ما دامَ يحيا فإنَّـــهُ   إلى خيرِ حالاتِ المنيبِ يصيـــرُ

ويزاوج الراعي النميري بين استخدام صيغ المبالغة وأفعل التفضيل في مقطوعته التي يعدد فيها سمات البطل المفضال [٥] :

وأنتَ امْرُؤٌ تُرْوِي السِّجالَ ويَنْتَحي   لأبْعَدَ منَّا سَيْبُكَ المُتَمَنِّـــعُ [٦]

وإنَّكَ وهّابٌ أغرُّ وتـــارةً   هِزَبْرٌ عليهِ نُقْبَةُ الموتِ أصْبَـحُ [٧]

أن المقام يضيق هنا عن إيراد كافة أشعار البطولة التي استخدم فيها شعراؤها صيغ المبالغة وأفعل التفضيل ، وما الشواهد الشعرية السابقة إلا نماذج تدلل على توظيف الشعراء الأمويين لهذه الصيغ ، التي تحقق لأبطالهم بعداً بطولياً لا يشاركهم فيه أحد .

---

1 . كثير عزة ، ديوانه ، ص ١٢٢ .
2 . الرقيات ، ابن قيس ، شعره ، ص ١٨٩ .
3 . البهم : جمع بهمة ، وهو الفارس الذي لا يُدرى من أين يؤتى له من شدة باسه ، وقيل : جماعة الفرسان .
4 . العرجي ، ديوانه ، ص ٢٢٩ .
5 . الراعي النميري ، شعره ، ص ١٠٠ .
6 . السجل : الدلو الفخمة المملوءة ماء .
7 . النقبة : ثوب كالإزار . وقيل : النقبة : اللون ، والوجه ، والأثر ، والهيئة .

رابعاً : <u>الطابع الحواري في شعر البطولة :</u>

آثر بعض الشعراء في العصر الأموي الأسلوب الحواري في بعض مقطوعاتهم التي تحدثت عن البطولة والأبطال ، ووفقوا في ذلك ، لأن النهج الحواري محبب إلى النفس ، إذ يكشف عن حالة نفسية دقيقة في حياة الأبطال ومواقفهم المختلفة ، فالبطل يحاور أصحابه ورفاقه الفرسان تارة ، ويحاور ضيوفه تارة أخرى ، ويجادل زوجته أو ابنته أو محبوبته تارة ثالثة ، وهذا النمط الحواري الذي استخدمه الشعراء أعطى النص مقداراً أرحب من الحيوية ، وأبعد عن القارئ الملل والسأم الذي يسببه أسلوب السرد والوصف .

ويشيع حوار الشاعر مع المرأة ، ويتبدى عن ذلك الحوار نفسية الشاعر ودواخله ، ويكشف الحوار عن قناعاته وآرائه ، ويعطيه أفقاً واسعاً يتسع لإيصال فكرته ، يقول المتوكل الليثي [١] :

لمّا رأتْ أنّني لابدَّ منطلِـــقٌ	**وللفتى أجَلٌ قد خُطَّ معـــدودُ**
قامت تكرِّهُني غَزْوَى وتخبرُنـــي	**أنْ سوفَ يُخْلِدُني رَوْعٌ وتبليـدُ [٢]**
هل المنيةُ إلا طالبٌ ظفِـــرٌ	**وحَوْضُها منهَلٌ لابدَّ مـــورودُ**

ويعقد أعشى همدان حواراً بينه وبين زوجه ، يقول فيه [٣] :

قالت تعاتبني عِرْسي وتسألنـــي	**أينَ الدراهمُ عنّا والدنانيـــرُ**
فقلتُ : أنفقتُها واللهُ يخْلِفُهـــا	**والدّهرُ ذو مرَّةٍ عُسْرٌ وميســورُ**
إنْ يرزق اللهُ أعدائي فقد رُزِقــتْ	**من قبلهم في مراعيها الخنازيــرُ**
قالت : فرزْقُكَ رزقٌ غير مُتَّســع	**وما لديكَ من الخيراتِ قِمطيــرُ**
وقد رضيتَ بأن تحيا على رَمَــقٍ	**يوماً فيوماً كما تحيا العصافيــرُ**

بهذا الحوار استعان أعشى همدان للحديث عن بطولته ، فهو جواد كريم، لا يخاف الفقر والعُسر.

1 . الليثي ، المتوكل ، شعره ، ص ٢١٢ .
2 . غزوى : علم امرأة .
3 . الجاحظ ، الحيوان ، ٧ : ٦٢ . (لم أجده في ديوانه) .

وعبرّ كثير عزة عن حزم عبد الملك بن مروان وبطولته من خلال حوار أقامه معه [١] :

رأيْتُ أبا الوليدِ غداةَ جمْـــع	**بهِ شيْبٌ وما فقدَ الشَّبابـــا**
فقلْتُ لهُ ولا أعيا جوابـــاً :	**إذا شابَتْ لِداتُ المرْءِ شابـــا**
ولكن تحتَ ذاكَ الشّيبِ حـــزْمٌ	**إذا ما ظنَّ أمْرَضَ أو أصابـــا**

إن المجادلة بين الشاعر والمرأة تكشف عن يقين الشاعر بحتمية الموت ، وقد دفعه هذا اليقين إلى فعل البطولة ، ويبدو الحوار بوصفه مشهداً قصصياً رسم معطيات الحدث ودقائق تفاصيله بين الشاعر البطل والمرأة العاذلة ، يقول الراعي النميري [٢] :

ولومِ عاذِلَةٍ باتَتْ تُؤرِّقُنـــي	**حَرّى الملامَةِ ما تُبقي وما تَـدَعُ**
لمّا رأتْني أقْرَرْتُ اللسانَ لهـــا	**قالتْ أطِعْني والمتبوعُ مُتَّبَـــعُ**
أخْشى عليكَ حِبالَ الموتِ راصِـدةً	**بكُلِّ مَوْرِدَةٍ يُرْجَى بها الطَّمَـــعُ**
فقُلْتُ لن يُعْجِلَ المقدارُ مُدَّتَـــهُ	**ولنْ يُساعِدَهُ الإشْفاقُ والهَلَـــعُ**
فهَلْ علمتَ من الأقوامِ من أحَـــدٍ	**على الحديثِ الذي بالغَيْبِ يَطَّلِـــعُ**
وللمنيّةِ أسبابٌ تُقرِّبُهـــــا	**كما تُقرَّبُ للوَحْشِيَّةِ الـــذُّرُعُ [٣]**
وقدْ أرى صفْحَةَ الوحْشيّ يُخطِئهــا	**نَبْلُ الرُّماةِ فينجو الآبدُ الصّـــدَعُ**

ويسوق العرجي حواراً مع المرأة يعلن فيه عن وفائه لها ، وتحمله الصعاب لأجلها ، فهو بطلٌ وفيٌ صبور [٤] :

أقولُ لها والعينُ قد فاضَ دمعُهــا	**وقد كان فيها دمعُها قد تــرددا**
أسَلاكِ عنّي النَّأيُ أم عاقكِ العِـدى	**بما اقترفوا أمْ جئتِ صرْمي تعمُّـدا**
ألمْ أكُ أعْصي فيكِ أهْلَ قرابتـــي	**وأرْغِمُ فيكِ الكاشِحَ المتهَـــدِّدا**
وأمْتَهِنُ الوَرْدَ الأغَرَّ إليكُـــــمُ	**من أجْلِكِ حتّى لَحْمُهُ قد تـخدَّدا [٥]**

---

[1] . كثير عزة ، ديوانه ، ص ٢٦٨ .
[2] . الراعي النميري ، شعره ، ص ١٢٨ ـ ص ١٢٩ .
[3] . الذرع : واحدها الذريعة ، وهو جمل يرسل مع الوحش يرعى معها حتى تستأنس به ولا تنفر منه ، فإذا أراد مريد أن يصطاد الوحش استتر بذلك الجمل ، حتى إذا دنا من الوحش رمى ، ثم جعل كل شيء يدني من الإنسان ذريعة .
[4] . العرجي ، ديوانه ، ص ٢٠١ ـ ص ٢٠٢ .
[5] . امتهن : ابتذل وأجهد . الورد : أراد به فرساً وردي اللون . الأغرّ : المشرق الجبين . تخدد اللحم : تشقق من النحول التعب .

إن أسئلة عمران بن حطان السدوسي لجمر تكشف التخيلات التي يمكن أن يتخيلها القارئ لمجريات الحوار ، فكأن جمر تؤمل طول الأجل ، وتفضل جانب السلامة ، وتود لو يبقى عمران يؤنسها ، إلا أن ردود الشاعر تكشف عن بطولته وجرأته ، وقناعاته الثابتة بأن القتال لا يدني من الأجل [1] :

يا جمْرَ يا جَمْرَ لا يطمَحْ بكِ الأمَلُ فقد يكذّبُ ظنَّ الآمِلِ الأجـــلُ

يا جمرَ كيفَ يذوقُ الخَفْضُ معترفٌ بالموتِ ، والموتُ فيما بعدهُ جللُ

كيفَ أواسيكِ والأحداثُ مقبلَـــةٌ فيها لكلِّ امرئٍ عن غيرهِ شُغُلُ

ويسائل نصيب بن رباح صحبه عن سليمان بن عبد الملك ، فيتمخض حواره معهم عن تعداد لخصاله البطولية ، وتسجيلٍ لمآثره الحسنة ، يقول [2] :

أقولُ لركْبٍ قافلينَ رأيْتُهُـــمْ قِفا ذاتِ أوشالٍ ومولاكَ قـــاربُ

قفوا خبروني عن سليمان إننـــي لمعروفِهِ من آلِ وَدَّان طالــبُ

فعاجوا فأثنوا بالذي أنتَ أهلـــهُ ولو سكتوا أثْنَتْ عليكَ الحقائِــبُ

فقالوا : تركناهُ وفي كلِّ ليلـــةٍ يطيفُ به مِن طالبي العُرْفِ راكِبُ

---

[1] . عباس ، شعر الخوارج ، ص ٢٨ .
[2] . ابن رباح ، نصيب ، شعره ، ص ٥٩ .

الـخـاتـمـة :

وصلت الدراسة في نهايتها ـ بعد أن تعمّقت في الشخصية البطولية التي رسمها الشعر الأموي ، وعرضت لصور بطولتها ، وحاولت استجلاء أبرز جوانبها ، ورصدت أهم البواعث التي كانت سبباً لنبوغها وتميزها ـ ، وأحصت جملة من الأدوات التي استعملتها لتحقق بطولتها ، إلى مجموعة من النتائج ، منها :

أولاً : إن الرغبة في الوصول إلى أعلى مراتب المجد ومكارم الأخلاق هدفان يسعى إليهما الأبطال ، فهم السباقون إلى ذلك ، وهم المبرزون في كل نادٍ ، تبقى فيهم السيادة ، فلا ينتزعها منهم أحد ، ولا يطاولهم فيها دخيل ، وقد برز هذا المعنى في قصائد شعراء العصر الأموي ومقطوعاتهم ، فشكل ظاهرة من ظواهر الاعتزاز ، وصورة من صور الفخر .

ثانياً : إن مفهوم البطولة ينطوي على جملة من القيم السامية الرفيعة ، لا يأتي بها البطل تملّقاً ورياءً ، وإنما تترجم في سلوكه وتصرفاته ، وتوجهه نحو أهدافٍ إنسانيةٍ نبيلةٍ ، يؤازر فيها الحق ، ويزهق بها الباطل .

ثالثاً : تغنى العربي في العصر الأموي بالبطولة ، وترنّم بأمجادها ، فشنّت الغارات ، وقامت الأيام والحروب ، وكانت الصحراء مجالاً فسيحاً ، وميداناً رحباً لإظهار الشجاعة والبطولة ، ونظم الشعراء الأمويون قصائد الفخر والحماسة مشيدين بأعمال البطولة وأخلاقها .

رابعاً : البطل ليس شخصية أسطورية أو خيالية ، بل هو إنسان واقعي ، تميز عن غيره من أفراد مجتمعه بمواهب عقلية ، وخلقية ، وجسدية ، يتفرد بها بينهم ، فهو يتمتع بقوة الشخصية ، ويدافع عن هدفٍ سامٍ ، وعقيدة قوية ، ويمثل البطل مصدر خير ونفع لجماعته ، ويربأ بنفسه عمّا من شأنه أن يقلل هيبته ، أو يضعف مكانته بين الناس ، يكلل ذلك كله بعزة نفس واعتداد بها ، وعزيمة لا تلين ، وتجلّد لا يضعف ، وسماحةٍ لا يفسدها النّزق والطيش .

خامساً : البطل وليد بيئته ، ونتاج الواقع المحيط به ، يسعى دائماً لتحقيق آمال الناس ، وصون مصالحهم وقيمهم ، فيستمد تقديره واحترامه منهم بقدر ما يقوم به من أفعالٍ حسنةٍ ، لذا يعد البطل طاقة فردية مهما بلغت قوتها فإنها تعود منكسرة إذا لم يضفرها جهود جماعية .

سادساً : تنوعت صور البطولة في العصر الأموي ، واحتلت البطولة الحربية المنزلة الرفيعة منها ، بسبب كثرة المعارك والنزاعات والصراعات السائدة في العصر ، ومثلت الصور البطولية الأخرى جانباً أخلاقياً واجتماعياً ، فظهرت بطولة الكرم ، والإباء ، والحلم ، والعفة ، والحزم ، والصبر ، والوفاء .

سابعاً : تميز البطل الأموي ببطولته الحربية ، التي تمثلت في شجاعته واستبساله ، وامتلاكه المهارات القتالية ، وبراعته في استخدام أدوات الحرب وعددها ، فتمكن بذلك كله من خوض المعارك والحروب بكل ثبات وصلابة ، متحملاً المسؤوليات الجسام في الدفاع عن حماه .

ثامناً : إن كرم البطل الأموي وجوده في أوقات الجدب والقحط سطّر اسمه بين أسماء الأبطال ، فهو المنقذ للفقراء العفاة ، والمكرم لضيفه ، الحريص على حسن وفادته وإغاثته ، وبذا استحق البطل المكانة الرفيعة بين الناس .

تاسعاً : لا يقدم البطل الأموي على ما يحط من قدره ، أو يدنس كرامته ، فهو بطل أبيٌ ، ذو عزة وأنفة ، لا يقبل الانقياد ، ولا يرتضي التبعية الذليلة ، يدفع عن جماعته الضيم والذل ، ولا يستسيغ الهوان والخسة له ولهم .

عاشراً : إن البطل الأموي حازمٌ صارمٌ مثل حد السيف ، يضبط الأمور ويأخذ فيها بكل ثقة واقتدار ، متجاوزاً تردد النفس وتخوفها ، ثابت الرأي ، ماضي العزم ، لا يخلط الهزل بالجد ، يحسن التصرف في الأحوال العسيرة والمواقف الحاسمة ، يرفده في ذلك بصيرة فذّة وتجارب طويلة .

حادي عشرً : سمة الحلم من القيم النبيلة التي تجسّدت في شخصية البطل الأموي ، جعلته ينصر المظلوم ، ويدفع الشر ، ويصفح عن المعتدي ، ويبتدر إلى المكرمات ، وعمد بها إلى الهدوء

والاتزان ، والانصراف عن الطيش والحنق ، فتجاوز عن المسيء تجاوز المقتدر الحليم ، وعفا عن الجهلة متسامياً عن الصغائر ، متعالياً عن الإحن والأحقاد .

ثاني عشر : كان البطل الأموي بطلاً صبوراً ، متحملاً للشدائد والصعاب ، متجلّداً في النوازل والملمات ، لا يجزع ولا يضعف ، فعَلا بذلك ، ونال المجد والرفعة بين أفراد بيئته .

ثالث عشر : استطاع البطل الأموي أن يكبح جماح نفسه عن الانسياق وراء الشهوات والنزوات ، فلم يُلق بالاً للأطماع والملذات ، فعفَّ في عسره ويسره ، وانتصر على هوى النفس وغرائزها .

رابع عشر : أدرك البطل الأموي قيمة الوفاء ، فحرص عليها وتمثلها ، وجعلها سجية من سجاياه ، فنبذ الغدر والخيانة ، وأجار المستجير به ، وحفظ لسانه عن الغيبة والنميمة ، وأوفى بعهوده ، وأتمّ مواثيقه ، وأبرّ بوعوده مع جاره ، وصديقه ، وحليفه ، ومحبوبته .

خامس عشر : تكوّنت بطولة البطل في العصر الأموي استجابة لعوامل عدة : طبيعية مثل البيئة ، واجتماعية مثل النسب ، ونفسية مثل المرأة ، وفكرية مثل الدين الإسلامي الذي يدعو إلى السعي نحو الشهادة ، وابتغاء الأجر والثواب من الله ، ويوطّن معتنقه على الإيمان بالقضاء والقدر ، ويثبت في نفسه حقيقة مفادها ؛ أن الدهر متقلّب متبدّل من حال إلى حال ، لا دوام له ولا استقرار .

سادس عشر : لقد سعى البطل الأموي ليبني لنفسه رصيداً من السمعة الطيبة والذكر الحسن ، الذي يعضده إن وقع مكروه ، أو يخلّد به ذكره بعد وفاته ، فأقبل على التحلي بالخصال الكريمة ، وأقدم على الأفعال البطولية ، مؤمناً بقضاء الله وقدره ، متيقناً من حتمية فنائه ، مبتغياً في أفعاله تلك أجر الله وثوابه ، ساعياً إلى طيب الأحدوثة والذكر بين الناس .

سابع عشر : لقد عزا البطل الأموي تميّزه لعلاء نسبه ، ورفعة أصله ، فهو وارث الأمجاد ، وسليل الأحساب ، وذا عُدَّ النّسب من البواعث الرئيسية التي تقف وراء ظهور بطولة البطل ، فهو يقبل على الأفعال البطولية ، ويتسم بالخصال الطيبة ، حفاظاً على مجد آبائه وأجداده ، ودرءاً لذمهم ، ودفعاً للانتقاص من شانهم ، كما أن أصالة النسب ونقاء الأصل ، يفرضان على البطل نمطاً خاصاً من الحياة ، ألزمه اعتناق الفضائل ، وأوجب عليه البعد عن الرذائل .

ثامن عشر : شغلت المرأة حيزاً واسعاً في حياة الأبطال الأمويين ، ولعبت دوراً مؤثراً في تحريك قوى البطل وطاقاته ، وتوجيه مشاعره ، وأحاسيسه ، وأهدافه ، نحو قيمٍ مثلى ، وخصال نبيلة ، وأفعالٍ بطوليةٍ مميزةٍ ، واتّخذ البطل الأموي من بطولاته وسيلة لإرضائها ، ونيل إعجابها ، والظفر بمحبتها ، وتمتين علاقته معها ، فالحب قوة تدفع إلى جلائل الأعمال ، وفيه حرص على الأعراض ، ومحافظة على القيم النبيلة ، وسعي إلى إعلاء شأن المرأة ، ومن هنا كانت المرأة دافعاً من دوافع البطولة ، ومنطلقاً واسعاً من منطلقاتها الرحبة ، يظهر فيه الأبطال بطولاتهم النادرة .

ومن جانب آخر فقد شاركت المرأة في تحميس الأبطال ، وشحذ قواهم ، وتقوية عزائمهم ، وحثهم على الشجاعة والاستبسال ، وتوجيههم نحو المواقف البطولية المتميزة .

تاسع عشر : إن إيمان البطل الأموي بالقضاء والقدر يدفعه إلى أن يخوض الحرب بلا خوف أو وجل ، ويصارع الطغيان بلا هوادة ، وينشد الحرية بلا تردد ، وينبثق ذلك عن إيمانه بأن اقتحام ساحات الوغى لا يقرب الأجل ، فيبدي من ضروب البسالة والشجاعة ما يرفعه إلى مصاف الأبطال ، ويحفظ له الذكر الحميد .

عشرون : استعان البطل الأموي بمجموعة من الأدوات المعنوية والمادية في بطولته الحربية ، فمن الأدوات المادية ؛ السيف ، والرمح ، والدرع ، والخيل ، وقد أجاد البطل ـ بما أوتي من بطولة ـ استخدامها ، واهتم بها أشد اهتمام ، واعتنى بنوعها ، وصيانتها ، وصقلها ، وتثقيفها ، أبلغ اعتناء ، ليسجل بها بطولاته ، ويحافظ على حياته ، ويضمن بها المجد والرفعة .

ومن أدواته المعنوية الشجاعة ، والإقدام ، والجرأة ، والوفاء ، والحزم ، والحلم ، وعزة النفس وعفتها ، وصلابتها وشدة تحملها .

كما استخدم البطل الأموي الكريم أدوات كانت بمثابة أسلحة كشف من خلالها عن بطولته وسخائه ، مثل الجفان والقدور ، وإيقاد النار في المكان المرتفع ، واستنباح الكلاب وكثرتها .

واحد وعشرون : يتسم شعر البطولة في العصر الأموي ـ الذي صور البطل وأفعاله البطولية ، وأدواته التي يستعملها ـ بقوة ألفاظه وفخامتها ، ومتانة عباراته ، وحسن سبكها ، وجزالة أسلوبه ، وصدق عواطفه ، وحرارة انفعالاته ، وعلو جرسه الموسيقي ، واستخدم الشعراء الأمويون في رسمهم لجوانب البطولة المحسنات البيانية مثل التشبيه ، والكناية ، والاستعارة ، وغيرها ، كما تنوعت صورهم الشعرية ، فظهرت الصور اللونية ، والسمعية ، والحركية ، والبصرية ، وغيرها ، بأسلوبٍ متنامٍ ، وانتظمت هذه الصور في النسيج العام للقصيدة .

وتشيع في شعر البطولة صيغ المبالغة والتفضيل ، التي تعطي بدورها تعظيماً للبطولة وأصحابها ، وقد انسجمت هذه السمة الفنية مع طبيعة الموضوع الذي تطرقه ، وهو البطولة .

وآثر بعض شعراء العصر الأموي عند حديثهم عن البطولة الأسلوب الحواري ، الذي يكشف عن دقائق الحالة النفسية للأبطال في مواقفهم البطولية المختلفة ، ويمنح الشاعر أفقاً أوسع ، ومدىً أرحب للتعبير عما يجول بخاطره ، ولنقل أفكاره وآرائه حول موقف بطولي ما .

المصادر والمراجع :

ـ القرآن الكريم .

- ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠ هـ)، **الكامل في التاريخ** ، ١٢ جزء ، دار صادر ، بيروت ، (د . ت) .

- ابن الأثير ، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد الجزري (ت ٦٣٧ هـ)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** ، ط١ ، ٤ أجزاء ، (تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة) ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

- الأحوص الأنصاري ، عبد الله بن محمد بن عبد الله (ت ١٠٥ هـ)، **شعر الأحوص الأنصاري** ، (جمع وتحقيق إبراهيم السامرائي) ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، ١٩٦٩ .

- الأخضر اللهبي ، الفضل بن العباس الهاشمي القرشي (ت ٩٦ هـ)، **شعر الأخضر اللهبي** ، ط١ ، (تحقيق محمود عبد الله أبو الخير) ، دار الفرقان ، عمّان ، ١٩٩٣ .

- الأخطل ، أبو مالك غياث بن غوث التغلبي (ت ٩٥ هـ)، **شعر الأخطل** ، (تحقيق فخر الدين قباوة) ، دار الأصمعي ، حلب ، ١٩٧١ .

- الأخيلية ، ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد (ت ٨٠ هـ)، **ديوان ليلى الأخيلية** ، (جمع وتحقيق خليل إبراهيم العطية) ، دار الجمهورية ، بغداد ، ١٩٦٧ .

- إدريس ، سهيل (١٩٥٩)، البطولة في الرواية العربية الحديثة ، **مجلة الآداب** ، العدد (١) .

- ابن أذينة ، عروة بن يحيى بن مالك الليثي(ت ١٣٠ هـ) ، **شعر عروة بن أذينة** ، (تحقيق يحيى الجبوري) ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، ١٩٧٠ .

- الأسد ، ناصر الدين (١٩٨٨) ، **القيان والغناء في العصر الجاهلي** ، ط٣ ، دار الجيل ، بيروت .

- الأسدي ، عبد الله بن الزبير (ت ٧٥ هـ)، **شعر عبد الله بن الزبير الأسدي** ، (جمع وتحقيق يحيى الجبوري) ، مطبعة الحرية ، بغداد ، ١٩٧٤ .

ـ الأسدي ، الكميت بن زيد (ت١٢٦ هـ)، **شعر الكميت بن زيد الأسدي** ، ٣ أجزاء ، (جمع وتقديم داود سلوم) ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، ١٩٦٩ .

ـ الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ) ، **الأغاني** ، ١٦ جزء ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٧ .

ـ أعشى همدان ، أبو مصبح عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث (ت ٨٣ هـ) ، **ضمن كتاب الصبح المنير في شعر أبي بصير : الأعشى والأعشين الآخرين** ، ط٢ ، دار ابن قتيبة ، الكويت ، ١٩٩٣ .

ـ الألوسي ، محمود شكري (ت١٣٤٣ هـ)، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب** ، ٣ أجزاء ، (شرحه وصححه محمد بهجة الأثري) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، نسخة مصورة عن الطبعة الأولى ، (د . ت) .

ـ أمين ، أحمد (د. ت)، **فجر الإسلام** ، دار الكتاب العربي ، لبنان .

ـ أمين ، أحمد (د . ت)، **فيض الخاطر** ، ط١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

ـ الأنصاري ، النعمان بن بشير الخزرجي (ت٦٤ هـ)، **شعر النعمان بن بشير الأنصاري** ، ط١ ، (حققه وقدم له يحيى الجبوري) ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٨ .

ـ البارقي ، سراقة بن مرداس الأزدي (ت ٧٩ هـ)، **ديوان سراقة البارقي** ، ط١ ، (حققه وشرحه حسين نصار) ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٧ .

ـ البربري ، أبو سعيد سابق بن عبد الله (ت ١٠٠ هـ)، **شعر سابق البربري** ، (جمع ودراسة وتحقيق بدر أحمد ضيف) ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٧ .

ـ البستاني ، بطرس (٢٠٠٠)، **الشعراء الفرسان** ، ط٣ ، دار نظير عبود ، بيروت .

- البصير ، عبد الرزاق (١٩٥٩)، البطولة في الشعر الحديث ، **مجلة الآداب** ، العدد (١).

- البكري ، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ)، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع** ، ٤ أجزاء ، ٢م ، (تحقيق مصطفى السقا) ، عالم الكتب ، بيروت ، (د . ت) .

- البلاذري ، أبو الحسن أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ)، **فتوح البلدان** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨ .

- بلبع ، عبد الحكيم (١٩٥٤) ، **النثر الفني وأثر الجاحظ فيه** ، ط٢ ، طبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة .

- التيمي ، عمر بن لجأ (ت ١٠٥ هـ)، **شعر عمر بن لجأ التيمي** ، (تحقيق يحيى الجبوري)، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٧٦ .

- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)، **البيان والتبيين** ، ٤ أجزاء ، (تحقيق عبد السلام هارون) ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٤٨ .

- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)، **الحيوان** ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، (د . ت) .

- الجبوري ، يحيى (١٩٦٨)، **الجاهلية مقدمة في الحياة العربية لدراسة الأدب الجاهلي** ، ط١، مطبعة المعارف ، بغداد .

- الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١ هـ)، **أسرار البلاغة** ، (تحقيق هلموت ريتر) ، مطبعة وزارة المعارف ، اسطنبول ، ١٩٥٤ .

- الجمحي ، أبو دهبل وهب بن زمعة بن أسد بن جمح (ت ٦٣ هـ)، **ديوان أبو دهبل الجمحي** ، (تحقيق عبد العظيم عبد المحسن) ، مطبعة القضاء ، النجف الأشرف ، ١٩٧٢ .

- جميل بن معمر ، أبو عمرو جميل بن عبد الله القضاعي (ت ٨٢ هـ)، **ديوان جميل بثينة** ، (جمع وتحقيق حسين نصار) ، مكتبة مصر ، القاهرة ، (د. ت) .

- الجنابي ، خالد جاسم (١٩٨٤) ، **تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي** ، دار الحرية ، بغداد .

- الجندي ، أنور (١٩٨٠)، **الإسلام وحركة التاريخ** ، ط١ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

- الجندي ، علي (١٩٨٩)، **شعر الحرب في العصر الجاهلي** ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

- أبو حاقة ، أحمد (١٩٦٠)، **فن الشعر الملحمي ومظاهره عند العرب** ، دار الشرق الجديد ، بيروت .

- الحميري ، يزيد بن مفرغ (ت ٦٩ هـ)، **ديوان يزيد بن مفرغ الحميري** ، (جمعه وحققه عبد القدوس أبو صالح) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٥ .

- الحوفي ، أحمد محمد (١٩٦٧)، **البطولة والأبطال** ، يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة .

- الحوفي ، أحمد محمد (١٩٥٢)، **الحياة العربية من الشعر الجاهلي** ، ط٣ ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة .

- خالص ، صلاح (١٩٥٩)، حول البطولة في الأدب العربي بعد ظهور الإسلام ، **مجلة الآداب** ، العدد (١) .

- خريوش ، صادق الشيخ صالح (١٩٩١)، **صورة البطل في كتب الحماسة** ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، عمان ، الأردن .

- الخزاعي ، كثير بن عبد الرحمن (ت ١٠٥ هـ)، **ديوان كثير عزة** ، (جمعه وشرحه إحسان عباس) ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧١ .

- الخطفي ، جرير بن عطية بن حذيفة (ت ١١٤ هـ) ، **ديوان جرير** ، ط٤ ، ٢م ، (تحقيق نعمان محمد أمين طه) ، دار المعارف ، مصر ، ٢٠٠٦ .

- الخطفي ، جرير بن عطية بن حذيفة (ت ١١٤ هـ) ، **ديوان جرير** ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت) .

- خليل ، أحمد محمود (١٩٩٦)، **في النقد الجمالي : رؤية في الشعر الجاهلي** ، دار الفكر ، دمشق .

- الخماش ، نبال تيسير (١٩٨٤)، **شعر الخلفاء في العصرين الراشدي والأموي** ، (د.ت).

- الخواجا ، زهدي صبري (١٩٨٤)، **الجانب الخلقي في الشعر الجاهلي**، ط١، دار الناصر ، الرياض .

- خوري ، رئيف (١٩٥٩)، حول البطولة وأدب الأطفال ، **مجلة الآداب** ، العدد (١).

- دراوشة ، صلاح الدين أحمد (٢٠٠١)، **القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي من خلال ديواني المفضليات والأصمعيات** ، ط١ ، مكتبة الفجر ، إربد .

- الدسوقي ، عمر (١٩٥٩)، **الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية والمثل العليا** ، ط٣ ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة .

- ابن الدمينة ، أبو السري عبد الله بن عبيد الله (ت نحو ١٣٠ هـ)، **ديوان ابن الدمينة** ، صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد حبيب ، (تحقيق أحمد راتب النفاخ) ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

- ابن ذريح ، قيس (ت ٦٨ هـ)، **قيس ولبنى ، شعر ودراسة** ، (جمع وتحقيق حسين نصار) ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

- ذو الرمة ، غيلان بن عقبة العدوي (ت ١٧٧ هـ)، **ديوان ذي الرمة** ، (تحقيق عبد القدوس أبو صالح) ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٧٢ .

- الراعي النميري ، عبيد بن حصين (ت ٩٧ هـ) ، **شعر الراعي النميري** ، (دراسة وتحقيق نوري القيسي وهلال ناجي) ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٠ .

- ابن رباح ، أبو محجن نصيب بن رباح (ت ١٠٨ هـ)، **شعر نصيب بن رباح** ، (جمع وتقديم داود سلوم) ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٧ .

- الرقب ، شفيق (١٩٨٤)، **شعر الجهاد في عصر الموحدين** ، مكتبة الأقصى ، عمّان .

- الرقيات ، عبيد الله بن قيس (ت ٧٥ هـ)، **شعر ابن قيس الرقيات بين السياسة والغزل** ، ط١ ، (تحقيق ودراسة إبراهيم عبد الرحمن محمد) مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٦ .

- الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ)، **تاج العروس في جواهر القاموس** ، ١٠ أجزاء ، دار ليبيا ، بنغازي ، ١٩٦٦ .

- الزبير بن بكار ، أبو عبد الله الزبير بن بكار القرشي (ت ٢٥٦ هـ) ، **الأخبار الموفقيات** ، (تحقيق سامي مكي العاني) ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٦ .

- الزبيري ، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله (ت ٢٣٦ هـ)، **نسب قريش** ، (تحقيق أ . ليفي برفنسال إيفاريست) ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٣ .

- زلط ، عبد الحليم محمود (١٩٨٤)، البطولة النفسية والشمائل الإنسانية في الشعر الجاهلي ، **مجلة الدارة** ، العدد (٣) .

ـ الزير ، محمد بن حسين (١٩٨٩)، **الحياة والموت في الشعر الأموي** ، دار أمية للنشر والتوزيع ، الرياض .

ـ السامرائي ، عبد الجبار محمود (١٩٨٥) ، تقنية السلاح عند العرب ، **مجلة المورد** ، العدد (٤) ، بغداد .

ـ السجستاني ، أبو حاتم سهل بن محمد (ت ٢٤٨ هـ)، **كتاب المعمرين والوصايا** ، (تحقيق عبد المنعم عامر) ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦١ .

ـ سركيس ، إحسان (١٩٨١)، **الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية** ، ط١ ، دار الطليعة ، بيروت .

ـ أبو السعود ، فخري (١٩٣٧) ، البطولة بين الأدبين العربي والإنجليزي ، **مجلة الرسالة** ، السنة الخامسة ، ١ / (١٨٩) .

ـ ابن سلام ، أبو عبيد القاسم (ت ٢٢٤ هـ)، **كتاب السلاح** ، ط٢ ،(تحقيق حاتم الضامن) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (د . ت) .

ـ ابن سهية المرّي ، أبو الوليد أرطأة بن زفر الغطفاني (ت ٦٥ هـ) ، **شعر أرطأة بن سهية المرّي** ، ط١ ، (جمع وتحقيق شريف علاونة) ، دار المناهج ، عمان ، ٢٠٠٦ .

ـ ابن سيده ، أبو الحسن علي (ت ٤٥٨ هـ) ، **المخصص** ، طبعة بولاق، مصر،١٣٢١هـ .

ـ الشلبي ، حسن مرعي حسن (٢٠٠٠) ، **البطولة في الشعر العربي الإسلامي زمن الرسول صلى الله عليه وسلم** ، أطروحة ماجستير غير منشورة ، جامعة آل البيت ، المفرق ، الأردن .

ـ ضيف ، شوقي (١٩٧٠) ، البطولة في الشعر العربي ، **سلسلة اقرأ** ، العدد (٣٣١) .

- ضيف ، شوقي (١٩٥٩) ، **التطور والتجديد في الشعر الأموي** ، ط٢ ، دار المعارف ، مصر .

- ابن طباطبا ، أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي (ت ٣٢٢ هـ)، **عيار الشعر** ، (تحقيق وتعليق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام) ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، **تاريخ الرسل والملوك**، ط١، ١٠م ، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ، دار المعارف ، مصر ، (د . ت) .

- ابن الطثرية ، يزيد بن سلمة بن سمرة (ت ١٢٦ هـ)، **شعر يزيد بن الطثرية** ، (تحقيق حاتم الضامن) ، دار التربية ، بغداد ، ١٩٧٣ .

- طملية ، فخري أحمد (١٩٨١) ، **البطل في الرواية الفلسطينية والأردنية من عام ١٩٤٨ - ١٩٧٨** ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، لبنان .

- العاملي ، عدي بن الرقاع (ت ٩٥ هـ)، **ديوان عدي بن الرقاع العاملي** ، (تحقيق نوري القيسي وحاتم الضامن) ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٧ .

- عباس ، إحسان (١٩٦٣) ، **شعر الخوارج** ، دار الثقافة ، بيروت .

- عبد الرحمن ، عفيف (١٩٨١) ، المثل والقيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي ، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني** ، ٤ / (١١ - ١٢) .

- عبد الله بن معاوية (ت ١٣١ هـ) ، **شعر عبد الله بن معاوية** ، ط٢ ، (جمعه عبد الحميد الراضي) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٢ .

- ابن العجاج ، أبو الجحاف رؤبة بن عبد الله (ت ١٤٥ هـ)، **ديوان رؤبة بن العجاج** ، في مجموع أشعار العرب ، ط١ ، (اعتنى بتصحيحه وليم بن الورد البروسي) ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٩ .

- العجمي ، خالد محمد راشد (٢٠٠٨) ، **صورة البطل عند الشعراء الصعاليك في الجاهلية** ، أطروحة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، عمان ، الأردن .

- العرجي ، عبد الله بن عمر (ت ١٢٠ هـ)، **ديوان العرجي** ، ط١ ، (جمعه وحققه وشرحه سجيع النجيلي) ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٨ .

- ابن عساكر ، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١ هـ)، **تاريخ مدينة دمشق** ، (تحقيق علي شيري) ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٥ هـ .

- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥ هـ)، **كتاب الصناعتين :الكتابة والشعر** ، (تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم) ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

- عصفور ، جابر (١٩٩٥)، حكمة اللذة ، **مجلة العربي** ، العدد (٤٤٣) .

- عطوان ، حسين (١٩٧٠) ، **الشعراء الصعاليك في العصر الأموي** ، دار المعارف ، مصر.

- علاونة ، شريف (٢٠٠٤) ، **عقيل بن علّفة المرّي** ، **سيرته وشعره** ، ط١ ، دار المناهج ، عمان .

- عياد ، شكري (١٩٥٩) ، **البطل في الأدب والأساطير** ، دار المعرفة ، القاهرة .

- فالح ، جليل (١٩٨٠) ، البطل في شعر الحماسة ، **مجلة آداب الرافدين** ، العدد (١٤) .

- الفرزدق ، أبو فراس همام بن غالب التميمي (ت ١١٤ هـ) ، **ديوان الفرزدق** ، جزآن ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦ .

ـ ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩ هـ) ، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** ، ج١ ، (تحقيق محمد زكي باشا) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٤ .

ـ القاضي ، النعمان (١٩٧٠) ، **الفرق الإسلامية في الشعر العربي** ، دار المعارف ، مصر .

ـ القالي ، أبو علي إسماعيل القاسم (ت ٣٥١ هـ)، **الأمالي** ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (د . ت) .

ـ القتال الكلابي ، عبد الله بن مجيب بن المضرحي (ت ٦٤ هـ) ، **ديوان القتّال الكلابي** ، (حققه وقدم له إحسان عباس) ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦١ .

ـ ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) ، **عيون الأخبار** ، نسخة مصورة بالأوفست عن دار الكتب المصرية ، ٤ م ، الهيئة العامة للكتب ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

ـ القرشي ، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب (ت ١٧٠ هـ)، **جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام** ، ط٢ ، جزآن ، (تحقيق محمد علي الهاشمي) ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٦.

ـ القطامي ، عمير بن شييم (ت ١٠١ هـ) ، **ديوان القطامي** ، ط١ ، (تحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب) ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٠ .

ـ القيسي ، نوري حمودي (١٩٨٢) ، **البطل في التراث** ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد .

ـ القيسي ، نوري حمودي (١٩٨٢)، **شعراء أمويون** ، ٣ م ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد .

ـ القيسي ، نوري حمودي (١٩٨٦) ، **شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري** ، ط١ ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت .

ـ القيسي ، نوري حمودي (١٩٦٤) ، **الفروسية في الشعر الجاهلي** ،مكتبة النهضة العربية ، بغداد .

ـ كارليل ، توماس (د . ت) ، **الأبطال وعبادة الأبطال** ، (ترجمة عبد الرحمن البرقوقي) ، القاهرة ، (د . ن) .

ـ كحالة ، عمر رضا (١٩٤٩) ، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة** ، ٣ أجزاء ، المكتبة الهاشمية ، دمشق .

ـ الكلابي ، طهمان بن عمرو (ت ٨٠ هـ)، **ديوان طهمان بن عمرو الكلابي** ، (تحقيق محمد جبار المعيبد) ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٨ .

ـ الكناني ، نصر بن سيّار (ت ١٣١ هـ)، **ديوان نصر بن سيار** ، ط١ ، (جمعه وحققه عبد الله الخطيب) ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٧٢ .

ـ الكوفي ، ابو محمد أحمد بن أعثم (ت ٣١٤ هـ)، **كتاب الفتوح** ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد ، الدكن ، الهند ، ١٩٦٨ .

ـ الليثي ، المتوكل بن عبد الله (ت ٨٥ هـ) ، **شعر المتوكل الليثي** ، (جمع وتحقيق يحيى الجبوري) ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، ١٩٧١ .

ـ المجذوب ، محمد مهدي (١٩٨٥) ، **البطولة كما يصورها الأدب الجاهلي** ، مؤتمر الأدباء العرب ، الدورة الرابعة ، الكويت ، ٢٠ ـ ٢٨ ديسمبر .

ـ مجهول ، **نقائض جرير والأخطل** ، (عني بطبعها الأب أنطون صالحاني اليسوعي) ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٢٢ .

ـ المحاسني ، زكي (١٩٦١) ، **شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة** ، دار المعارف ، مصر .

ـ المخزومي ، الحارث بن خالد (ت ٨٥ هـ) ، **شعر الحارث بن خالد المخزومي** ، ط١ ، (تحقيق يحيى الجبوري) ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ١٩٧٢ .

ـ المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ) ، **التنبيه والإشراف** ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨١ .

ـ المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ) ، **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ، ٤ أجزاء ، (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٧ .

ـ مسكين الدارمي ، ربيعة بن عامر (ت ٨٩ هـ) ، **ديوان مسكين الدارمي** ، (تحقيق عبد الله الجبوري وخليل العطية) ، دار البصري ، بغداد ، ١٩٧٠ .

ـ ابن المقفع ، عبد الله (ت ١٤٢ هـ) ، **الأدب الصغير والأدب الكبير** ، دار صادر ،بيروت ، ١٩٦٠ .

ـ ابن الملوح ، قيس (ت ٧٠ هـ) ، **ديوان مجنون ليلى** ، (جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج) ، مكتبة مصر ، القاهرة ، (د . ت) .

ـ ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) ، **لسان العرب** ، ط١ ، ١٥ جزء ، (تحقيق عامر أحمد حيدر) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣ .

ـ المنقري ، أبو الفضل نصر بن مزاحم بن سيار (ت ٢١٢ هـ)، **وقعة صفين** ، ط٢ ، (تحقيق عبد السلام هارون) ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

ـ ابن ميادة ، الرُّماح بن أبرد المري (ت ١٤٩ هـ) ، **شعر ابن ميادة** ، (جمع وتحقيق محمد نايف الدليمي) ، مطبعة الجمهورية ، بغداد ، (د . ت) .

- النابغة الشيباني ، عبد الله بن المخارق بن سليم (ت ١٢٥ هـ) ، **ديوان نابغة بني شيبان** ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٢ .

- ناصف ، مصطفى (١٩٥٨) ، **الصورة الأدبية** ، ط١ ، مكتبة مصر ، القاهرة .

- نشأت ، كمال (١٩٧٠) ، **في النقد الأدبي ، دراسة وتطبيق** ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف .

- النعيمي ، أحمد (١٩٩٥) ، **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام** ، ط١ ، دار سينا ، القاهرة .

- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة ، ٣ م ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، (د . ت) .

- ابن هذيل الأندلسي ، علي بن عبد الرحمن الفزاري (ت ٧٦٣ هـ) ، **حلية الفرسان وشعار الشجعان** ، ط١ ، (تحقيق محمد عبد الغني حسن) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥١ .

- الوليد بن يزيد (ت ١٢٦ هـ) ، **ديوان الوليد بن يزيد** ، ط١ ، (تحقيق حسين عطوان) ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٨ .

- اليازجي ، كمال (١٩٧٣) ، **في الشعر العربي القديم** ، ط١ ، ٢م ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

- يزيد بن معاوية (ت ٦٤ هـ) ، **شعر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان** ، ط١ ، (جمعه وحققه صلاح الدين المنجد) ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٢ .

- يونس ، عبد الحميد (١٩٥٩) ، البطولة في الأدب الشعبي ، **مجلة الآداب** ، العدد (١) .

HEROISM IN THE OMAYYAD POETRY

Prepared by

Al-Moutaz Bellah Hamdi Mansor

Supervised by

Prof . Hussein Atwan

ABSTRACT

From the early ages , poetry convoyed Arabs life expressing their hopes and grief . It also described Arabs heroic actions and feats . This study is about the details of heroism in the Omayyad Poetry revealing its forms , reasons as well as its tools . Moreover , the study pores over the technical featuresoism poetry in the Omayyad period .

This paper goes over some poems which conclude that heroism has clear characteristics and elevated values such as bravery , patience , sincerity , firmness and chastity . Heroism included actions done by the Omayyad hero as war and generosity heroism .

The study shows that the presence of the Omayyad hero was a reaction to his natural surroundings meeting his social needs . The appearance of the hero`s personality related to some factors such as family , affinity , woman and asking for dying a martyr in the cause of Heaven since he was sure that he was mortal .

The omayyad hero used some material tools to bring out his bravery . For example , he used sword , horse , spear , armor and fire . His relation with theses tools become closer , so he gave more attention to them .

The study makes clear that the heroism poetry in the Omayyad age featured word-power , well-formed phrases , honest emotions , significant music and variant poetic images enriched by figures of speech that were used by poets to draw a model image for " The Hero " who symbolized their humanity , environment , supreme values and defended their interests and homeland .